العنوان
حي الورود - شارع محمد الجاسر - هاتف ٤٦٣١٠١٠
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

للأسرة الواحد سنوياً
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٨،٧ س ٢٣ محرم/صفر ١٤٠٩هـ - أيلول/تشرين الأول (سبتمبر/أكتوبر) ١٩٨٨م

هل هو «المناسك» أم «منازل الطريق»؟
وهل هو للإمام الحربي أم للقاضي وكيع؟

لحمد الجاسر منن كثيرة تطوق أعناق الباحثين في تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها ومجتمعها، فقد ألف كثيراً من الكتب فيها، وصحح كثيراً من الأخطاء حولها، وحقق كثيراً من النصوص عنها. وهو في كل مايؤلف أو يصحح أو يحقق يظهر بجلاء طالب علم يبحث عن الحقيقة، لا يدعي أن رأيه هو الكلمة الفصل مع أنه بشهادة العصر أولى الناس بأن يقول الكلمة الأخيرة في مثل هذه الموضوعات، وهو أبعد الناس عن التزيد بما ليس عنده أو ادعاء جهود غيره أو التباهي بجهوده هو.

لقد اطلعت على مقدمة الأخ الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد لكتاب «غريب الحديث» للإمام الحربي حيث قال بالنص: (وقد نشر حمد الجاسر كتاباً وجده مخروماً فركب عليه هذا الاسم، وأخرجه منسوباً إلى الإمام الحربي، وأنا على وجل من هذه التسمية ولم يستقم لها عندي أمر)[1].

ان التعبير عن عمل حمد الجاسر في هذا النص بهذا الأسلوب يبخس الرجل حقه، ويعطي الدكتور العايد أكثر مما يستحق في موضوع نسبة الكتاب إلى الحربي، لقد كان حمد الجاسر نفسه على وجل من هذه التسمية، فالرجل يقول في مقدمة الطبعة الأولى بالنص: (ليس بين أيدينا من النصوص ما يحمل على الجزم باسم مؤلفه بل ليس لدينا ما نستدل به على اسم هذا المؤلف سوى استنتاجات سنوضحها في مابعد)[2]. لو قرأ الدكتور العايد الإيضاحات التي ساقها حمد

الجاسر لعرف يقينا أنه كان على وجل من تلك النسبة ولكن تصريح البكري بأنه ينقل عن الحربي نصاً رآه حمد الجاسر في الكتاب الذي يحققه جعله يتجه إلى ترجيح أن يكون المؤلف هو الإمام الحربي وأن يكون الكتاب هو «المناسك» له[٣]. ولو قرأ الدكتور العايد الطبعة الثانية من الكتاب وقد صدرت عام ١٤٠١هـ لرأى أن حمد الجاسر كان طيلة الفترة الفاصلة بين الطبعتين وهي اثنا عشر عاماً لم يغفل عن متابعة الإهتمام بهذا النص وبالذات موضوع نسبته إلى الحربي فهو نفسه أورد استدراكات تدل على تردده في نسبة الكتاب إلى الإمام الحربي[٤]، هذا بالإضافة إلى أنه طلب مني تسجيل رأي لي في هذا الموضوع يعرف هو أنه مخالف لرأيه، فسجله كاملاً ولم يحذف منه إلا ما يتعلق بشخصه الكريم[٥]، وقد اشترطت هذه المرة عندما طلب مني حمد الجاسر أن أفصل ما أجملت عن فكرتي تمهيداً لإدراجها في الطبعة القادمة رغبة في أن يكون قارئ الطبعة القادمة على علم بالآراء المتعارضة في هذا الموضوع ــ اشترطت أن تنشر كلماتي كاملة أو لا تنشر البتة ، فإن دين حمد الجاسر عليَّ وعلى أمثالي كثير ولا نملك ما نجازيه به إلا الثناء عليه .

لقد أهدى حمد الجاسر هذا النص موضوع البحث إلى قراء العربية عام ١٣٨٩هـ بعد أن تحدث عنه في مجلة «العرب» في ذالك العام ، وبعد أن أشاد بالباحث الذي قدم النص إلى قراء العربية وهو الدكتور حسين علي محفوظ ، واختلف معه في نسبة الكتاب إلى ابن الكوفي حيث يرى الدكتور محفوظ أن ابن الكوفي هو المؤلف ، وأثنى حمد الجاسر كذالك على الشيخ محمد حسن آل ياسين واختلف معه في نسبته الكتاب إلى الأسدي الذي ينسب إليه السمهودي في «وفاء الوفاء» نصوصاً منقولة في الغالب من النص موضوع البحث . وأثنى حمد الجاسر على الدكتور حسين نصار وصرح بأنه استفاد منه في موضوع شخصية السكوني الذي يروي عنه ياقوت والسكوني الذي يروي عنه البكري ، ومع ذالك فقد استبعد حمد الجاسر أن يكون أي منهما هو المؤلف[٦]. ووجد حمد الجاسر أن أقرب الاحتمالات هو أن يكون المؤلف الإمام الحربي وأن يكون الكتاب هو «المناسك» . وذالك بناء على نص في تحديد جزيرة العرب نقله البكري منسوباً إلى الإمام

الحربي يرويه عن عبدالله بن شبيب وهو موجود في النص موضوع البحث ، وأن يكن حمد الجاسر قد تنبه إلى وجود اختلاف بين النصين في العبارات ، ولم يستبعد أن يكون البكري نقله من «غريب الحديث» للحربي[٧]. وساق حمد الجاسر أدلة أخرى جعلته يرجح أن يكون الحربي هو المؤلف وأن يكون الكتاب هو «المناسك» له[٨].

في ذالك العام ١٣٨٩ كنت أضع اللمسات الأخيرة لرسالة (الدكتوراه) عن شمال الحجاز، وقد اطلعت على هذه المخطوطة بعد أن نوه بها حمد الجاسر وقبل أن ينشرها ورأيت أن المؤلف لا يمكن أن يكون الحربي ، وناقشت رأي حمد الجاسر وسجلت ذالك في رسالتي . وعندما قابلته في بيروت ذالك العام كان الكتاب قد نشر ، وشرحت له وجهة نظري في موضوع الكتاب والمؤلف . وكنت متحمساً جداً لفكرتي ، ولكن حمد الجاسر الذي لم يقبلها لم يتحمس بالمقابل لفكرته هو ، وتقبل مني شرحي لفكرتي بصبر عجيب . وكما قلت فإن حمد الجاسر لم يغفل عن متابعة الاهتمام بهذا النص وكان أن أصدر طبعته الثانية وفيها مزيد من التحقيق ومن الاستدراكات وفيها أيضاً نشر ما أشرت إليه من توضيح لفكرتي بقلمي وهي تعارض فكرته .

لا ألوم الأخ الفاضل الدكتور العايد على عدم اطلاعه على كتابي عن شمال الحجاز وقد نشر عام ١٣٩٢ وفيه محاولة للاهتداء إلى عنوان الكتاب الذي بين يدينا وإلى اسم مؤلفه[٩] ولكني لا أعفيه من اللوم على عدم اطلاعه على الطبعة الثانية من النص موضوع بحثنا التي صدرت قبل نشر تحقيقه للغريب بأربع سنوات . ولا أريد من باحثينا أن يفهموا أن غمطهم لأعمال عملاق كحمد الجاسر يضفي عليهم ما يتعجلونه من أهمية . ان عمل الدكتور العايد في تحقيق مجلدة «الغريب» للحربي عمل رائع ، وجهده مشكور ، ولكن انكاره لجهد حمد الحاسر لا يقبل من أمثاله ، لا سيما وأن حمد الجاسر أضاف إلى تحقيق النص مقدمة رائعة لا نظن أن أحداً كتب مثلها عن الإمام الحربي بما امتازت به من دقة واستقصاء .

والآن أنتهز الفرصة لأسجل مرة أخرى وبالتفصيل ما سبق أن قلته من أن هذا الكتاب ليس هو بكتاب «المناسك» وأن الحربي ليس هو مؤلفه .

أما أن الكتاب ليس هو «المناسك» فقد كفانا المؤلف المؤونة عندما قال بالحرف الواحد: (وليس كتابنا هذا بكتاب مناسك)[١٠]. فهذا صريح في أن المناسك ليست هي الغرض الذي من أجله كتب المؤلف هذا النص وأنها خارجة عن موضوعه وهذا يعني أن الكتاب الذي بين يدينا لا يمكن أن يكون كتاب «المناسك» بل أن المؤلف يكاد يعتذر عن قطع تسلسل الحديث عن غرض الكتاب لإيراد شيء من المناسك فهو يقول: (وهذا موضع نذكر فيه أمر المناسك ثم نعود إلى خبر الطريق)[١١] إذن فخبر الطريق هو الذي يهتم به المؤلف ويعتقد أن القارئ يهتم به أيضاً . ومن بين مئتين واثنتين وثلاثين صفحة هي مجموع صفحات المخطوط نرى أن أمر المناسك لا يستغرق أكثر من ثماني صفحات تحرى المؤلف فيها كما يقول كلما وافق الحديث ولم يذكر فيه الاختلاف وأقاويل الفقهاء والمسائل الدقيقة خشية الإطالة لأن الكتاب حسب رأيه لا يحتمل ذالك فهو ليس بكتاب مناسك . هذا بالإضافة إلى ما أشار إليه حمد الجاسر والدكتور العايد من وجود نصوص مقتبسة من «المناسك» للحربي لا وجود لها في النص الذي بين يدينا ، ولا يمكن إرجاع ذالك إلى سقوطها من المخطوطة لأن أمر المناسك فيها متتابع لا خرم فيه .

نأتي الآن إلى موضوع تعيين المؤلف ، هل هو الإمام الحربي؟

الواضح مما سجلناه قبل هذه السطور أن المؤلف قد لا يكون الحربي مادام هذا الكتاب ليس هو كتاب «المناسك» له ، ولكننا نريد أن نصل إلى أن المؤلف لا يمكن أن يكون الحربي ، وأهم الأدلة في رأينا هو مايلي :

أولاً : أن مؤلف الكتاب نفسه من تلاميذ الحربي وهو يروي عنه في هذا الكتاب بصيغة لا تسمح بأن نقارنها بما نعرف عن رواة المؤلفين القدامى حيث يكتبون: قال أبو فلان ــ يعنون المؤلف ــ أو قال فلان ــ ويوردون الاسم الأول للمؤلف فقط ــ أو أخبرنا أبو فلان أو أخبرنا فلان فقد أورد المؤلف حديثاً بدأه

بقوله: (أخبرني إبراهيم الحربي)[١٢]. فالتعبير بأخبرني بدلاً من (قال) أو (أخبرنا) وتعريف إبراهيم بأنه الحربي يدل على أن إبراهيم جزء من سند هذا الحديث ينبغي تمييزه، وعدم الخلط بينه وبين آخرين يحملون نفس الاسم، فلو كان إبراهيم الحربي هو المؤلف لاكتفى باسم إبراهيم فقط أو أورد الكنية وحدها وهذا هو الأحرى. صحيح أن المؤلف عاد بعد ذالك بسطور يشير إلى الحربي باسم (إبراهيم) فقط ولكن إبراهيم هنا لا يحتاج إلى تمييز لأن موضوع البحث لايزال هو الحديث الذي يرويه المؤلف عن طريقه.

ثانياً: يتحدث المؤلف عن وقائع وأشخاص وأماكن ذات علاقة بشخصه أثناء سفره بين العراق ومكة وبعضها متأخر جداً بالنسبة إلى شيخ مريض وطاعن في السن كالإمام الحربي حيث يقول المؤلف: انه رأى عين السقيا عام ٢٧٤ قد انقطعت. (كان عمر الإمام يومها ستاً وسبعين سنة) ولا يكتفي بهذا بل يقول: انها عادت بعد ذالك[١٣]. وفي حادثة مماثلة يذكر الحصن الذي في معدن القرشي والذي أخرجه أحمد بن حسن بن جعفر العلوي سنة ٢٧٣ ولا يكتفي بهذا بل يقول: إن الناس تراجعوا إليه بعد ذالك[١٤]. وهو لا يصرح بأنه شهد هذا بنفسه بعد عامي ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ولكن هذا يعني دون شك أن المؤلف كتب هذا الكتاب أو نسخة أخيرة منه بعد هذين العامين ويصعب أن نتصور الإمام الحربي في هذه السن وفي حالة المرض عاكفاً على إخراج كتاب عن الطريق بين العراق ومكة مشحوناً بالأشعار والأخبار.

ثالثاً: ونأتي إلى موضوع الأشعار التي قيلت في طريق الحج فنرى مؤلف النص الذي بين يدينا يعتني بها عناية فائقة فهو يسجل الأشعار التي قيلت في منازل الحج فيورد قصيدة أحمد بن عمرو في تنزيل أم جعفر ويورد قصيدة رائعة رغم موضوعها العلمي قيلت بعد ذالك ثم يورد أرجوزة لأحمد بن محمد بن الضحاك بن عمرو الحماني ثم يلزم نفسه بمعارضة هذه الأرجوزة فيورد من تأليفه هو أرجوزة مماثلة تتفوق عليها بالبرودة والغثاثة[١٥]. كل هذه الأشعار في منازل الطريق بين الكوفة والحجاز وعندما تسمح المناسبة بتسجيل الأشعار التي قيلت في طريق البصرة نراه

يسجل شعراً قاله وهب بن جرير بن حازم معتمداً على حفيد الشاعر خالد بن يزيد بن وهب الذي رواها عن أبيه يزيد وهو رواها عن أبيه الشاعر وهب أما المؤلف فقد كتب هذا الشعر عن خالد كتابة، وطلب منه أن يقرأه عليه من كتابه زيادة في التوثيق[١٦]. ومهما كان اهتمام الإمام الحربي بالشعر ــ واهتمامه به قطعاً ضئيل ــ فإن من المستبعد أن يعني نفسه بإنشاء أرجوزة عن طريق الحج ثم لا يتناقلها تلامذته ، وكذلك فإن من المستبعد أن يولي رواية الشعر عناية وتحرجاً يصلان إلى مستوى العناية بالحديث حيث طلب من مصدره أن يقرأ عليه ماكتبه عنه من شعر ليأمن الخطأ في النقل .

رابعاً : واضح أن البكري في نقله عن الحربي وسواء أكان ينقل عن «المناسك» له أم عن كتاب آخر لا يعتمد على الكتاب الذي بين يدينا نظراً إلى الإختلاف بين النص الذي ينسبه البكري إلى الحربي وبين النص الذي بين يدينا وهذا واضح في تعريف جزيرة العرب[١٧]. وهو كذالك واضح في النص الذي نقله البكري عن (ضرية) حيث أورد حديثاً نقله الحربي عن معتمر عن عاصم عن الحسن في حين أن مؤلف النص الذي بين يدينا يورد الحديث بلفظ مختلف وبسند مختلف أيضاً[١٨].

خامساً : هناك أشياء أخرى غير ما ذكرناه تجعلنا نستبعد أن يكون الإمام الحربي هو مؤلف النص الذي بين يدينا وتتمثل هذه الأشياء في أن عدداً من شيوخ المؤلف يروون عن شيوخ الحربي فمحمد بن عبدالسلام بن خلف المروزي الذي توفي عام ٢٨١ هو من تلاميذ علي بن الجعد وعاصم بن علي والاثنان من شيوخ الحربي[١٩]، والحربي من تلاميذ أبي نعيم ولكن المؤلف هنا يروي عن تلاميذ أبي نعيم عنه[٢٠] والحربي رأى محمد بن عباد المهلبي ولم يرد أن يروي عنه ، والمؤلف يروي عن القاسم بن محمد بن عباد والقاسم من تلاميذ أبيه[٢١]، ويوسف بن بهلول من شيوخ الحربي ولكن المؤلف يروي عن تلاميذ يوسف عنه[٢٢]، وكذلك الحال مع داود بن مهران الذي هو من شيوخ الحربي ولكن المؤلف يروي عن تلاميذه عنه[٢٣]، والحربيُّ يروي عن الأصمعي عن طريق أبي نصر[٢٤] ، أما

مؤلف هذا النص فهو يروي عن الثمالي (المبرد) عن التوزي عن الأصمعي[٢٥]، والمبرد ليس من شيوخ الحربي، والحربي من تلاميذ التوزي نفسه، والمؤلف ينقل عن المبرد تلميذ التوزي، في حين أن الإمام الحربي روى عن التوزي مباشرة في «غريب الحديث»[٢٦]، ولم أعثر للحربي على رواية عن الأصمعي عن طريق المبرد .

سادساً : النص الذي بين يدينا لا يكتبه إلا شخص تمرس بالأعمال الرسمية للدولة أو مارس مهمات النقل والتنقل بين محطات الطريق والإمام الحربي بعيد عن ذالك كله . فهذا الكتاب يسجل المسافات بالبرد وبالأميال ، والمؤلف ينقل الوثائق المسجلة على المباني، وينقل التحديد الموجود على أحجار البريد وهذا عمل لا يقوم به فقهاء ومحدثون كالإمام الحربي .

من هو المؤلف ؟

لقد عشت مع مخطوطة هذا النص شهوراً طويلة في عام ١٣٨٩ عندما كنت أراجع المسودات الأخيرة لرسالتي عن شمال الحجاز وكنت أرتاح إلى كتاب «أخبار القضاة» للقاضي وكيع عندما يشتد عليَّ ضغط العمل في الرسالة فرأيت تقارباً عجيباً في سلسلة السند لا سيما وأنني منذ البداية كنت أتلمس عنوان المخطوطة واسم مؤلفها ، وانتهيت إلى أن أكبر الاحتمالات هو أن عنوان المخطوطة «الطريق» وأن المؤلف هو محمد بن خلف بن حيان الضبي (القاضي وكيع) المتوفي سنة ٣٠٦هـ ، وساقني إلى قبول هذا الاحتمال عدة قرائن ليس فيها ما يقطع بنسبة الكتاب إلى وكيع ، ولكنها تشير إليه بأصابع بارزة :

أولاً : تماثل أسلوب الرواية في المخطوطة وفي كتاب «أخبار القضاة» وهوتماثل لا نجده بين هذه المخطوطة وبين «غريب الحديث» للإمام الحربي .

ثانياً : تلك النسبة الضخمة من شيوخ المؤلف الذين تتكرر أسماؤهم في المخطوطة وهم في نفس الوقت من شيوخ القاضي وكيع في «أخبار القضاة» ولا ذكر لهم في كتب الحربي المعروفة إلا نادراً ، فمن بين ثلاثة وثلاثين من شيوخ مؤلف

المخطوطة من أهل الحديث ، لا نجد إلا ثلاثة فقط يروي عنهم الحربي في كتبه المعروفة لنا ، بينما نجد القاضي وكيعاً يروي عن ثمانية وعشرين شيخاً منهم[٢٧] هذا عن المحدثين وحدهم وحسب استقصاء العلامة حمد الجاسر ، أما أهل الأخبار فمن الطبيعي أن يعتمد عليهم القاضي وكيع أكثر مما يعتمد عليهم الإمام الحربي .

ثالثاً : سبقت الإشارة إلى محمد بن خلف بن عبدالسلام المروزي من شيوخ المؤلف في النص الذي بين أيدينا والمروزي من تلاميذ علي بن الجعد وعاصم بن علي والاثنان من شيوخ الحربي والقاضي وكيع يكثر الرواية عن المروزي في «أخبار القضاة» .

والقاضي وكيع يكثر الرواية في «أخبار القضاة» عن الثمالي (المبرد) عن التوزي عن الأصمعي ، وهذا السند بالذات يتكرر كثيراً في المخطوطة موضوع بحثنا في حين أن الحربي يروي عن الأصمعي عن طريق أبي نصر ، ولم يرد هذا السند في المخطوطة ولم يعتمد مؤلف المخطوطة على ثعلب شيخ الحربي إلا مرة واحدة بمناسبة إنشاد بيت من الشعر ، وهذا طبيعي فالقاضي وكيع من تلاميذ المبرد ، والمنافسة بينه وبين ثعلب مشهورة .

ومؤلف النص يروي عن الفضل بن الحسن البصري عن أبي نعيم والحربي من تلاميذ أبي نعيم ، فالفضل من أقران الحربي وهو من شيوخ وكيع في «أخبار القضاة» ، والحربي يروي عن الزبير مباشرة والمؤلف هنا لا يروي عن الزبير إلا نادراً وأكثر روايته عنه تأتي عن طريق تلاميذه ، وبعض هؤلاء التلاميذ يجل قدر الإمام عن الرواية عنهم مثل هارون بن محمد بن عبدالملك الزيات[٢٨] ، ولكن هارون هذا من مشائخ وكيع في «أخبار القضاة» وداود بن مهران ويوسف بن بهلول من مشائخ الحربي ولكن مؤلف المخطوطة يروي عن الرمادي عنهما ، والرمادي من شيوخ وكيع .

رابعاً : هذا الكتاب مليء بالأخبار والاحصائيات والتوثيق ، وكل هذه أشياء ليست غريبة من مؤلف كالقاضي وكيع واسع الاهتمام بشؤون الدولة الإسلامية .

ويتمتع بذهنية إحصائية ، ويميل إلى تتبع الأخبار ، مما نجده واضحاً في كتابه «أخبار القضاة» وفي حديث الذين ترجموا له[٢٩].

وبعد فهذا هو ماأردت تسجيله بخصوص الكتاب الذي نشره حمد الجاسر وسماه «المناسك» ورجح أن يكون للإمام الحربي، وقد رأينا أنه لا يمكن أن يكون الكتاب هو «المناسك»، وأن من المستبعد أن يكون الإمام الحربي هو مؤلف هذا الكتاب، وقد ساقتنا القرائن إلى ترجيح أن يكون القاضي وكيع هو مؤلفه، وأن يكون الكتاب هو «الطريق» الذي ألفه القاضي وكيع ، ويعرف بالنواحي يشتمل على أخبار البلدان ومسالك الطريق[٣٠] ولا يفوتني أن أنوه مرة أخرى بالجهد الذي بذله حمد الجاسر في تحقيق هذا النص ، وفي تأليف ذالك الكتاب القيم عن حياة الإمام الحربي ، والذي جعله مقدمة للتحقيق .

الرياض : د. عبدالله بن ناصر الوهيبي

الهوامش :

١) «غريب الحديث» ص ٤٧/١ .
٢) كتاب «المناسك» ص ٢٦١ .
٣) المصدر نفسه ص ٢٦٨
٤) كتاب «المناسك» ــ الطبعة الثانية ص ٧٩٩ .
٥) كتاب «المناسك» ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .
٦) مجلة «العرب» السنة الثالثة ص ١٩٣ ـ ١٩٨ ـ ٢٩٠ .
٧) كتاب «المناسك» ص ٢٦٨ .
٨) المصدر نفسه ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠ .
٩) The Northen Hijaz, Beirut 1972 pp 450-453
١٠) كتاب «المناسك» ص ٤٣٩ .
١١) المصدر نفسه ص ٤٢٨ .
١٢) المصدر نفسه ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥ .
١٣) المصدر نفسه ص ٤٥١ .
١٤) المصدر نفسه ص ٣٢٤ .
١٥) المصدر نفسه ص ٥٤٥ ـ ٥٧٣ .
١٦) المصدر نفسه ص ٦٢٢ ـ ٦٤٢ .
١٧) «معجم مااستعجم» ص ٦ و«المناسك» ص ٥٣٢ .
١٨) «معجم مااستعجم» ص ٨٥٩ ـ ٨٦٠ و«المناسك » ص ٥٩٤

شعر بشر بن أبي خازم الأسدي
في مخطوطة عمانية كانت مجهولة

وصف المخطوطة :

ومخطوطة أخرى مشابهة للمخطوطة التي وصفها الأستاذ محمد جبار المعيبد ، ونشر عنها « ديوان عَدِيِّ بن زيد العبادي » سنة ١٣٨٥ (١٩٦٥) ــ الحلقة الثانية ــ من (سلسلة كتب التراث) التي تصدرها (وزارة الثقافة والإرشاد) العراقية وهذه المخطوطة تحوي : ــ

١ ــ قطعة تقع في ١٧ صفحة من مقدمة « جمهرة أشعار العرب » تبتدئ من (ذكر ماحُكِيَ عن الشعراء أَيُّهُمْ أجودُ شعراً : خَبَرُ زُهير بْن أبي سُلْمَى ، قال الَّذِينَ قَدَّمُوا زهيراً)[1] إلى ــ : (وهذا أول ما افتككنا من أشعارهم التسع والأربعين ، وهو سِمْطُهُ ، ونسبه : امْرُؤُ القيس بن حُجْرٍ) وساق نسبه إلى هود

---

١٩) «تاريخ بغداد» للخطيب ٢٨/٦ عن الحربي و٢٣٥/٥ عن المروزي .

٢٠) «المناسك» ص ٩٢ وص ٣٠٦ .

٢١) المصدر نفسه ص ٧٤ وص ٣٧٣ .

٢٢) المصدر نفسه ص ٨٢ وص ٤٦٦ .

٢٣) المصدر نفسه ص ٥٤ وص ٤٩١ .

٢٤) انظر «غريب الحديث» مقدمة الدكتور العايد ص ١٢٧ ـ ١٣٥ .

٢٥) انظر «المناسك» ص ٥٧٥ ـ ٥٨٠ .

٢٦) انظر «غريب الحديث» مقدمة الدكتور العايد ص ١٤٩ .

٢٧) أحصى حمد الجاسر في مقدمة «المناسك» شيوخ الحربي من المحدثين وضم إليهم من روى عنه مؤلف المناسك على اعتبار أن الحربي هو المؤلف وبلغ عددهم ٢٠٦ منهم ثلاثة وثلاثون روى عنهم مؤلف «المناسك» انظر ص ٣٨ ـ ٨٢ ثلاثة منهم يرد ذكرهم في كتب الإمام الحربي وثمانية وعشرون هم من مشائخ وكيع كما قلنا . وخمسة منهم لا ذكر لهم لافي «أخبار القضاة» ولا في كتب الحربي .

٢٨) «المناسك» ص ٤٢٨ .

٢٩) الخطيب «تاريخ بغداد» ٢٣٦/٥ فقد ألف كتاباً في عدد أي القرآن والإختلاف فيه عده العلماء مرجعاً موثوقاً فأبو بكر بن مجاهد يعدل عن تأليف مماثل بعد أن اطلع على هذا الكتاب معلناً أن القاضي وكيعاً كفاه ذالك .

٣٠) «الوافي بالوفيات» ٤٣/٣ .

النبي ﷺ ، ثم بياض في آخر الصفحة ـ من ص ١ إلى ص ١٧ ـ .

٢ ـ يبدأ الكلام هكذا : (وقال امْرُؤُ القيس بنُ حُجْرٍ) ـ وبعد سياق نسبه إلى قحطان وتعليل اسم مَذْحِجَ : (قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّري[٣] ، قرأتُ شِعْرَ امْرِئ القيس على أبي جعفر محمد بن حبيب ، وأبي يوسف يعقوب بن السِّكِّيْتِ ، وإسحاق بن إبراهيم الزيادي ، وأبي حاتم السِّجِسْتَاني ، وأبي الحسن الطُّوسي ، وكان يقال لِامْرِئ القيس الملك الضِّلِّيْلُ ، ومات بأنقرة في بلاد الروم ، منصرفاً من عند قَيْصر ، وهو الأول من الطبقة الأولى من الجاهلية ، قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري[٣] : قرأتُ قصيدة امرئ القيس هذه على أبي حاتم والزيادي وعبدالرحمن بن أخي الأصمعي وأولها ـ انظر الصورة رقم (١) ـ :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ـ المعلقة المعروفة ـ

وبعدها كاملة في (٩١) بيتاً : (وقال أبو سعيد الحسن بنُ الحسين السُّكَّري[٣] : قرأتُ قصيدة امرئ القيس على المرزباني وعلى أبي حاتم وأولها :

أَلَا انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَل يُنْعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعُصُرِ الْخَالِي؟

ثم بعد هذه القصيدة يرد شعر امرئ القيس ، مبثوثة في ثناياه أخباره ، وفي مقدمة أكثر القصائد ذكر رواتها مع الإشارة إلى اختلافهم فيها .

وآخره ـ ص ٧٦ ـ : قال أبو سعيد : أخبرني أبو حاتم قال : مما زعم أبو عبيدة أنه محمول على امرئ القيس قصيدة قرأتُ منها أربعة عشر بيتاً في صفة الخيل ، وهي ثلاثون بيتاً ولم يثبتها الأَصْمَعِيُّ أولها :

صَحَى الْقَلْبُ عنْ ذِكْرَى لَمِيسَ فَأَقْصَرَا وَجُنَّ بِهَا مَاجُنَّ ثُمَّتَ أَبْصَرَا

قرأت عليه سبعة أبياتٍ زعم أنها مما يُحْمَلُ على امرئ القيس أولها :

الْخَيْرُ مَا طَلَعَتْ شَمْسُ ومَا غَرَبَتْ مُعَلَّقٌ بِنَواصي الْخَيْلِ مَعْصُوبُ

وقال امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو آكل المرار بن حجر
بن معاوية بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مرتع وهو عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندي
بن سبئي بن الحرث بن نمر بن ادد وهو يزيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب
بن يعرب بن قحطان بن ادد هند وهي مدحج وانما سميت بذلك لانها ولدت على الكمه يقال لها
قال ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري قرأت شعر امرئ القيس على ابي جعفر محمد بن حبيب وابي يوسف
يعقوب بن السكيت واسحاق بن ابراهيم الرمادي وابي حاتم السجستاني وابي الحسن الطوسي
وكان يقال لامرئ القيس الملك الضليل ومات بانقرة في بلاد الروم منصرفا من عند قيصر وهو
الاول من الطبقة الاولى من الجاهلية قال ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري قرأت
قصيدة امرئ القيس هذه على ابي حاتم والرمادي وعبد الرحمن بن اخي الاصمعي واولها
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل
خلاء تسح الريح فيها كأنما كستها الصبا سحق الملاء المسلسل
ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل
كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل
وان شفائي عبرة لو سفحتها وهل عند رسم دارس من معول
كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل
اذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل

الصورة رقم (١)

وقرأتُ عليه ثمانية أبيات من واحدةٍ زعم أنها مما يُحْمَلُ عليه وهي ثلاثون بيتاً أولُها :

صَرَمْتَكَ بَعْدَ تَوَاصُلٍ دَعْدُ وَبَدَا لِدَعْدٍ بعضُ مَا يَبْدُو

وقرأتُ عليه خمسة أبياتٍ من واحدةٍ على الباء ، زعم أنها مما يُحْمَلُ عليه ، وهي ثلاثون بيتاً أولها :

لِمَنِ الدِّيَارُ[٤] تَعَفَّتْ ذُو حُقُبْ بِجَنُوبِ ٱلقَوِّ أَقْوَتْ فَالْخَرِبْ

وقرأت عليه خمسة عشر بيتاً من واحدة على اللام مما يُحْمَلُ عليه ، يقول فيها :

وغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ جَنَّتْ تِلاَعُهُ وَأَبْرَزَ عَنْ نَوْرٍ كَتَوْشِيَةِ الرَّقْم

وقرأت عليه ستة أبيات من واحدة على[٥] مما يُحْمَلُ عليه ، يقول فيها :

وقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ ضَوْءِ الصَّبَاحْ بِمُنْجَرِدِ الشَّدِّ مُسْتَجْمِعِ

قال أبو عبيدة : ويُرْوَى لامرئ القيس قصيدة مصنوعة زعم الناس أنها لحَمَّاد ، أولها :

ذَكَّرْتَ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَعُودَا[٦] فَهَاجَ التَّذَكُّرُ قَلْباً عَمِيْدَا

قال أبو حاتم : ومما يُحْمَلُ على امرئ القيس من الشعر أكثر من الصحيح ، فنون المحمول (؟) عليه قال : أهل الكوفة مثل حماد وجُنادة وابن الخصاص[٧] ، قال : افسدوا شعره ، ومما يُحْمَلُ عليه وليس له فيما زعموا منه إلا بيت واحد :

إنَّ الشَّقَاءَ عَلَى ٱلأَشْقَيْنَ مَصْبُوبُ

وهو شعر حسن ، ليس له منه إلا هذا البيت ، لاشك أنه له ، ومما أثبتَ أَبُو عُبَيدة لامرئ القيس ولم يجيء[٨] الأصمعي قال أبو عبيدة قال [ ][٩] :

أَبْلِغْ بَنِي زَيْدٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ وأَبْلِغْ بَنِي لُبْنَى وأَبْلِغَ تُمَاضِرَا
وَأَبْلِغْ وَلاَ تَتْرُكْ بَنِي ابْنَةِ مِنْقَرٍ أُفَقِّرُهُمْ إِنِّي أُفَقِّرُ جَابِرَا
أَحَنْظَلُ لَوْ كُنْتُمْ كِرَاماً صَبَرْتُمُ وَحُطتُّمْ ولاَ تَلْقَى التَّمِيْمِيَّ صَابِرَا

قال أبو سعيد قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال حدثنا محمد بن عبدالله قال حدثني محمد بن جعفر ــ رجل من أهل الحديث ــ قال : كان امرؤ القيس رجلاً[١٠] مُفَرَّكاً فتزوج امرأةً من طَـيِّءٍ فلما [ ][١٢] سبق إلى قلبها ماكان يسبق منه إلى قلوب النساءِ ، فأيقظته من نومته ، وقالت : يافتى الفتيان أصبحت فَاغْدُه ، فقام فإذا الليل على حاله معتكر ، فلما وضع جنبه قالت : يافتى الفتيان أصبحت فاغْدُهْ ، فقام فإذا الليل على حاله ، فعلم أن ذالك ضجر منها فجعل يقول : أصبح ليل : فلما برق الفجر قال لها : قد رأيت ما صنعت مذ الليلة ، فأنت الطلاق ، فأخبريني ماكرهت مني قالت: كرهت والله منك ثقل صدرك ، وخِفَّةَ عجزك، وانك سريع الهراقة، بطيء الأفاقة، قال: بلى[١٣] أخبرك عنك؟ قالت: بلى [ ][١٢] ما أعفيتني . قال: أنْتِ والله الناتية الجبهة ، الحديدة الركبة ، الواسعة الثقبة ، السريعة [ ][١٢] فجعل يقول لها : لعنك الله ، وتقول له : لعنك الله ــ تَمَّ ماوجدته من ديوان امرئ القيس ، والحمد لله حق حمده ، وصلواته على خير خلقه محمد . . . ــ من ص ١٩ إلى ص ٧٧ ــ .

٣ ــ بعد البسملة : (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، قال أبو يوسف يعقوب بن السِّكِّيتِ قال : كان حديث طرفة) ثم ساق نسبه إلى عدنان ، وأورد طرفاً من أخباره مشوباً بشعره ، مَبْدُوْءاً بقوله : (قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة إخوة أنجب ، ولا أعدل ، ولا أكثر فرساناً من بني ثعلبة واسترسل في سرد الأخبار ، تتخللها أشعار ، ثم بدأ يسرد القصائد أولها :

لَـو كَـانَ فِي أَمْـلَاكِنَـا أَحَـدٌ ... يَـعْصِرُ فِينـا مِثْـلَ مَـا نَـعْصُرْ

وقد يشير في أول القصيدة إلى الاختلاف في روايتها كأن يقول : (لم يروها الأصمعي ، وأثبتها أبو عبيدة وأبو عمرو) أو أن يقول : (ولم يروها الأصمعي ولا أبو عبيدة ، ولا أبو عمرو) ــ انظر الصورة رقم (٢) ــ .

وآخر الشعر ، هذه القصيدة التي قال عنها : (وقال طرفة ، ولم يروها الأصمعي ولا أبو عبيدة ، ولا أبو عمرو :

إلا أيُّـهـا الْغَـادِي تَحَمَّـلْ وَصِيَّـةً ... إلى خَالِدٍ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيـاً

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ وما توفيقي
الا بالله عليه توكلت قال ابو يوسف يعقوب بن السكيت قال كان حدث
والعبد بن سفيان بن سعيد بن مالك بن ضبيعة قيس بن ثعلبة وهو الحصن بن عكابه بن صعب
بن مرعلي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن اقصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة
بن نزار بن معد بن عدنان ٥ قال ابو عبيدة ليس في العرب اربعة اخوة انجب ولا اعد ولا
اكبر وسادة من بني ثعلبة بن عكابه وكان يقال له الاغر والحصن وبنو شيبان وهلال
وقيس وتيم الله وقيل عمرو بن هند اباه وبرد وذلك ان المنذر وما لك بن المنذر وقابوس
بن المنذر تزوجت بنت اجبها امامه سلمة بن الحارث بن عمرو فتزوجها وطلق
عنها قال ابو يوسف سمي اكل المرار ان بن الهبولة الغساني اغار على مال الحرا كل المرار
فسلبه وسبى بنته فقال له كانك بابي وقد اتاك في طلبي كانه جمل اكل مرارا اي عابس فلحقه
المرار فقتله واستقدمها فقالت المنذر ٥ كبرت وادركها بنات اخ لها
تزوجن امتها بركض معجل ٥ قلد له امامة عمرو فلما ملك عمرو بن هند وهو الثاني
من ملوك الحيرة من العرب وكان يقال له مضرط الحجارة لشدته استعمل اخوته من امه وقطع عمرو
امامة ٥ انا ابن اقدم ما بدا ولك الخورنق والسدير ٥ فلا منعن منابت النعمان
ان لم تمنع المقصور ٥ بكتايب ترمي كما ترمي لك الجيف النسور ٥ ابي بنو العلات
حين دون شاهدنا الامور ٥ ثم لحق ماتيم فاتى ملكها وتبعه ناس من قومه فلما ان
كانوا بعين اباغ مر معه طرفة بن العبد وكان طرفة خلف ابلا لابيه في حوار فاوتر عمرو بن قيس
ابن مسعود بن عامر بن عمرو بن ابي ربيعة فلما قدم عمرو بن امامة على الملك اليماني سأله ان يبعث
معه جندا يقاتل بهم اخاه عن نصيبه من ملك ابيه فقال له اختر ما احببت فاختار مرادا
بن مذحج معه فاقبل حتى نزل بهم وادي يقال له قضيب من ارض قيس غيلان فقالوا ومن مراد
فقالوا لا تركتم اموالكم ودياركم وعشايركم وتبعتم هذا الاثكد فما رضي هبيرة بن عبد
يغوث بن عمرو من العريك بن سلمة بن مذ بن عامر بن عوذبان وشرب ماء الرقه وهو البين
لرقوده وهو صاحب مراد فبلغ ذلك عمرا فبعث اليه طبيبا وقد شرب هبيرة بن يغوث
سم ليقتل بها حين دخل الطبيب على فاد خل الطبيب مكاويه في الماء ثم جعل يضعها على

في (٢٢) بيتاً ـ وتبدو فيها آثار الصنعة ـ وبعدها (آخر شعر طرفة بن العبد في جميع الروايات ، والحمد لله حق حمده) ـ من ص ٧٨ إلى ص ١١٧ ـ .

٤ ـ وفي آخر ـ ص ١١٧ ـ بعد البسملة : (قال زهير بن أبي سلمى) وبعد سياق نسبه إلى (نزار بن معد بن عدنان ، المري الغطفاني[١٤] يمدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان المُرِّيَّيْنِ :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ـ المعلقة ـ

ثم شعر زهير مسروداً بدون ترتيب على الحروف ، وليس فيه مايشير إلى جامعه ، وقد ورد في مقدمة إحدى القصائد ـ ١٥٦ ـ : قال (زهير يعاتب أم كعب امرأته وهي كبشة بنت عمار من عبدالله بن غطفان ، لم يروها المفضل ، وهي من كتاب حماد [ ][١٥] :

فِيمَ لَحَتْ إِنَّ لَـوْمَهَـا ذَعِـرُ؟ أحميت لَـوْمـاً كَـأَنَّـهُ ٱلإِبَـرُ

وآخره : (قال زهير لبني الصَّيْداء :

وَلَـقَـدْ نَهَيْتُكُمُ وَقُلْتُ لَكُـمْ : لَا تَـقْـرَبُنَّ فَـوَارِسَ الـصَّـيْـدَاءِ

ثم ثلاثة أبيات بعدها : (تم ديوان زهير بن أبي سلمى المزني ـ بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآله وسلم تسليماً كثيراً ـ) ـ من ص ١١٧ إلى ص ١٦٠ ـ .

٥ ـ بعد البسملة والاستعانة : (وقال النابغة الذبياني يمدح النعمان بن امرئ القيس بن النعمان بن المنذر ، يعتذر إليه ، والنابغة اسمه زياد بن معاوية ـ ثم سياق النسب إلى نزار ـ :

يَـادَارَ مَيَّـةَ بِـٱلْعَلْيَـاءِ فَـالسَّنَـدِ أَقْوَتْ فَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ ٱلْأَمَدِ

بعدها أخبار تتعلق بالنابغة عن أبي عمرو ، وابن الأعرابي ، وأبي عبيدة تتخللها أشعار طرفة ـ انظر الصورة رقم (٣) ـ .

يخب لجميع عاصبا بين دابه ٭ على حاجبيه من غبار القنا بل
وخلوا له بين الحباب وعالج ٭ فرق الخليط ذي الاذاة المزايل
ولا اعرفني بعد ما قد نهيتكم ٭ اجادل يوما في سوي وجاهل
وبيض عذيرات تفيض دموعها ٭ بمستكره بين رينه بالانامل

قال حدثنا ابو عبيده قال قال ابو عمرو بن العلا مشيوخا اهل يثرب قال قال حسان بن ثابت شهدت من النابغة ملاثا لا ادري على ايهن كنت له احسد خرج النعمان متمطرا لا يصنع له بالقرين فاذا بالنابغة قد اقبل بين مضروب بن رمان وبين رجل آخر لم يسمه محتضنا وقال الاصمعي بين زياد العبسيين فلما راه النعمان قال يدم كانت احوى فقالا ايت اللعن لا يثريب فانا قد احزناه فانشد هذه الكلمات الثلاث الذي اعتذر اليه فيهن فجدد له على حوده ثم رجع واقبل على بكلمة فجدد له ثم اعرله بما يريشهام عصافيره وحمامه وانيه من فضه فجدد له قال الاصمعي كان الملوك اذا وهبوا ابلا جعلوا في اسنمتها ريشا ليعلم انها من عطا الملك وقال غيره بريشها اي برحالها واداتها قال والعصافير ابل كانت للنعمان قال ابو عمرو بن العلا فضربت عليها قبة وبعث اليها فصنت ليتخضبا مع قينة يرد مع جاريه له فقال ابدي يا شيخ فخضبته فجعلا لا يوانيان تقفيه الابد بالنابغه فقالت للنعمان ان معها شيخا لا يوانيان شيء الا امران يبدأ به ثم دسا الى قينته له ثلاثة ابيات من اول قوله يا دار مية بالعلياء فالسند فان غنته اذا اراد ان ينام بهن وكذلك كان يفعل مملوك الاعاجم فلما سمعهن قال هذا شعر النابغة هذا شعر علوي

وقال يعتذر الى النعمان المنذر

اتركتما جدا امر سعاد تجنب ٭ عفت بروضة الاجارد منها فتقب
عفى آية بر الجنوب مع الصبا ٭ وابن مران عرنه متصوب
فلم تتق الا الاراخيم منصبا ٭ وسفا على اس ونؤي مثعلب
بدت بها سعدي وفي العيش غرة ٭ فاصبح باقي وصلها يتقضب
وابدت سوارا من وشوم كانها ٭ بقية الواح عليهن مذهب
ديار هم اذ هم لاهلك جيرة ٭ واذهي لا يستطاع منها التجنب

وتنتهي بما هذا نصه : (وقال يعتذر إلى النعمان وهم بنو الشقيقة بنت أبي ربيعة ابن ذهل بن شيبان ، وزعموا أنه هجا الملك في قوله :

خَبِّرُوني بَنِي الشَّقِيقَةِ مَا يَمْـ ـنَعُ فَقْعاً بِقَرْقَرٍ أَنْ يَزُولاَ

ثم ستة أبيات وينقطع الكلام ببياض الصفحة ـ من ص ١٦١ إلى ص ١٩٩ ـ .

٦ ـ بعد البسملة : (وقال الأعشى ، واسمه ميمون ـ وبعد سياق النسب إلى عدنان ـ قال يمدح الأسود بن المنذر ـ أخو النعمان بن المنذر ـ أم الأسود من تيم الرباب ، وكندة يزعمون أنه الأسود الكندي ثم أحد بني الار . . .[١٦] ـ فقال :

مابُكَاءُ ٱلكَبِيرِ بِالأَطْلاَلِ ؟

يتبعها الشعر خالياً من الأخبار والشروح ، أو الإشارة إلى جامعه ، سوى إيراد خبر يوم (سَاتيدَمَا) ومسير قيصر إلى كسرى أنُوشروان ، وذكر مدح الأعشى إياس بن قبيصة الطائي بالقصيدة التي مطلعها :

مَاتَعِيفُ الْيَوْمَ فِي الطَّيْرِ الـرَّوَحْ مِنْ غُرَابِ الْبَيْنِ أَوْ تَيْسٍ بَرَحْ

وفيه أخبار منسوبةٌ إلى أبي عبيدة ذات ارتباط ببعض القصائد .

وفي مقدمة إحدى القصائد : (لم يَرْوِهَا أبوعبيدة ولا ابن حبيب ، ورواها أبوعمرو) .

وفي مقدمة أخرى : (رواها أبوعبيدة وأبو عمرو ، وخالد بن كلثوم) .

وآخر الشعر : (قال أبوعبيدة : أنشدنا أبوعمرو بن العلاءِ للأعشى بيتين يعتذر فيهما في مدحه شيبان :

مَتَى تَقْرِنْ اَصَمَّ بِحَبْلِ أَعْشَى يَلُحَّا فِي الضَّلاَلَةِ وَالْخَسَارِ
فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ شَيْئاً يَرَاهُ وَلَيْسَ بِسَامِعٍ مِنِّي حِوَارِي

وقال الأعشى :

لَقَدْ أَذُمُّ أَصْحَابِي وقد يُصْبِحُ بالقيّ[١٧]

ثم بياض مقدار سطر كتب في وسطه (لعله منقطع) وتحته : (آخرُ شعر الأعشى ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليماً كثيراً) ــ من ص ٢٠١ إلى ص ٣٣٨ ــ .

٧ ــ بعد البسملة : (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، قال لبيد بن ربيعة) ــ وسياق نسبه إلى عدنان ، ثم معلقته ، ثم شعره خالياً من الأخبار والتعليقات التي تفصح عن جامعه . وآخره القصيدة التي آخرها :

وَجَـدتُّ الْجَـاهَ وَالْأَكْـالَ فِيْنَـا وَعَـادِيَّ الْـمَـآثِـرِ وَالْأُزُومِ

في ثلاثة وعشرين بيتاً ــ ثم (تم ، آخر ماوجدته من شعر لبيد بن ربيعة ، والحمد لله رب العالمين) ــ من ص ٣٣٩ إلى ص ٤٠٣ ــ .

٨ ــ بعد البسملة : (وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم ، قال بشر بن أبي خازم) وسَأُفَصِّل عنه الحديث بعد ــ من ص ٤٠٥ إلى ص ٤٥٧ ــ .

٩ ــ بعد البسملة : (وبه ثقتي ، وقال عبيد بن الأبرص ــ الأسدي ــ بن جشم بن عامر بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ـ ويقال إنه كان يخطب بهذه القصيدة في الجاهلية ، في عروض النوع الأول من البسيط :

إنْ بُـدِّلَتْ مِنَ أَهْلِهَا وُحُـوشـاً وَغَـيَّـرَتْ حَـالَهَـا الْخُـطُوب
أَقْـفَـرَ مِـنْ أَهْـلِهِ مَـلْحُـوبُ فَـالْقُـطَّبِيَّـاتُ[١٨] فَـالـذَّنُـوبُ

ثم سرد أشعار عبيد خالية من الإضافات ، ومن ذكر جامعها . وآخرها : (قال محمد بن عمرو الشيباني : كان من حَدِيث قتل عبيد : أن المنذر بن ماء السماء بني الغريين) وآخُر الخبر : (وأبى أن ينشدهم شيئاً فأمر به فقتل . آخرَ شعر عبيد بن الأبرص ، تم ماوجدته) ــ من ص ٤٥٨ إلى ص ٤٧٩ ــ .

١٠ ــ بعد البسملة : (وبه ثقتي وهو حسبي وقال عدي بن زيد) ــ وسياق نسبه إلى عدنان ــ ثم شعره على مانشر الأستاذ محمد جبار المعيبد ــ من ص ٤٨٠ إلى ص ٥٠٤ ــ وفي آخره : وجدت في النسخة مكتوباً أن جميع الزيادات

المضافات على هذا الشعر قد اختار المؤلف ماصح معه أنهن لهم ، وطلع من المضافات والله أعلم ، تمت الدواوين بعون الله . . وكان تمامه على يد العبد الفقير لله تعالى ربيعة بن هلال بن ربيعة بن هلال بن رجب بن عريمة في ضحى الاثنين لتسع ليال خلت من شهر شعبان سنة اثنتين وسبعين سنة من هجرة الرسول عليه السلام لمالك قرطاسه الملك الأعظم . . . . فلاح بن المحسن بن سليمان بن مظفر ابن سليمان بن نبهان . . .) باختصار ــ انظر الصورة رقم (٤) ــ .

وآل نبهان هاؤلاء من سلاطين عُمان في القرن العاشر الهجري، وفلاحٌ هذا على ماذكر العلامة ابن حميد السالمي في « تحفة الأعيان »[١٩] ــ : تولى الحكم من سنة (٩٧٣) إلى سنة (٩٨٠) ومن هنا يتضح أن تاريخ الكتابة هذه هو سنة (٩٧٣) فهل هذا تاريخ نسخ هذا القسم من هذه المجموعة ، سيأتي ما يؤيده .

١١ ـ وقد ألحق بالمجموعة من الأوراق ماتشبه كتابته كتابتها ــ من ص ٤٨٠ إلى ص ٥٠٤ ــ تحوي :

قصائد لا رابط بينها سوى ورودها في « جمهرة أشعار العرب » منها اثنتان من (المنتقيات) هما قصيدة المرقش بن ربيعة بن سعد :

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ دَمْعُ عَيْنِكَ يَسْفَحُ؟ غَـدَا مِنْ مَقَامٍ أَهْلُهُ فَتَـرَوَّحُوا

وقصيدة دريد بن الصمة :

أَرَثَّ جَدِيْلُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ؟ بِعَـاقِبَـةٍ وأَخْلَفَتْ كُـلَّ مَـوْعِـدِ

وثلاث من (المذهبات) قصيدة حسان بن ثابت ، مقدمة بجملة : (وقال حسان ابن ثابت ــ وهذه المذهبات ــ :

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ حَقاً لَمَا نَبَا عَلَيَّ لِسَانِي فِي الْخُطوبِ وَلاَ يَدِي

وقصيدة عبدالله بن رواحة :

تَـذَكَّرْتُ بَعْـدَمَا شَـطَّتْ نُجُـودَا وكَـانَتْ تَيَّـمَتْ قَـلْبِي وَلِيْـدَا

4025c

وأبدت لي الأيام والدهر آنية ... فأرحت من لا يصلح الأمر يفسد

وأكسبت لذات الفتى وأصابني ... قوارع من تصبر عليها يخلد

ومن لم يكن ذا ناصر يوم حقه ... يغلب عليه ذا النضير ويضهد

وفي كثرة الإيدي عن الظلم زاجر ... إذا أحضرت أيدي الرجال يشهد

والأمر المأمور غير مغبة ... من الأمر في المعسورة المتردد

فكاسب مجد أو تقوم نوائح ... على ليلة نادبات وعوّد

يحن على ميت ويعلن رنة ... يورق على كعب باك ومسعد

وجدت في النسخة ملكوتا ان جميع الزيادات المضافات على هذا
الشعر واختيار المؤلف ما صح معانيهم وطلع من المضافات
والله اعلم تمت الدواوين بعون الله وقوته وكرمه وصلواته
على خير خلقه محمد النبي واله وسلم وكان تمام على يد العبد الفقير الى الله تعالى
رسعد هلال رسعد هلال راجي عفو ربه في صحي الاسبوع لثمان
خلت من شهر شعبان سنة اثنين وسبعين من هجرة الرسول صلى الله
لمالك رقاب الملك المعطي الواحد الكريم الهاشمي
الحسيب الاسد فالح المحسن سليمان بن
مطهر سليمان سبهان حمد الله جلله
وسلطانه محمد النبي واله
وسلم فسلم اولا
حول ولا قوة
بالله العلي العظيم

الصورة رقم (٤)

وقصيدة قيس بن الخطيم :

أَتَعْرِفُ رَسْماً كَالطِّرَادِ[٢٠] ٱلْـمَذَاهِبِ لِعَمْرَةَ قَفْراً غَـيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ

ثم : وقال الشجوي(؟) :

مَـراضَى نَحْنُ لَيْسَ لَنَـا طَبِيْبُ وَمَهْجُـورِيْنَ لَيْسَ لَنَا حَبِيْبُ[٢١]

في إحدى عشر بيتاً ، فبياض شمل ثلثي الصفحة الـ(٥١٣) ثم « لامية العرب » المعروفة للشنفرى ، وهي آخر هذه المجموعة ــ والقصائد هذه من ص ٥٠٥ إلى ص ٥١٧ ــ .

وآخر المجموعة كتابات تتضمن أسماء بعض مالكيها ومنها : (هذا لخادم إمام المسلمين بلعرب بن سلطان بن سيف ، أعزه الله تعالى ورضي عنه ، وهو الخادم الأقل سعيد بن عبدالله بن محمد بن ماجد بن أحمد بن سليمان كتبه سعيد بيده) .

وهذه الكتابة حديثة بالنسبة لكتابة المخطوطة ، وتحتها كتابة قد رُمِجَتْ ، لم يتضح منها سوى التاريخ (نهار الأحد عشر ليال خلون من شهر جمادى سنتين وستين سنة وألف سنة من الهجرة) تتعلق باسم أحد مالكي النسخة .

إن اسم بلعرب بن سلطان يؤيد أن تاريخ الكتابة هو ماتقدمت الإشارة إليه ، سنة اثنتين وسبعين وتسع مئة ، لأن بلعرب هذا من حكام عُمان المشهورين ، الذين تولوا الحكم بعد بني نبهان الذين كتبت النسخة باسم أحدهم فلاح بن محسن ، وقد ذكر الشيخ عبدالله بن حميد السالمي في « تحفة الأعيان »[٢٣] أن بلعرب ابن سلطان بويع في ١٦ ذي القعدة سنة احدى وتسعين وألف (١٠٩١) ، فكَأَنَّ هذه النسخة من المخطوطة توارثها اثنان من حُكَّامِ عمان فلاح بن المحسن سنة (٩٧٢) ثم بلعرب بن سلطان .

وقد بقيت في عُمان حتى استقرت الآن في (دار المخطوطات والوثائق) في مدينة مسقط ، تحمل الرقم ٢/١٣٣٢ز .

وقد اطلعت عليها حين زرت هذه الدار في يوم الأربعاء ١٤٠٧/٣/١٠هـ ،

وطلبت من أخي الأستاذ يحيى البشر ـــ الملحق التعليمي لبلادنا ـــ طلبت منه المساعدة في تصويرها ، فكان أن اتصل بالسيد الجليل فيصل بن علي بن فيصل ـــ وزير التراث القومي والثقافة ـــ في سلطنة عُمان ، فأفضل زاده الله فضلاً وتوفيقاً ـــ بصورة منها ، ومن كتاب « مختصر معجم الأدباء » للتكريتي .

وهذه المخطوطة تقع في (٥١٧) صفحة ، في الصفحة (٢٠) سطراً ، والخط نسخيٌّ حسن ، والكلمات مشكلة بالحركات ، ولكن الناسخ لا يبصر موضع قدمه ، فهو كثيراً ما يصحف الكلمات والأسماء المعروفة .

وفي بعض الصفحات بياضٌ يدل على أنه قد ينقل عن أَصْلٍ ناقص ، أو لم تتضح له الكتابة ، وقد يشير في بعض الهوامش إلى نقص النسخة التي ينقل عنها ، وقد يفسر بعض الكلمات في الهامش[٢٤] .

ومع ما تقدم ففي الدواوين التي ضمتها هذه المجموعة ماهو جدير بالدراسة .

وهذه المخطوطة أقدم من المخطوطة التي وصفها الأستاذ محمد جبار المعيبد في مقدمة « ديوان عدي بن زيد » التي هي في المكتبة العباسية لأسرة آل باش أعيان في البصرة ، وقد يستفاد بمقابلة المخطوطتين فيما يراد التثبت منه من محتوياتهما .

ولقد كتب الأستاذ محمد جبار المعيبد في مقدمة « ديوان عدي » في وصف تلك المخطوطة التي اطلع عليها ، وفيها ديوان بشر بن أبي خازم ـــ مانصه[٢٥] : (هذه النسخة من ديوان بشر تختلف عن الديوان الذي طبعه الدكتور عزت حسن بزيادة (١٣) قصيدة ، مما يستوجب إعادة طبع الديوان) فحفزني هذا القول إلى مقابلة المطبوعة بالنسخة التي تحويها المجموعة العُمانية ، فاتضح لي أن الأستاذ المعيبد لم يجانف الحقيقة ، وإن لم يتفق عدد القصائد والمقطوعات التي وجدتها في المخطوطة العُمانية مع ماذكر الأستاذ ، إذ وجدت منها اثنتي عشرة ، هي قصائد سبع ، ومقطوعات خمس ، تحوي كلها من الشعر عشرة ومئتي بيت ، ووجدت مقدمات لبعض القصائد في المخطوطة لا ذكر لها في مطبوعة الأستاذ المحقق الدكتور عزت حسن .

ويلاحظ أن تلك المقطوعات والقصائد ملحقة بديوان الشاعر بشر ، بصيغة تدل على أن الديوان من عمل انسان لم تثبت لديه تلك الزيادات ، أو أنه لم يطلع عليها ، فقد جاء في آخر الديوان الذي يبتديء من الصفحة الـ (٤٠٥) وينتهي بالصفحة الـ (٤٥٧) جاء في الصفحة الـ (٤٤٣) مانصه : (هذا آخر شعر بشر في رواية أبي العباس ، وما يجيءُ بعد هذا من غير روايته) ثم يورد قصائد ومقطوعات ورد منها في مطبوعة الدكتور عزت حسن مقطوعات خمس هي ذوات الأرقام : (٢٧/٢٨/٣٤/٤٣/٤٥) .

ولابد من التساؤل عن (أبي العباس) هذا الذي روى شعر بشر ، ليس في هذا الديوان ما يوضح المعني به ــ ولكنه يروي عن ابن الأعرابي إذ يقول في مقدمة القصيدة الـ (٢٦) من الديوان المطبوع ص ١٢٣ ــ في المخطوطة ص ٤٣٨ ــ : (وقال بشر بن أبي خازم ، ولم يعرفها ابن الأعرابي ، وأبوعمرو يرويها لبشر ، وغير أبيعمرويدخلها في كتاب أوس ، وإذا دخلت في شعر أوس فهي أتم وأكثر) ويرد اسم الأخفش والمفضل في سياق بعض الأخبار المتعلقة بالشعر ، فهل أبو العباس هذا هو أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (٢٠٠/٢٩١هـ) ؟ لقد عمل ثعلب قطعة من دواوين العرب على ماذكر ياقوت[٢٦] ، ومنها « ديوان عدي بن الرقاع العاملي » الذي حققه الأستاذان الجليلان ، الدكتور نوري حمودي القيسي ، والدكتور حاتم صالح الضامن ، ونشره المجمع العلمي العراقي ، ولكن عمل ثعلب لا يقتصر على إيراد الشعر ، بل يضيف إليه إيضاح غوامضه ، فهل أَحَدُ نُسَّاخ شعر بشر جَرَّدَهُ من الشرح ؟! .

ويلاحظ أن مطبوعة الدكتور عزت حسن تزيد سبع[٢٧] مقطوعات أبياتها (٤٩) كما في بعض القصائد أبيات كثيرة لم ترد في المخطوطة التي تزيد فيها بعض القصائد أبياتاً يسيرة ، وأضاف الدكتور أبياتاً عثر عليها في مصادر ذكرها وهاهو ماورد في المخطوطة العُمانية من الشعر ومقدماته مما لم أره في المطبوعة .

أول الشـــعر[٢٨] :

بسم الله الرحمن الرحيم

وماتوفيقي إلا بالله العلي العظيم، قال بشر بن أبي خازم بن عوف بن حميري بن ناشزة بن أسامة بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان قالها في رجل من والبة يقال له مخزوم بن ضبا بن مخزوم ، وقال ابن الأعرابي : هو خزيمة بن ضبا بن مخزوم بن أسامة بن نمير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة ، وقال غيره : هو ضبا بن الحارث بن مخزوم ثم النسب على حاله ــ وأسرته بنو عامر بن صعصعة ، فمكث فيهم زماناً في جوار عتبة بن جعفر ، ثم [إن] أناساً من بني بكر بن كلاب فاخروه ففاخرهم ففخرهم ، فقتله رجل من أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فخرج عوف بن الأحوص بن جعفر غازياً في جيش ، فسار أياماً ثم بلغه الخبر ، فرجع ولم يتم غزوته ، فلقيه رجل من بني عامر ، فقال : قد قتلت بنو أبي بكر رجلاً من بني جعفر ، فسأله ما اسمه ، فلم يعرف اسمه ، فمال بالجيش كما هو ، فمر إبل بني أبي بكر وهي راعية ، فوجد فيها ابن مالك بن كعب ، أخي بني أبي بكر ، وكان سيد بني بكر ، ومالك هو جواب ، وإنما سمي جواباً لأنه كان يجوب الآبار أي يحفرها فوجده قد اصطبح من اللبن ، فأكثر ، فأحقبه على بعيره مشدوداً ، فسلح الغلام وقاء ، فلما قدم به الحي قبحوا ما صنع ، وقالوا : إنما كان ابن ضبا الذي قتل جار عتبة ، وقد بذلوا لنا الدية ، وإنما كان في لحاء ــ يريد ملاحاة ــ فأرسلوا الغلام وكسوه ، وانطلق إلى أهله فأخبرهم ، فقال أبو الغلام وهو مالك بن كعب : لا أرضى بالقود إلا من عوف نفسه نملأهُ من اللبن ثم نحقبه على بعير ، فقال : إنما صنعت هذا بغلام ولم أعلم فاصنعوا ببعض ولدي ما صنعت[٢٩] فأبوا ، وتركوا دية ابن ضبا ولم يأخذوها وهم يتراوضون على الصلح ، وقد طل دم ابن ضبا ، فجاء ابن ضبا المقتول يسأل في قومه ، فأتى بشر بن أبي خازم بخير ابله كلها خلفة ثم قال له : بشر : أبعير العام أحب إليك من مئة في قابل قال : بل مئة في قابل . فقال بشر بن أبي خازم في ذالك ، وكانت بين بني سعد بن ضبة وبين بني سعد بن زيد مناة حرب فأرسلت بنو ضبة إلى بني أسد يستجيرونهم حتى يفرغوا مابينهم ، فأجارتهم بنو

أسد ، وبنو أسد حلفاء لبني ذبيان فانطلقت بنو تميم فحالفت بني عامر على غطفان وأسد ، فانطلقت بنو عامر بن صعصعة ومن دخل فيهم يطلبون أوتارهم فنزلوا بماء يقال له النسار ، وأقبلت بنو تميم فنزلوا بالجفار ، فقال عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري : ابدأوا ببني عامر قبل أن تعلم بكم بنو تميم ، فساروا إليهم ، وقد كانت عامر جاءت قضها وقضيضها ، فاقتتلوا بينهم ، فغلبتهم بنو فزارة وأصابوا منهم ما أرادوا ، وأحبوا ، فلم يعلم بهم بنو تميم .

وقال بشر بن أبي خازم :

عَفَتْ مِنْ سُلَيْمَى رامةٌ فكَثِيْبُهَا وشطَّتْ بِهَا عَنْكَ النَّـوَى فَشَعُوبُهَا[٣٠]

ـ ٢ ـ

وغزا بشر طيئاً ثم بني نبهان فجرح فأثقل جريحاً ، وهو يومئذ يحمي أصحابه ، وإنما كان في بني والبة ، فأسرته بنو نبهان فخبأته كراهة أن يبلغ أوساً ، فبلغ أوساً أنه عندهم فكتموه ، فقال : والله ما يكون بني وبينكم خيرٌ أبداً حتى تدفعوه إليَّ ، وهم يكرهون أن يقتله ، فلما أبوا عليه أعطاهم مئتي بعير ، وأخذه فجاء به فوقد له ناراً ليحرقه ، وكان آلى إن قدر عليه أن يحرقه قال الأخفش فحدثني بعض بني أسد قال : لم تكن ناراً ، ولكن أدخله في جلد بعير حين سلخه ـ ويقال في جلد كبش ـ ثم تركه حتى جف عليه ، فصار فيه كأنه عصفور ، وبلغ ذالك أم أوس ، وهي سعدى بنت حصين ، وكانت سيدة قومها ، وقد أسنت فخرجت إليه فقالت : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أحرق هذا العدو لله الذي شتمنا . قالت : قبح الله رأيك ، وقبح أقواماً يسودونك أوْ يقتبسون من رأيك !! والله لكأنما أخذت به رهدنا[٣١] أما تعلم منزلته في قومه ؟ خل سبيله ، وأكرمه ، فإنه لا يرحض عنك ماقد قال فيك غيره ، وأيم الله لو فعلت ما استقلتم أنت ولا قومك أبدا ، فحبسه عنده ، وداوى جراحه ، وكتمه ما يريد أن يصنع به فقال : ابعث إلى قومك ليفدوك فإني قد اشتريتك بمئتي بعير . فأرسل بشر إلى قومه ، فهيئوا فداءهُ وبادرهم أوس فكساه من كسوة اليمنة ، وغير ذالك ، وحمله على نجيبه الذي يركب عليه ، وسار معه حتى بلغه أرض غطفان ، فجعل بشر

يمدح أوساً وأهل بيته ، مكان كل قصيدة هجاهم بها قصيدة يمدحه بها ، وقال بشر بن أبي خازم يمدح أوساً :

كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كافي وَلَيْسَ لِحُبِّهَا إِذْ طَالَ شافي[٣٢]

ـ ٣ ـ

وقال بشر بن أبي خازم :

تَنَكَّرَتَ المنازِلُ من سُلَيْمَى بِرَامَةَ فَالْكَثِيبِ إِلَى بَرَامِ
فَسَفْحِ ضَرِيَّةٍ فَخَلِيفِ صُبْحٍ فَنَخْلِ الْكَعْبَتَيْنِ إلى سَمَامِ
عفَاهَا كلُّ مُنْسَكِبٍ هَزِيمٍ كَأَنَّ رَبابَهُ رُبْدُ النَّعَامِ
ديارا قَدْ تَحِلُّ بِهَا سُلَيْمَى كَأَنَّ مُجَاجَهَا صفوُ الْمُدَامِ
فَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ مُوَثَّقَةٍ مِنَ النُّجُبِ السَّوَامِ
سَبُوحِ الْمِرْفَقَيْنِ إِذَا اسْبَطَرَّتْ عُذَافِرَةٍ تَخَيَّلُ فِي الزِّمَامِ
كأَنَّ البُرْسَ يَنْفَخُ فِي بُرَاهَا إِذَا ابْتَلَّ الْجَدِيلُ مِنَ اللِّغَامِ
كأَنَّ الرحْلَ مِنْها فَوْقَ جَأْبٍ أَقَبَّ الْبَطْنِ مِنْ وَحْشِ السِّقَامِ
مُضَبَّرة كأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا عَلَى ذِي عَانَةٍ نَعِرِ الْغَرَامِ
يشجُّ بِهَا الْحُزُونَ وَتَتَّقِيهِ بِسُمْرٍ كَالْمَدَاكِ مِنَ السُّلَامِ
لَهُ زَجَلٌ إِذَا اسْتَذْكَى عَلَيْهَا كأَنَّ سَحِيلَهُ شَكْوَى غُلَامِ
يُرَجِّعُ فِي الصُّوَى بِمُهَضَّمَاتٍ بحين الصدر(؟) من قَصَبِ الْكَلَامِ
فَدَعْ ذَا عَنْكَ واعْمِدْ فِي قَوَافٍ مُحَبَّرَةٍ إِلَى شَرِّ الأَنَامِ

إِذَا مَاقِيلَ : أَين لِيَامُ طَيٍّ أَشَارَتْ بِالْأَكُفِّ إِلَى ابْنِ لَامِ
لَعَمْرُكَ إِنَّ حَارِثَةَ ابْنَ لأْمٍ ضَعِيفُ الرُّكْنِ مِنْ قَوْمٍ لِئَامِ
فَبِئْسَ مُنَاخُ ضِيْفَانٍ جِيَاعٍ إِذَا انْتَابُوهُ فِي غَلَسِ الظَّلَامِ
أَتوعِدُنِي بِقَوْمِكَ يابْنَ سُعْدَى وَمَابَيْنِي وَبَيْنَكَ من ذِمَامِ
وأَنْتَ أَذَلُّ مَنْ يَمْشِي عَلَيْهَا إِذَا مَاالْحَرْبُ شَبَّتْ لِلضِّرَامِ
مَتَى مَا أَدْعُ فِي أَسَدٍ تُجِبْنِي عَلَى خَيْلٍ مُسَوَّمَةٍ كِرَامِ

تَعَادَى نَحْوَ دَاعِيْهَا سِرَاعاً كَمَا انْسَلَّ أَلْفَرِيْدُ مِنَ النِّظَامِ
جَنَبْنَاهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ شُعْثاً فَصَارَتْ بَعْدَ بُدْنٍ كَالْحَلَامِ
هُمُ تَرَكُوا عُتَيْبَةَ مُسْلَحِبًّا عَلَيْهِ الْعَاكِفَاتُ مِنَ الْهَوَامِي
وَيَوْمَ هَوَازِنٍ أَسْرَعْنَ فِيْهِمْ بِطَعْنٍ مِثْلَ تَشْقِيقِ الْهِدَامِ
وعُتْبَةُ أَوْجَرُوهُ ذَاتَ خِرْصٍ كَأَنَّ بِصَدْرِهِ شِعَلَ الضِّرَامِ
وأَفْلَتَ حَاجِبٌ تَحْتَ الْعَوَالِي عَلَى شَقَّاءَ يَطْعَنُ فِي اللِّجَامِ
وجَمْعُ بَنِي كِلَابٍ أَلصَقُوهُمْ بِأَطْرَافِ الْمَطَانِبِ وَالْخِيَامِ

— ٤ —

وقال بشر يمدح عمرو بن إياس ، وأمُّ إياس بنتُ عوف بن مُحَلِّم بن ذُهْلِ بن شيبان ، وأمها أمامةُ بنتُ كسر بن كعب بن زهير التغلبي ، زوجتها من عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ، وكان أبوها غائباً فولدت له عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، فأراد بشر عمرًا هذا ابن هند ، وهو ابن المنذر :

إِنَّ الفُؤَادَ بِآلِ كَبْشَةَ مُدْنِفُ قَطَعَ الْقَرِيْنَةَ غُدْوَةً مَنْ تَأْلَفُ(٣٣)

— ٥ —

وقال بشرُ بن أبي خازم :

أَلا تَفْدِي رُغَاءَ الْبَكْرِ أَوْساً بِسَوْطٍ مِنْ هِجَائِي يَابُجَيْرُ
وَسَوْطٌ كانَ أَهْوَنَ من قَواف كَأَنَّ رُعَالَهُنَّ رُعَالُ طَيْرِ

— ٦ —

كان غلام من الأبناءِ والأبناءُ وائلة ومرة ومازن وغاضرة وسلول بنو صعصعة ، وكل ولد صعصعة غير عامر يسمون الأبناء ، وأما سلول فإنها سلول بنت شيبان ابن ذهل بن ثعلبة ، تزوجها مرة بن صعصعة فولدت له عمراً ، فغلبت عليهم سلول ، فرمى الغلام الأبناوي بشراً بسهم فأثخنه ، والغلام من بني وائلة بن صعصعة ، وأن بشراً أسر الغلام الوائلي وعرف بشر أنه ميت ، فاتى (؟) بشر الغلام في بعض الطريق فأطلقه ، وقال : انطلق فأخبر أهلك أنك قتلت بشر بن

أبي خازم ، فسار الغلام وبلغ . وقال بشر بن أبي خازم :

أَسَـائِلَةٌ عُمَيْـرَةُ عَنْ أَبِيْـهَـا خِلَالَ الْجَيْشِ تَعْتَرِفُ الرِّكَابَا[٣٤]

ـ ٧ ـ

قال : وغزا بشر بن أبي خازم أرض اليمامة ، وقد كانوا (؟) بني حنفية أسروا سميراً أخاه ، فأطلقوه وأكرموه ، فلما دنا من أرض اليمامة قالت بنو أسدٍ : اغْزُ بني حنفية ! فقال : إن لهم عندي يداً ، ماكنت لأغزوهم ، وأغار على بني يشكر ، وبني ذهل بن ثعلبة ، وبني قيس بن ثعلبة ، فغنم وأصاب من بني قيس بن ثعلبة ، وقال بشر بن أبي خازم في ذالك :

جَنَّبْتُـهَـا قُـرَّانَ إِنَّ لِأَهْـلِهَـا عَلَيَّ هَدِياً أَوْ أَمُوتَ فَـأُقْبَرَا[٣٥]

ـ ٨ ـ

وقد كان بشر قال في منة بني حنيفة على أخيه سمير ، ولقى عند رجل من بني حنيفة ناساً من بني حنيفة (؟) يطلبون في أسارى لهم ، فطلب فيهم بشر حتى فداهم ، وقال بشر بن أبي خازم في ذالك :

لقـدْ دافَعْت عَلْقَمَةَ بْنَ عَمْـرٍو تُجَـاهَ الْبَابَ مُجْتَمَـعَ الْخُصُومَ[٣٦]

ـ ٩ ـ

وكان من حديث يوم قلاب أن بشر بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك ، أخو بني سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن أبي قيس بن ثعلبة ، ومعه عمرو بن عبدالله مساندة ، ويدعى ذا الكف الأشل لأنه كان أشل ، وكان بشر سيد بني مرثد يومئذ ، وقد كان أصاب في بني عامر فملأ يديه ، فلما دنوا من قلاب ـ وقلاب جبل ـ قال له عمرو بن عبدالله : إني أراك تأخذها كأنك تريد أن تعتسف الناس ؟ قال : أريد أن اجتزع قلاب ، حتى أخرج في ناحية أرض بني تميم ، فإنه أقرب، قال: فإن وراء هذا الجبل بني أسد قال : ما أبالي من لقيت !! وكان رجل عظيم الكبر ، فنهاه فأبى ، فقال عمرو : إني مائل نحو اليمامة ، فمال

ومعه بنو سعد بني ضبيعة ، وخرج بشر بن عمرو في بني قيس بن ثعلبة ، ومعه ثلاثة من ولده ، وكانوا فرساناً ، ومعه ناس من بني مرثد وغيرهم ، وكانت عقاب تجيء وتقع على خيل بني أسد ، فتصيح صيحتين ، فقال كاهن بني أسد : إنها تبشركم بغنيمة باردة ، فلم يعلم بنو أسد حتى هجم عليهم بشر ، وقد ملأ يديه من نعم بني عامر ، فثارت إليه بنو أسد برماحهم ، فقتلوا بشراً وثلاثة من بنيه ، صابروا معه ، وقتلوا رهطاً من بني مرثد وغيرهم ، وهزموهم وأصابوا ماكان في أيديهم .

وقال بشر بن أبي خازم في ذالك :

أَلَا هَلْ أتَاهَا كَيْفَ ضَارَبَ قَوْمُهَا بِجَنْبِ قُلَابٍ إِذْ تَدَانَى ٱلْقَبَائِلُ[٣٧]

ـ ١٠ ـ

قال : وكان بشر جعل على نفسه ألَّا ينبأ بغريبة من بني أسد الدهر ، إلا طلبها حتى يردها ، فابتنى (؟) بامرأة من بني أسد لم يدر ما صنعت ، ولم يدر من ذهب بها ، حتى طرق ليلة من الليالي أناس ؟ لا يعرفها ، فلم يزل بهم الذكر (؟) حتى قالت : أنا والله الذي ذكرت ، قال : أفلا تنطلقين ؟ ـ فباتت وقالت : كيف أذهب وأدع ولدي ؟ ، فقال في ذلك ـ ولم يعرفها ابنُ الأعرابي :

أجارَتَنا إنْ جَدَّ ذَالِكَ فَارْتَعِي يُوَدِّعْكِ مِنَّا وامِقٌ لَمْ يُوَدَّعِ
أَبَعْدَ لَيالِينا بِذِي النَّعْفِ نَلْتَقِي وَبَعْدَ مَصيفٍ بالثِماني وَمَرْبَعِ
وأَعْجَبها عَنْدَ ابْنِ عَجْلَانِ هَجْمَةٌ مُعَاوِدَةٌ أكلَ ٱلعِضَاهِ ٱلمُقَطَّعِ
وعملي يُضيْءُ بالمتان كأَنَّهَا(؟) يغالب موتى جلدها لم يمزع(؟)

ـ ١١ ـ

يوم اتقتنا عُقَيْلٌ بالحريش هَوىَ كُلُّ الفريقين مَحْرُوبٌ ومَسْلُوبٌ[٣٨]

هذا آخر شعر بشر ، في رواية أبي العباس ، وما يجيء بعد هذا من غير روايته .

قال : أنفذ أوس بن حارثة لأخذه بشر عمرو بن كريب أحد مصابيح الظلام ، فأخذه وأقبل به إلى أوس ، قال : يابشر غننا بما قلت فإنه[٣٩] سيغني بما هو مفعول به ، فأنشد بشر يقول[٤٠]

— ١٢ —

وقال بشـر :

أَلاَ أَبْلِغ خُـزَيْمَةَ حَيْثُ حَلَّتْ ... بِمَـا لاَقَتْ سراةُ بني شِـهَـابِ
وقَـيْسٌ قَـدْ أَصَـابَهُـمُ وَبَـالٌ ... بِقَتْـلِ سَرَاتِهِمْ بِلِوَى ٱلْجَنَـابِ
قَـتَـلْنَـا مِـنْهُـمُ بِشْراً وعَـمْـراً ... سَرَاةَ ٱلْقَـوْمِ فِي ظِـلِّ ٱلْعُقَـابِ
تَـرَكْنَا ٱلْخَيْـلَ عَـاكِفَـةً عَلَيْـهِ ... وَطَـوْراً يَـطَّلِعْـنَ إِلَى ذؤَابِ
قَتَلْنَـا بِشْـرَكُمْ فَـابْكُـوا عَلَيْـهِ ... وبِشْرٌ لاَ يـؤُوبُ مَـعَ الإِيَـابِ
وَقَـتَّـلْنَـا سَرَاةَ بَـنِي لُجَـيْـمٍ ... وتيمِ اللاَّتِ إِذْ وَرَدُوا لِجَاب[٤١]
تَـظَلُّ ٱلْخَيْـلُ تَـرْكَبُهُمْ رُكُـوبـاً ... بِحَـدِّ ٱلْمَشْـرَفِـيَّـةِ وَالْحِـرَابِ
وحَـلَّ ٱلْمَـوْتُ كَـلْكَلَهُ بِبَـكْـرٍ ... ورَهْطِ مُحَـرِّقٍ وَبَـنِي رَبَـابِ
مَـعَ ٱلْكُهَّانِ تَقْـدُمُهم (؟) جَميعاً ... وَيَـتْبَـعُ أَمْـرَهُ يَـوْمَ ٱلْخِـطَابِ
إِذَا قَـالُـوا وَقَـالَ لَهُمْ تَـوَلَّـوْا ... كَفِعْلِ ٱلْقَوْمِ أَلقُوا(؟) بِالصَّوَابِ
فَـأَوْرَدَهُـم لِحَـيْـنِهِـمُ حِيَـاضـاً ... وَخِيْمـاً شُـرْبُهَـا يَـوْمَ الشَّرَابِ
سَقَيْنَا ابْنَ ٱلْجَديعَةِ كَأْسَ سُمٍّ ... وَعَـفَّـرْنَـا الـلَّهَـازِمَ بِـالـتُّرَابِ
ويَشْكُرُ قَـدْ طَحَنَّـاهُمْ بِجَيْشٍ ... فَـأَعْـطَوْا بِـٱلْخَـزَائِمِ والـرِّقَـابِ
فَـأَنْعَمْنَـا عَلَيْهِمْ حِـيْنَ دَانُـوا ... وَمَانَـرْجُـوا بِـذَالِـكَ مِنْ ثَـوابِ
وتَغْلِبُ قَـدْ طَحَنَّـاهُم جِهـاراً ... بِـأَلْفٍ مِنْ كُهُـولٍ أَوْ شَبَـابِ
فَـقَـتَّـلْنَـا سَرَاتَهُـمُ وَأَبْـنَـا ... بِجُـرْدٍ كَـٱلْمَشِيقِ مِنَ ٱلْقِضَـابِ
وَمِـلْنَـا بِـالْجَفَـارِ عَـلَى تَمِيمٍ ... بِدُهْمٍ فِي ٱلْوَقَائِعِ غَيْرِ جَابِ(؟)
بِـأَيْـدِيْنَـا مَـثَـقَّـفَـةٌ صِـلاَبٌ ... وَبِيْضٌ كَـٱلْعَقَـائِقِ فِي السَّحَـابِ
وَأَفْلَتَ حَـاجِبٌ تَحْتَ ٱلْعَـوَالِي ... عَـلَى شَقَاءَ تَلْمَـعُ فِي السَّـرَابِ
وَلَـوْ أَدْرَكْـنَـهُ عَـفَّـرْنَ خَـداً ... كَـرِيماً غَـيْرَ مُؤْتَشِبِ النِّصَـابِ

مِنَ ٱلْغُـرِّ ٱلْـوُجُـوهِ بَنِي تَمِيمٍ ... ذَوِي ٱلْأَحْسَاب وَٱلْعُقَدِ الرِّغَابِ
وَمَـا سَلِمَتْ رَبِيعَـةُ فِي مُغَـارٍ ... وَلَا غَنِمَتْ رَبِيْعَـةُ من قِـرَابِ
وصَخْـرٌ كَـانَ خَـيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ ... وَمَـاوَلَـدَ الشَّـرِيْـدُ مِنَ الـرَّوَابِي
تَـرَكْنَا الـرُّمْحَ يَخْطِرُ فِي صَـلَاهُ ... ذَلِـيْـلًا بَـعْـدَ عِـزٍّ وَٱقْـتِرَابِ
شَجَـرْنَـا رَبَّ كِنْـدَهَ فِي مَكَـرٍّ ... بِـأَرْمَـاحٍ مُـثَـقَّـفَـةٍ صِـلَابِ
فَـوَلَّى جَمْـعُـهُ شَـلَلًا سِرَاعـاً ... خَـزَايَـا آيِسِـيْنَ مِنَ ٱلْإِيَـابِ
وَأَمَّـا رَهْطُ حَـارِثَـةَ بْنِ لَأْمٍ ... فَلُؤْمٌ قَـدْ تَـرَدَّدَ فِي الثِّيَـابِ
إِذَا عَـقَـدُوا لِجَـارٍ أَخْـفَـرُوْهُ ... وَضَـيْفُـهُمُ كَـعَـاوِيَـةِ ٱلْكِـلَابِ
وَلَا حَـسَـبٌ وَلَا عِـزٌّ قَـدِيْـمٌ ... وَلَا حِـلْمٌ وَلَا عَـقْـرٌ لِـنَـابِ
وَلَا صَبْرٌ لَدَى ٱلْغَمَـرَاتِ يَوْمـاً ... إِذَا مَـا ٱلْحَرْبُ شَبَّت لِلضِّرَابِ
إِذَا مَـاجَـاءَهُـم آتٍ بِـلَيْـلٍ ... تَعَـاوَوْا يَـزْجُـرُونَ عَنِ ٱلْقِبَـابِ
فَنَحْنُ ٱلْحَيُّ تَمْنَـعُ مِنْ يَـلَيْنَـا ... وَنَحْنُ السُّمُّ يُخْلَطُ بِـٱلْعَـذَابِ
خُـزَيْمَةُ مَعْشَرِي فِي كُـلِّ هَيْـجٍ ... إِذَا مَـا احْمَـرَّ أَجْنِحَـةُ ٱلْعِقَـابِ

— ١٣ —

وقال بشر بن أبي خازم :

تَدَارَكَنِي أَوْسُ بْنُ سُعْدَى بِنِعْمَةٍ ... وَقَدْ أَمْكَنَتْهُ مِنْ يَـدَيَّ ٱلْعَوَاقِبُ
فَأُقْسِمُ لَوْ كَـانَتْ زِنَادُكَ هَجْنَـةً ... لَأَوْدَيْتَ أَوْ سَاغَبْتَ فِيمَنْ يُسَاغِبُ
فِدًى لِابْنِ سُعْدَى جُلُّ كُلِّ عَشِيْرَتِي ... بَنِي أَسَـدٍ أَقْصَـاهُم وٱلْأَقَـارِبُ
فَـأُقْسِمُ لَاتَنْفَكُّ مِنِي مَـدَائِحٌ ... لَكُمْ آلَ سُعْدَى مَابَقِيتُ عَجَائِبُ
تُغَنِّي بِهَا الرُّكْبَانُ فَوْقَ رِحَـالِهِمْ ... لَهُمْ عَجَبٌ مَـاحَجَّ لله رَاكِبُ
أُكَذِّبُ نَفْسِي بِالَّذِيْ قُلْتُ كَاذِباً ... وَأَصْـدَقُ مِنْهَا مُحْكَمَـاتٌ غَرَائِبُ
فَهَـذَا لَكُمْ مِنِي حَيَـاتِي وَإِنَّنِي ... لَكُمْ عَامِدٌ ماعِشْتُ بِٱلْمَدْحِ دَائِبُ
لِأَنَّـكَ أَهْـلٌ لِلثَّنَـاءِ وَلِـلْعُـلَى ... وَأَنَّـكَ تَنْمِيْك الـذُّرَى وَالذَّوَائِبُ

وقال بشر بن أبي خازم :

وَلَقَدْ تَمَنَّانَا عُتَيْبَةُ فَاصْطَلَى ... مِنْ حَرْبِهَا بِسَعِيْرِهَا الْمُتَضَرِّمِ
إِذْ غَادَرَتْهُ الْخَيْلُ عِنْدَ مَجَالِهَا ... فِي صَدْرِهِ قِصَدُ الْقَنَا الْمُتَحَطِّمِ
وَلَقَدْ حَبَوْنَا عَامِراً مِنْ خَلْفِهِ ... يَوْمَ النِّسَارِ بِطَعْنَةٍ لَمْ تُكْتَمِ
كَانَتْ لَهُ عَاراً وَشَيْناً بِاسْتِهِ ... أَبْقَتْ بِهَا ضَخْماً كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ
وَنَجَا طُفَيْلٌ فِي الْغُبَارِ وَمَا حَمَى ... مَاخَلْفَهُ مِنْ مُجْحَرٍ مُسْتَلْحِمِ
وَابْنُ الشَّرِيْدِ قَدِ اسْتَمَرَّ بِطَعْنَةٍ ... بِمُجَرَّبٍ صَافِي الْحَدِيْدَةِ لَهْذَمِ
كَانَتْ جَوًى فِي جَوْفِهِ حَتَّى قَضَى ... مِنْهَا فَدُلِّيَ فِي قَلِيبٍ مُظْلِمِ
وَزَرٌ حَبَاهُ بِهَا وَلَوْلَا سَابِحٌ ... نَجَّاهُ مِنْ طعنِ الصَّمِلِّ الْهَيْضَمِ
وثَوَى مَعَ الْهُلَّاكِ غَيْرَ مُوَسَّدٍ ... يَنْتَابُ شِلْوَهُ كُلُّ سَبْعٍ شدْقَمِ
وَسَمَتْ لِجُحْرٍ قَبْلَ ذَاكَ جُمُوعُنَا ... بِالسَّمْهَرِيِّ وكُلِّ عَضْبٍ مِخْذَمِ
بِأَكُفِّ كُلِّ مُعَاوِدٍ يَوْمَ الْوَغَا ... حَامٍ حَقِيْقَتَهُ كَرِيْمِ الْمَقْدَمِ
يَرْمُونَهُمْ بِلَبَانِ كُلِّ طِمِرَّةٍ ... مَحْبوكَةٍ مِثْلِ الْهَرَاوَةِ صِلْدِمِ
وَبِكُلِّ أَجْرَدَ سَابِحٍ ذِي مِيْعَةٍ ... مُتَنَخِّلٍ مِنَ آلِ أَعْوَجَ يَنْتَمِي
[كانَتْ][٤٢] إِذَا خَضَبَ الدِّمَاءُ نُحُورَهَا ... شَكَتِ الْجِرَاحَ إِلَيْهِمْ بِتَحَمْحُمِ
وَجَرَتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَتَقَدَّمَتْ ... عَادَاتُهَا الْأُوْلَى وقِيلَ لَهَا : اقْدمِي
وَهَوَى ابْنُ أُمِّ قَطَامِ بَيْنَ رِمَاحِنَا ... يَكْبُو صَرِيْعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
[فَأَزَالَ][٤٢] عَنْهُ مُلْكَهُ وأَقَادَهُ ... حَيْنٌ بِمَنْزِلَةِ الْأَذَلِّ الْأَلأَمِ
وَأَخَابَنِي قَيْسٍ طَعَنَّا طَعْنَةً ... بِشْرَ بْنَ عَمْرو نَضْحُهَا كَالْعَنْدَمِ
[إِذْ][٤٢] زَارَنَا بِقُلَابَ فِي مَلْمُومَةٍ ... يَمْشُونَ فِي خَلَقِ الْحَدِيْدِ الْمُحْكَمِ
فَأَبِرْزَنَ[٤٣] جمعَ بني ضُبَيْعَةَ كُلِّهِمْ ... وَسَقَتْ بني عَجْلٍ بِمُرِّ الْعَلْقَمِ
رَجَعُوا بِكَبْشِهِمُ وَجِيعاً مُثْبَتاً ... قَدْ زُوِّدُوْهُ طَعْنَةً فِي الْمَحْزَمِ
تَرَكُوا عَمِيدَ بَنِي لُجَيْمٍ ثَاوِياً ... رَهْنَ الضِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ
فُجِعَتْ بِهِ طُراً لُجَيْمٌ كُلُّهَا ... وَبَكَتْ عَلَيْهِ بِالْعُيُوْنِ السُّجَّمِ

وابْنُ ٱلْجَدِيْعَةِ كَانَ كَاهِنَ قَوْمِهِ ... قَدْ قَلَّدُوْهُ كُلَّ أَمْرٍ مُعْظِمِ
يَغْزُو بِتَيْمِ اللَّاتِ لَا يَعْصُونَهُ ... شَيْئاً فَيَرْجِعُ جَيْشُهُمْ بِٱلْمَغْنَمِ
فَتَقَلْنَ سَيِّدَهُمْ وَأَدْبَرَ جَمْعُهُم ... لَا يَدْفَعُونَ لِمُرْهِقٍ عَنْ مَحْرَمِ
حَتَّى أَطَاعُوهُ فَأَوْهِنَ جَمْعَهُمْ ... يَوْمَ اللِّقَاءِ بِكُلِّ وردٍ ضَيْغَمِ
وَكَذَاكَ نَسْقِي السُّمَّ كُلَّ قَبِيْلَةٍ ... قِدْماً وَيُقْتَلُ ذُو اللِّوَاءِ ٱلْمُعْلَمِ
وَيَلِيْنُ جَانِبُنَا لِأَهْلِ وِدَادِنَا ... وَإِذَا أَتَانَا جَارِمٌ لَمْ يُسْلَمِ
حتى يُدَافِعَ مَالُنَا وَبِلَادُنَا ... عَنْهُ فَيَرْجِعَ وَافِراً لَمْ يُكْلَمِ

ـ ١٥ ـ

وقال بشر بن أبي خازم :

بَانَ ٱلْخَلِيطُ وَلَمْ تَزُرْ جُمَلُ ... وَخَلَتْ مَنَازِلُ لَمْ تَكُنْ تَخْلُو
مِنْهَا وكَانَ جِوَارُهَا سَكَناً ... فَنَأَتْ وَقُطِّعَ بَيْنَنَا ٱلْوَصْلُ
يَاجُمَلِ إِنَّا مِنْ مَعَاشِرَ لَمْ ... يُوْجَدْ كَحَبْلِ جِوَارِهِمْ حَبْلُ
وَلَا يَذُمُّ جِوَارَهُمْ أَحَدٌ ... وَلَا يَكُونُ لِعَقْدِهِمْ دَخَلُ(٤٤)
قَوْمِي خُزَيْمَةُ إِن سَأَلْتِ بِهِمْ ... أَهْلُ ٱلْمَآثِرِ مَا بِهِمْ عَدْلُ
حِلُّ ٱلْمَنَاقِبِ وٱلْحَرَامِ لَهُمْ ... وَبِذِي ٱلْمَجَازِ لِقَوْلِهِمْ فَصْلُ
حَدَرُوْا مَعَداً مِنْ تِهَامَةَ إِنَّهُمْ ... أَمِرُوا بِهَا وَلَهُمْ بِهَا ٱلْفَضْلُ
حَتَّى خَلَتْ لَهُمُ فَهُمْ قُطَّانُهَا ... وِلِكُلِّ عِزِّ أُرُوْمَةٍ أَهْلُ
فَالشَّامُ أَضْحَى مِنْ قُضَاعَةَ مَنْزِلاً ... وَدِيَارَ جِذْمِ رَبِيْعَةَ النَّخْلُ
وَتَحَمَّلَتْ قَيْسٌ فَحَاطُونَا ٱلْفَضَا ... وَبَنُو تَمِيمٍ نَعُدُّهُمْ أَجْلُوا
[فَهُمُ] أَصَابُوا فِي ٱلْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ ... فَلِكُلِّ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ ذَخْلُ
لَا يُدْرَكُونَ بِهِ وَإِنْ طَلَبُوا ... فَسَلِيْ أَحَقٌّ ذَاكَ أَمْ بُطْلُ
وٱلْحَقُّ أَبْلَجُ لَيْسَ فِيهِ مِرْيَةٌ ... وَٱلْبَاطِلُ ٱلْمُتَنَحِّلُ الرَّذْلُ
قَتَلُوا بِجَنْبِ قُلَابَ بِشْراً بَعْدَمَا ... سُقِيَتْ بِحَدِّ رِمَاحِهِمْ عِجْلُ
وَٱلْكَاهِنُ التَّيْمِيُّ قَدْ غَادَرْنَهُ ... فِيهِ السِّنَانُ كَأَنَّهُ جَذْلُ
وَجَرَتْ بِحُجْرٍ بَعْدَ ذَاكَ فَوَارِسٌ ... فِي الرَّوْعِ لَا مِيْلٌ وَلَا عُزْلُ

تَـرَكُـوْهُ يَكْبُـو لِلْجَبِـيْنِ وَقَـدْ ... زَلَّـتْ بِكِنْـدَةَ بَعْـدَهُ النَّعْـلُ
مُتَجَـدِّلاً قَـدْ دُقَّ فِي حَيْزُومِـهِ ... صَـدْرُ الْقَنَـاةِ أَمَـامَـهُ النَّصْـلُ
وَإِذَا هَـوَازِنُ صَـاحَ جَمْعُـهُـمْ ... وَرَمَـوْا فَـلَمْ تَنْفَعْهُمُ النَّبْـلُ
قَصَـدَتْ بِأَعْجَازِ الرِّمَاحِ لَهُمْ ... قَـوْمٌ لِأَوَّلِ عِـزِّهِـمْ أَصْـلُ
كَـالأُسْدِ تَسْمُـو كُلَّمَا هَيَّجْتَهَـا ... مَـذْرُوبَـةٌ أَنْـيَـابُهَـا عُـصْـلُ
لَاتُسْتَـهَـدُّ إِذَا يُـصَـاحُ بِهَـا ... وَلَا يَكُـونُ وِقَـاعُـهَـا الْخَتْـلُ
عَـرَفَـتْ هَـوَازِنُ أَنَّ يَـوْمَهُـمُ ... نَـحْسٌ وَأَنَّ وُقُـوعَهُـمْ جَـهْـلُ
وَلَّـوْا وَفِي أَكْتَـافِهِمْ مَشْـهُـورَةٌ ... كَـالنَّـارِ أَشْعَلَهَـا الْغَضَـا الْجَزْلُ
[يَـوْمَ] اتَّقَـوْا بِبَنِي نُمَيْرٍ خَلْفَهُمْ ... فَـلِأُمِّـهِمْ مِمَّـا لَـقُـوا الثُّكْـلُ
فَاخْتَلَّ حَدُّ الرُّمْحِ بُحْنَةَ(؟) عَامِرٍ ... فَـنَجَـا بِهَـا وأَقَـضَّـهُ الْقَتْـلُ
يَـوْمَ النِّسَارِ غَـدَاةَ أَسْلَمَ قَوْمَـهُ ... وَتَعَقَّبَتْ مِـنْ خَلْفِـهِ الـرَّحْـلُ
وابْنُ الشَّرِيْدِ قَدِ اسْتَمَرَّ بِطَعْنَةٍ ... تَـرَكَتْ نَـوَائِحَـهُ لَهَـا شُغْـلُ
وَبَنُـو تَمِيمٍ بِـالْجِفَـارِ أَصَـابَهُمْ ... مِنْ وَقْـعِ حَدِّ سُيُـوفِنَا سَجْـلُ
وَثَـوَى عُتَيْبَـةُ فِي الْمَكَرِّ كَـأَنَّمَـا ... بِلِسَـانِـهِ مِـنْ جِنَّـةٍ خَبْـلُ
يَكْبُـو وأَوْجَرَهُ ذُؤَابٌ صَـافِيـاً ... كَـالْمِلْحِ أَخْلَصَ لَـوْنَـهُ الصَّقْـلُ
وَنَجَتْ إِذ اخْتَلَطَ الظَّلَامُ بِحَاجِبٍ ... غَلْبَـاءُ يَحْفِـزُهَـا بَـهَ الـرَّكْـلُ

- ١٦ -

وقال بشر ، وتروى لغيره :

طَـرِبْتَ وَهَاجَـكَ الشَّوْقُ الْمُعَـارُ ... وَضَـاقَ الْهَمُّ وَامْتَـنَـعَ الْقَـرَارُ
لِـذِكْـرَى مِنْ قَـذُور فَـارَقَتْنِي ... فَـكَـادَ الْقَـلْبُ مِنِّي يُسْتَـطَارُ
نَـظَرْتُ وَصُحْبَتِي بِمِنَى فَـلَاحَتْ ... لَهَـا بِـفَـوَارِعِ الْأُوْدَاةِ نَـارِ
فَـحَبَّ بِنَـارِهَـا نَـاراً إِلَيْنَـا ... وَذِكْـرَاهـا إِذَا حَـانَ ادِّكَـارُ
فَقَـدْ شُغِفَ الْفُؤَادُ بِذِكْـرِ خَوْدٍ ... فَـمَا لِلْعَـيْنِ إِذْ بَـانَتْ غِـرَارُ
هَضِيْمُ الْكَشْحِ آنِسَـةٌ لَعُـوبٌ ... نِجَـارُ الصَّالِحِـيْنَ لَهَـا نِجَـارُ
كَـأَنَّ الْبُـوْصَ وَالْأَرْدَافَ مِنْهَـا ... نَقـاً دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيْحُ هَـارُ

كَأَنَّ الْيَاسِمِينَ وَنَفْحَ مِسْكٍ ... ذَكِيَّ الرِّيحِ حَلَّ بِهِ التِّجَارُ
وَمَاءَ سَحَابَةٍ مَطَرَتْ غُدُوّاً ... أَعَالِيهَا مُعَتَّقَةٌ عُقَارُ
تُعَلُّ بِهَا ثَنَايَا أُمِّ عَمْرٍو ... إِذَا مَا الدِّيْكُ حَانَ لَهُ اسْتِحَارُ
فَلَيْسَتْ رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ تَنْدَى ... تَبَاهَى النَّوْرُ فِيهَا وَالْعَرَارُ
بِأَطْيَبَ نَفْحَةً مِنْهَا إِذَا مَا ... تَكَشَّفَ عَنْ مَعَاصِمِهَا السِّوَارُ
فَسَمَا بِالْحُبِّ مَا اسْتَعْفَفْتَ إِثْمٌ ... وَلَيْسَ بِأَحْسَنِ التَّشْبِيْبِ عَارُ
تَقُولُ لِيَ الْعَوَاذِلُ : لَاتَزُرْهَا ... فَمَنْ هَذَا إِذَا هُجِرَتْ يُزَارُ؟
يَعَافُ وِصَالَ ذَاتِ الذَّمِّ قَلْبِي ... وَتُعْجِبُنِي الْمُمَنَّعَةُ الْخِيَارُ
وَهَمٍّ قَدْ طَلَبْتُ وَلَوْ تَرَاخَى ... بِحَرْفٍ قَدْ أَضَرَّ بِهَا السِّفَارُ
وَمَوْلىً قَدْ أَجَبْتُ إِذَا دَعَانِي ... مُحَافَظَةً وَلَيْسَ لَهُ انْتِصَارُ
طَلَبْتُ بِرَأْيِهِ(؟) فِي الْقَوْمِ حَتَّى ... تَكَشَّفَ عَنْ نَوَاظِرِهِ الْغُبَارُ
أَبَى لِبَنِي خُزَيْمَةَ أَنَّ فِيهِمْ ... قَدِيْمَ الْعِزِّ قَدْ عَلِمَتْ نِزَارُ
هُمُ فَضَلُوا بِخَلَّاتٍ مَعَداً(٤٥) ... كَوَامِلَ حَيْثُ مَاحَلُّوْا وَسَارُوا
نَقُودُ الْخَيْلَ لِلْأَعْدَاءِ شُعْثاً ... تُغَادَرُ فِي مَنَازِلِهَا الْمِهَارُ
وَأَنَّا لَانُرِيْدُ جِوارَ قَوْمٍ ... وَنُؤتَى فِي الْحُرُوبِ فَنُسْتَجَارُ
فَتِلْكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ فِيْنَا ... وَأَيَّامٌ مُضَيْنَ لَنَا كِبَارُ
فَمِنْهَا يَوْمُ أَوْدَ وَيَوْمُ بِشْرٍ ... وَيَوْمُ عُكَاظَ مِنْهَا وَالنِّسَّارُ
وَيَوْمُ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيْدَ مِنْهَا ... وَصَخْرٌ لَيْسَ مِنْ ذَاكَ اعْتِذَارُ
وَمَقْتَلُ مَالِكٍ وَبَنِي بُجَيْرٍ ... وَيَوْمٌ لِلْمُسَيَّبِ وَالْجِفَارُ
وَوَقْعَةُ قِطْقِطٍ وَمُصَابُ قَيْسٍ ... وَيَوْمٌ بِالْخَلِيْفِ لَهُ أُوَارُ
وَغَادَرْنَا عُتَيْبَةَ فِي مَكَرٍّ ... يَنُوءُ بِتغْلُبٍ فِيْهِ انْكِسَارُ
ولَاقَتْ بِالرِّشَاءِ بَنُو نُمَيْرٍ ... فَوارسَ مَا يَرُوعُهُمُ الْجِهَارُ
فَوَارِسَ مِنْ بَنِي دُوْدَانَ شُمّاً ... كِرَاماً يَعْتَزُوْنَ إِذَا اغَارُوْا
وَجَرُّوا فِي مَكَرِّهِمُ ابْنَ حِصْنٍ ... بِأَرْمَاحٍ كما جُرَّ الْحُوَارُ
وَزَيْدُ الْخَيْلِ أَفْلَتَنَا حَرِيْضاً ... وَنَجَّاهُ مَعَ الْقَدَرِ الْفِرَارُ
وَأَسْلَمَ مِكْنَفاً فَثَوَى أَسِيْراً ... ثَلَاثَ سِنِينَ فِي ذَاكُمْ إِسَارُ

وَكَبَّلْنَا مُعَاوِيَةَ بْنَ ثَوْرٍ زَمَاناً فِي الْحَدِيْدِ لَهُ خُوَارُ

ـ ١٧ ـ

وقال بشر يرثي أخاه سميراً ، وقتلته جعفي ، قتله شراحيل بن الأصهب الجعفي :

أَسُمَيْرُ هَلْ لَكَ مِنْ مَكَانِكَ مَخْرِجُ؟ فَنَقُولُ لِلرَّكْبِ السِّرَاعِ تَعَرَّجُوا
حَتَّى تُهَيِّجَهُمْ سُمَيْرُ وَرُبَّمَا هَيَّجْتُ أَصْحَابَ الْقَنَا فَتَهَيَّجُوا
غُصَباً نَهَارُكَ كُلُّهُ تَمْضِي بِهِمْ وَتَقُول : قَد ذَهَبَ الْعِشَاءُ فَأَدْلِجُوا
لَيْلَ التَّمَامِ بِكُلِّ أَغْبَرَ مَجْهَلٍ حَتَّى تَرَاهُ وَصُبْحُهُ يَتَبَلَّجُ
وَتُرِدُّ مَنْ قَطَعَ النُّعَاسَ عَلَيْهِمُ قِطَعاً عَسَاكِرُهُ تَدُوْرُ وَتَدْرُجُ
وَلَرُبَّمَا حَلَّتْ بِرَحْلِكَ بَازِلٌ عَوْجَاءُ فَاتِلَةُ الْمَرَافِقِ تُوسَجُ
حَتَّى يَجُرَّ الْجَازِرَانِ جَنِيْنَهَا وَالْخَدُّ مِنْهَا بِالنَّجِيْعِ مَضَرَّجُ
فَيُصِيْبُ مَنْسِرَهَا بِأَغْبَرَ مَجْهَلٍ ذِئْبٌ يُنَازِعُه الْغُرَابُ الأَعْرَجُ
أَسُمَيْرُ قَدْ شَمَتَ الْعَدُوُّ وَأَزْعَجُوا قَرْعَ الْحَدِيْدِ بِكُلِّ أَوْبٍ يُزْعِجُ
جَرَّ النِّسَاءُ ذُيُولَهُنَّ عَلَيهِمُ شِبْهَ الظِّبَاءِ مَقِيْلُهُنَّ الْعَوْسَجُ
وَإِذَا تَشَاءُ رَأَيْتَ أَبْيَضَ وَاضِحاً وَذِرَاعُ بَاكِيَةٍ عَلَيْهَا دُمْلُجُ
جَزَعاً وَلَسْتُ الدَّهْرَ لاَئِمَ حُرَّةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ بِعَبْرَةٍ أَوْ تَنْشِجُ

ـ ١٨ ـ

وقال بشر بن أبي خازم :

أَمِنْ أَحْلاَمِكُمْ كَلَّفْتُمُوني جَدِيْلَةَ قَاطِنِينَ عَلَى لِوَاءِ
أَثِيْبُوا الْقَوْم إِنْ لَمْ تَطْعَنُوهُمْ أُسُودُ الْغَيْبِ[٤٦] فهْدَانُ اللِّقَاءِ

ـ ١٩ ـ

وقال بشر يمدح بني ثمامة بن أُثال بن أبي حبيبة ، وذالك لأنهم كانوا أسروا أخاه فأنعموا عليه :

لمـا أَتَى قُـرَّانَ أَسْلَمَ وَدْقَـهُ وثَـوَى وَدَامْ
لَمَّا أَتَى حَجْراً تَغَلْغَـلَ فِي ٱلْمَزارعِ والأكَـامْ
إنْ كُنْتِ سَائِلَةً عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْكِرَامِ بَنِي ٱلْكِرامْ
فَبَنُو ثُمَامَةَ خَيْرُ مَنْ نَطَقَ ٱلْفَصِيحَ مِنَ ٱلْكَلَامْ
لِجُدُوْدِهِمْ فَضْلٌ عَلَى ٱلْأَجْدَادِ فِي ٱلْعُصُرِ ٱلْقِدَامْ

ـ ٢٠ ـ

قال : وغزت بنو أسد هوازن ، ثم بني جشم وسعد بن بكر ، فصبرت لهم جشم وسعد ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، حتى أصيب في بني جشمٍ وبكرٍ ، وأصابت بنو أسدٍ لهم إبلا . وقال بشر بن أبي خازم :

لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلَمْ تَسْمَعْ بِمِثْلِهِمُ حَيـاً كَحَيٍّ لَقِيْنَاهُمْ بِبُسْيَـانَا[٤٧]

ـ ٢١ ـ

وقال بشر بن أبي خازم :

هَـاجَتْ هَـوَاكَ بِبُـرْقَـةَ ٱلْأَطْـلَالُ وَاعْتَـادَ عَيْنَاً مِنْ قَـذُوْرَ خَيَـالُ
يَنْهَي ٱلْعَـوَاذِلُ عَنْ قَـذُوْرَ وَحُبِّهَـا قُـلْ لِلْعَـوَاذِلِ أَمْـرُكُنَّ مُـذَالُ
أَقْصِـرْنَ بَعْضَ عِتَـابِكُـنَّ فَـإِنَّمَـا ذَهَبَتْ بِعَقْـلِي طَـفْلَةٌ مِكْسَـالُ
بَيْضَـاءُ يَشْغَفُ ذَا الصَّبَابَةِ زَيُّهَا وتَـفَـتُّـلٌ بَـكَـلَامِـهَـا وَدَلَالُ
لَمْ أَنْسَ نَـظْرَتَهَـا عَشِيَّةَ أَعْـرَضَتْ وٱلْعِيْسُ صُعْرٌ فِي ٱلْبُرَيْنَ عِجَالُ
فِي جَحْفَـلٍ لَجِبٍ جَمِيـعٍ أَمْـرُهُ جَمٌّ ٱلْعَـدِيْـدِ يَقُـودُهُ الأَزْوَالُ

ـ ٢٢ ـ

وقال بشر بن أبي خازم :

أَصْبَـحَ ٱلْقَلْبُ هـائِمـاً مُسْتَعَـاراَ ذَاهِبَ اللُّبِّ إِذْ ذَكَـرْتُ النَّوَارَا
تَـيَّمَـتْـهُ حَـوْرَاءُ لَاعَيْـبَ فِـيْـهَـا مِنْ جَوازِي ٱلْكَثِيْبِ لَمْ تَأْتِ عَارَا
أَحْسَـنُ الـنَّـاسِ مُـقْـلَةً وَدَلَالاً وحـوَاراً إِذَا أَرَدْتَ حِـوَارَا

لَمْ أَخَفْ بُخْلَكُمْ فَأُخْلِفَ ظَنِّي ... وَكَذَيْنِي الَّذِي رَأَيْت مِرَارَا
وَنَقَضْتَ الْعُهُودَ يَاحُبَّ نَفْسِي ... بَعْدَمَا قَدْ نَشَرْتِ لِي الأَسْرَارَا
إِنْ تَكُونِي غَدَرْتِ بِالْعَهْدِ عَمْداً ... فَلَقَدْ خُنْتِ مَاجِداً مِغْوَارَا
وَرِثَ الْعِزَّ عَنْ إِبٍ كَانَ ذَا عِـ ... ـزٍّ وَكَانَ الْمُسَوَّدَ الْمِظْفَارَا
سَارَ بِالْجَيْشِ فَاسْتَبَاحَ بَنِي كَعْـ ... ـبٍ عَلَى رَغْمِهِمْ وَحَلَّ الدِّيَارَا
وَاسْتَبَى الْبِيْضَ كَالتَّمَاثِيلِ قَسْراً ... وَأَفَاءَ الْعَبِيْدَ وَالْأَعْكَارَا
وَعُمَيْرٌ وَعَامِرٌ نَالَهُمْ مِنْـ ... ـنَا عَذَابٌ غَدَاةَ حَلُّوا النِّسَارَا
وَتَمِيماً قُدْنَا إِلَيْهِم جِيَادَ الْخَـ ... ـيْلِ قُباً حَتَّى وَرَدْنَا الْجِفَارَا
فَلَقَوْمِي أَعَزُّ مِنْ قَوْمِ لُقْمَا ... نَ وَخَيْرٌ مَآثِراً وَنِجَارَا
فَلَنَا ذُرْوَةُ الْعَدِيْدَ قَدِيماً ... وَفَضَلْنَا بِالْمَكْرُمَاتِ نِزَارَا
بِاحْتِمَالِ الْمِئِيْنِ؟ إِذْ هَابَهَا النَّا ... سُ وَأَنَّا لَا نَخْفِرُ الدَّهْرَ جَارَا
نَعْقُرُ الْكُوْمَ فِي الشِّتَاءِ الْمَجَالِيْـ ... ـدِ عِشَاراً وَنُعْظِمُ الْأَخْطَارَا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى سُمَيْرٍ إِذَا مَا ... جَالَتِ الْخَيْلُ أَوْ رَهِقْنَ الْخَبَارَا
وَتَسَامَتْ كُمَاتُهَا لِضِرَابٍ ... وَأَثَارَتْ مَعَ الْعَجَاجِ غِبَارَا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى سُمَيْرٍ إِذَا مَا ... رَكِبَ الْخَيْلَ أَدْرَكَ الْأَوْتَارَا
إِنْ يَكُنْ قَدْ تَبَدَّلَ الْيَوْمَ بَيْتاً ... فِي فَيَافٍ مِنَ الْبِلَادِ قِفَارَا
فَلَقَدْ كَانَ عِصْمَتِي وَرَجَائِي ... وَأَرَى الْعَيْشَ فَانِياً غَرَّارَا

آخر شعر بشر في جميع الروايات
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله وسلم

الاختلاف بين المخطوطة والمطبوعة :

هناك اختلاف بينهما في ترتيب القصائد ، فالمطبوعة مرتبة على الحروف بخلاف المخطوطة ، وفي ترتيب بعض أبيات القصائد ، وفي ورود بعض أبيات أخرى في إحداها وخلو الثانية منها ، والكثير من ذالك في المطبوعة ، إذا يظهر أن المحقق الكريم أضاف من الكتب أبياتاً كثيرة .

ومن أمثلة الاختلاف أبيات وردت في القصيدة الـ (٢٣) من المطبوعة ص (١٠٩) فيها إقْوَاءٌ ، وقد وردت في المخطوطة (٤٥١) باعتبارها قطعة منفصلة لا صلة لها بتلك القصيدة وهذا نصها :

وقال بشر بن أبي خازم :

تَعَفَّى بَعْدَ سَاكِنِهِ لُفَاعُ ... فَغَرْبِيُّ الْجَزَائِرِ فَالدِّرَاعُ
فَجَنْبُ عُنَيْزَةٍ فَذَوَاتُ خِيْمٍ ... بِهَا الْغِزْلَانُ فَالْبَقَرُ الرِّتَاعُ[٣٨]
تَحَمَّلَ أَهْلُهَا مِنْهَا فَبَانُوا ... فَأَبْكَتْنِي وَقَدْ ظَعَنَتْ رَوَاعُ
وَكُلُّ غَضَارَةٍ لَكَ مِنْ حَبِيْبٍ ... لَهَا بِكَ أَوْ لَهَوْتَ بِهِ مَتَاعُ
قَلِيلٌ وَالشَّبَابُ سَحَابُ رِيْحٍ ... إِذَا وَلَّى فَلَيْسَ لَهُ ارْتِجَاعُ

أما القصيدة الـ (١٦) في المطبوعة ص (٨٠) فقد وردت في المخطوطة (٤١٢) ولكنَّ كثيراً من أبياتها ترك الناسخ لها بياضاً ، قد يكتب صدر البيت أو عجزه ويترك باقيه ، ومن أمثلة الاختلاف في هذه القصيدة بعد البيت الـ (١٦) ص (٨٤) :

أَبُو صِبْيَةٍ شُعْثٍ تُطِيفُ بِشَخْصِهِ ... كَوَالِحُ أَمْثَالُ الْيَعَاسِيْبِ ضُمَّرُ

بعد هذا في المخطوطة :

فَأَرْسَلَهَا حَتَّى إِذَا كِدْنَ رَدَّهَا ... عَن [ثم بياض]
فَعَضَّ عَلَى إِبْهَامِهِ وَتَقَاذَفَتْ ... بِهِ أَرْبَعٌ لَمْ تُؤْيِهِ حِيْنَ يَحْضُرُ

البيتان لم يردا في المطبوعة .

وفي المطبوعة البيت الـ (١٩) ص (٨٥) :

فَلَوْ كُنْتُ إِذْ خِفْتُ الضِّيَاع أَسَرْتُه ... بِقَادِمِ عَصْرٍ قَبْلَمَا هُوَ مسر(؟)

وقال المحقق في الحاشية (مسر : هكذا رسمت هذه الكلمة في الأصلين المخطوطين ولم نعرف ماهي) .

أما في المخطوطة فنصه :

ولَوْ كُنْتُ إذْ خِفْتُ الضِّيَاعَ أَسَرْتُهُ بِقَـادِمِ عَـيْرٍ قَبْلَمَا هُـوْ مُسَـيَّرُ

وعلى الياء شدة ــ ويستقيم الوزن باسكان واو (هو) .

ومن الاختلاف أيضاً القطعة الـ (٩) ص (٤١) في المطبوعة : لا توجد في المخطوطة ولكن فيها قطعة تتفق معها في المعنى والوزن والقافية ، وتزيد عليها بيتاً واحداً انظرها تحت رقم (١٣) فيما تقدم .

وسأكتفي بذكر الاختلاف في الكلمات بين المخطوطة والمطبوعة مُشيراً إلى أنَّ المحقق الكريم نقل عن كتاب « مختارات ابن الشجري » في الحواشي فأكثر النقل عن الإختلاف بين ما ورد في هذا الكتاب وبين ماورد في المخطوطة الذي اعتبرها أصلاً لمطبوعته هذه ، ويظهر أن ابن الشجري اعتمد على أصل مماثل للأصل الذي نقلت عنه المخطوطة إذ كل الكلمات التي أوردها المحقق الكريم عن ابن الشجري مخالفة لأصله تتفق مع ماورد في هذه المخطوطة لذالك اكتفيت بما نقله المحقق في تلك الكلمات .

كما أنني لم أشر إلى ما ظهر لي أنه من أخطاء الناسخ ــ وما أكثر أخطاءه !! ــ مما خالف به ماورد في المطبوعة ، وإنما نقلتُ ما اتضح لي عدم الخطإ فيه ، ومنه مانقل المحقق في الحاشية ، وأشرت بالرقم الأول إلى صفحة المخطوطة وبالرقم الثاني إلى رقم البيت من الشعر :

	المخطوطة	المطبوعة
٨/٨	وماضَمَّ أَجْمَادُ الْحُوَار	وماضم أجواز الجَواء
١٤/١٠	بادِي الضغينة	بادي الظعينة
١٥/١٠	وينصره . . إلى الرَّوع	وينصرنا . . إلى النصر
٢٤/١٢	نَصْرُ من يتغيب	لَوْمُ من يتغيب
٢٥/١٢	أباتُوا لسرحان	أَبَانُوا بِسَيْحَان
٢٨/١٢	والدِّمَا تَتَصَبَّبُ	والدِّمَاءُ تُصَبَّبُ

١٤/١٧	جَرْيَ الْمُنْقِيَات	جَرْيَ الْمُبْقِيَات
١٥/١٧	تذكر منًّا	تذكر منها
١٦/١٧	يثوب(٤٩)	يثور
١٩/١٨	تفزُع من خَوْف	تفرأ من هول
٢١/١٩	مستبطنُوا البِيض	مُسْتَحْقِبو البِيض
٣/٢٥	وأنَّ أباك قد لاقاه قِرْنٌ	فإن أباك قد لاقى غلاماً
٤/٢٥	لم يكن نكسا لغابا(٥٠)	لم يكن يكسي لغابا
١/٣٣	فَيَثْقُبُ	فَمِثْقَبُ
٤/٣٥	تَكَفْكَفُ	تكفأ(٥١)
١٦/٣٨	ضاحية	ضامزة
٢٣/٢٩	قُطَّبُ	شُزَّبُ
١٨/٤٦	مال أو نجاح	مالي أو صلاحي
٢/٤٩	ولم يَغْبُرْ بِجَوِّ الدار(٥٢)	وليس مُبِينٌ في الدار
٢/٤٩	مَبَاءَةُ ظاعِنٍ	مَبِيْتُ ظعائِنٍ
٤/٤٩	في نَحْرِيّ	مُنْهَمِرٌ
٦/٥٠	اللجاجة . . وقلبك . . شحيح	الصبابة . . وقبلك . . سجيح
٨/٥٠	كَجَثْوِ النمل	كَجُثِّ النمل
١٠/٥٠	ارتفع	ارتفد
١١/٥٠	بأَبَارَيَاتٍ(٥٣)	بِأُرَيْنِبَاتٍ
١٣/٥١	كلاب أبي دُجَانة	يحبُّ بها جَدَاية
١٢/٦٤	عَشِياً	ومحض
١٦/٦٥	الظُّؤَارُ	الصوار
٢٢/٦٦	وطول الحبس	طوال الدهر
٢٥/٦٧	وشب لَطِيِّءِ الجبلين حَرْبٌ	وشبت طيِّءُ الجبلَيْنِ حربا
٢٧/٦٨	كجادع أنفه	كهادم عزه
٣١/٦٩	وانزل قومه سعد بن عمرو	وأنزل خوفَنَا سعداً بأرض

٣١/٦٩	بخرج لاتمار ولا تجار	هنالك إذْ تجير ولا تجار
٣٢/٧٠	صُحَارٌ فالقضيمة	عُقَيْلٌ بالمرانة
٣٤/٧٠	ضَمَرتْ بِحَرَّتِهَا سليم كما ضمر	ضمزت بِجَرَّتِهَا سُلَيْمٌ كما ضمز
٢/٨١	تزلُّ الطير بأرجائه	يزل الغفر . . بحافاته
٤/٨١	هي الهم . . أعسر	هي العيش . . أعصر
٥/٨٢	إذْ نأت عنك دارها	إنَّ ليلى وشأنها
٥/٨٢	وقد يعتدى للمرء ما	وإن وعدتك الوعد لا
٦/٨٢	بعوجاء مرقال تروح وتبكر	إذ لم يكن فيه لذى اللب معبر
٧/٨٢	لَيَاحُ أخُو قَفْرٍ يُرَاح ويمطر	بِحَرْبَةَ مَوْشيُّ القوائم مُقْفِرُ
١٠/٨٣	أسيل كأنه	عروق كأنها
٢١/٩١	لاَقَيْتَ	لَلَقِيْتَ
١٤/٩٢	. . عيينة يوم خرص	عتيبة ذات خرص
٥١/٩٢	المساعر من نمير	المشاعب من نمير
٥١/٩٢	فما جعلوا على كعب	وقد هَتَّكْنَ مِنْ كعب
١٧/٩٢	. . فما حلبوا بها	غداة أَتَيْنَهُمْ
١٧/٩٢	فَنُشْنَاهُمْ	شَجَرْنَاهُم
١٧/٩٢	تدق نساؤهم منها النُّحُوْرَا	مثقفة بها نفرى النُّحورَا
١/٩٤	مِنْ حَفِير	بالجفير
٢/٩٤	تلعبت . . بها ومنها	تلاعبت . . الهوج منها
٤/٩٥	وُشم النواشِرُ	وُشِم الرواهش
٨/٩٥	يَسَرٍ يَسِيرُ	يَسَرٍ يَسُورُ
٩/٩٦	الشقيقة يوم كِير	الشعيبة يوم كبير
١٢/٩٦	طلب . . شفانا	نقض . . شفاها
٤/٩٨	عند اللقاء	عند الجدود
٨/١٠١	بِسُرْبَةَ	بِحَرْبَة
١٠/١٠٢	ألْمَحَارِ يثيرها	الصناع قرائن

١٠/١٠٢	إثارة نَبَّاش	إثارة مِعْطاش
١١/١٠٢	وباقي نَصيٍّ	ونبذ خصال
٢٠/١٠٤	عشوة	شعلة
٢١/١٠٤	الفنيق الفادر	الفنيق الجافر
٣/١٠٧	مع النجم حَمَّاء	مع النسر فتخاء
١٠/١١٠	نبوا كما نبأ المفرح باليفاع	نتوءا إذا ما الآل ــ الخ
١٤/١١١	زهته الريح من	مرته الريح في
١/١١٣	رسمها	ربعها
١١/١١٥	لم يمنحوك . . نافع	لم يمنعوك . . واسع
١٦/١١٧	سهل المباءة	عند التفاضل
٨/١١٩	حُوٌّ في الخدور	من بين الخدور
٦/١٢٤	مثل الهلال	شبها للبدر
٥/١٣٠	فالطلول	فالطلوع
٦/١٣٠	بأكناف الديار قَطاً	بعرصتها حمامات
٧/١٣١	وكثرة ذكرها	ولا ذكراكها
٩/١٣١	تُجِنَّ هَماً	نِجِيّ همٍّ
١٠/١٣١	بلوى حُنيَّ	بلوى حُبِيٍّ
١٤/١٣٢	من عندان . . النعام	من غمدان . . البغال
١٧/١٣٣	حين يقرَعُها	حين يفزعها
١٩/١٣٣	سلوا عنا القبائل من معد	فسائل عامراً وبني نمير
٣/١٣٧	حزمي واهب	حزمي واحف
٨/١٣٩	فوق العماية	خلف المناطق
١٢/١٤٠	كصليف القدح	كصليف المناطق
٥/١٤٣	ينوش الغض	ينشن الغصن
١١/١٤٥	وخَلَّه آلف . . هجرا	وحاجة آلف . . صرما
٢٤/١٤٨	أو بشرج . . في كهاف	أو بشوط . . ذي كهاف

٢٧/١٤٩	تغنيه	يغنيه
٢/١٦١	تنكر . . فشرج	تغير . . فشرق
٥/١٦٢	ولم تنعق	ولا مدت
٩/١٦٩	وحْبَّ	وحق
١٢/١٦٩	مُسْلَحِبٌّ	مُتْلَئِبٌّ
٥/١٧٢	خَضِل	خاضل
١٢/١٧٣	بصقيل	بغموس
١/١٧٥	ضارب	ناوأ
٥/١٧٦	والعلى	منهم
١٩/١٩١	نعاما بِوَجْرَةَ . . ترد	نهاما بخطمة . . تعطم
٣/١٩٣	واطلاؤها	وأولادها
٦/١٩٣	أمثال الخُدَاري	أمثال خُدَارَى
٧/١٩٤	جفر ابن ضمضم	جفر يبنبم
٢٣/١٩٨	وقد نقب	وقد بلي
٢٥/١٩٨	قام حرباء	صام حرباء
٢٨/١٩٩	برحلي أمامها	برحلي أمامه
٢٤/٢٠٧	برقة عيهم	برقة عيهل
٤/٢١٨	للرحمن دَرُّهُم . . حَيَّ	لله أُمُّكُم . . جمع
١٧/٢٢٣	طـيءٌ عَدَّتْ	عُدَّ من عمرٍو

وبعد إعداد ماتقدم للنشر أتحفني الباحث المحقق الدكتور حاتم صالح الضامن بورقات مصورة تحوي مقطوعات من شَعْرِ بِشْرٍ أوردها الأستاذ الدكتور عزة حسن ملحقة بديوان الشاعر في طبعته الثانية التي نشرتها وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٣٩٢هـ بعنوان (زيادات مخطوطة مكتبة آل باش أعيان) في البصرة من ديوان بشر ، فإذا هي تحوي من الزيادات قِسْماً من المقدمة النثرية التي تقع في أول الديوان ثم عشر مقطوعات هي :

١ ــ تداركني أوس ــ البائية في ٨ أبيات .

٢ ــ طربت وهاجك الشوق المعار ــ في ٣٥ بيتاً .

٣ ــ أسمير هل لك من مكانك مخرج ؟ ــ في ١٢ بيتاً .

٤ ــ بان الخليط ولم تزر جُمْلُ ــ في ٣٢ بيتاً .

٥ ــ هاجت هواك ببرقة الأطلالُ ــ في ٦ أبيات .

٦ ــ ألا أبلغ خزيمة ــ البائية في٣٣ بيتاً .

٧ ــ تعفَّى بعد ساكنه لقاع ــ في ٥ أبيات .

٨ ــ أمِن أحلامكم كلفتموني ؟ ــ في بيتين .

٩ ــ لما أتى قُرَّان اسلم ــ في ٥ أبيات .

١٠ ــ أصبح القلب هائماً مستعاراــ في ١٧ بيتاً .

وهذا الشعر كله قد ورد في المخطوطة العمانية كما ان هناك قصائد أخرى وردت فيها ولم ترد فيما أضافه الدكتور عزة حسن ، مما يتضح منه التغاير بين المخطوطتين ، ويتضح هذا أيضاً في الاختلاف في رواية الأبيات .

ومما تقدم يتضح أن المخطوطة العمانية تحوي زيادات من شعر بشر نحو ٦٧ بيتاً .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

(١) ص ٢٢/٢٣ مقدمة الديوان ــ وانظر مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٢٩٩ ــ .

(٢) في مطبوعة (جامعة الإمام محمد بن سعود) من « الجمهرة » من ص : ١٨٦ إلى ٢٣٧

(٣) في الأصل (اليشكري) خطأ

(٤) لعل الصواب (الدار)

(٥) لعل الصواب (على حرف العين)

(٦) دخله خرم بحرف وفي ديوانه (أذكُرْتَ)

(٧) كلمة (مثل) ليست واضحة . وجُنَادَة قال عنه ياقوت في « معجم الأدبا » : جُنَادة بن واصل الكوفي : . . لا علم له بالعربية ، كان يُصَحِّفُ ، ويكسر الشعر ولا يميّز بين الأعاريض المختلفة . . من علماء الكوفة القدماء ، وكان كثير الحفظ ، في قياس حمّادٍ الراوية . انتهى والجصاص ــ لم أميز اسمه هل

هو بالجيم أو الحاء أو الخاء . وهل الضاد مهملة أو معجمة ، فَضْلاً عن معرفته .

(٨) في الأصل (يحى) مهملة من النقط .

(٩) كلمة غير واضحة .

(١٠) في الأصل (رجل)

(١١) في الأصل (طي)

(١٢) كلمة غير واضحة ولعلها (زُفَّتْ)

(١٣) كذا ولعل الصواب : (أفلا أخبرك)

(١٤) كذا وليس زهير مُزَنِيًّا ولا غطفانياً ــ بل مُزَنِيٌّ ــ كما ورد فيما ساق من نسبه .

(١٥) كلمة غير واضحة

(١٦) كلمة غير واضحة وقد تكون (الأرقم)

(١٧) كذا ولم أجده في ديوانه المطبوع بتحقيق الدكتور م. محمد حسين

(١٨) في الأصل (فالقطنيات) وكذا ورد هذا البيت ثانياً . ومحلُّهُ الأول

(١٩) ج ٢ ص ــ ٣٣٦ ــ الطبعة الأولى

(٢٠) في الأصل (باطراد)

(٢١) وفيها البيت المشهور :

عسى الهَمُّ الذِي أمْسَيْتَ فِيهِ
يكونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قريبُ

(٢٢) مصدرة بـ (وقال الشاعر الأديب المشفر (؟) بن مالك الأزدي)

(٢٣) ج ٢ ص ٤٦

(٢٤) انظر ص (٤٩٦)

(٢٥) ص ٢٣ هامش

(٢٦) « معجم الأدباء » لياقوت : ٣ ص ١٤٤

(٢٧) هي ٦/٩/١٢/١٣/١٤/١٩/٤٢ .

(٢٨) ص (٤٠٥) من المخطوطة

(٢٩) كذا والكلام غير واضح .

(٣٠) وهي القصيدة الثالثة في الديوان المطبوع ــ ص ١٣

(٣١) الرهدن : نوع من الطيور أصغر من العصفور

(٣٢) القصيدة التاسعة والشعرون في الديوان ــ ١٤٢ ــ ونقل المحقق عن « مختارات ابن الشجري » ٢/٢٦ قال أبو محمد الأخفش : مدح بشر أوساً وأهل بيته مكانَ كُلِّ قصيدة هجاهم بها قصيدة ، وكان هجاهم بخمس ، فمدحهم بخمس ، فمن ذلك قوله : كَفَى بِالنَّأي ــ

(٣٣) القصيدة الحادية والثلاثون من الديوان ــ ١٥٢ ــ وانظر ص ٣٣ حيث تجد للمحقق الدكتور عزة حسن كلاماً طويلاً حَوْلَ عَمْرِو بن أُمِّ إياس ممدوح بِشْرٍ في هذه القصيدة ، وفي القصيدة السابعة ، بدون الإشارة إلى هذه المقدمة التي لم تخل من الغموض ، إذ كيف يكون الزوج عمرو بن حجر ، والابن الممدوح عمرو بن المنذر ؟ وإنما ابنها من عمرو الحارث الملك ــ انظر « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج ٢ ص ٢٠٨ ــ تحقيق العظم ــ

(٣٤) القصيدة الخامسة في الديوان ــ ٢٤ ــ وقد نقل المحقق في الحاشية عن « مختارات ابن الشجري » ٢/٣١ ــ نحو ماتقدم ، وزاد الأمر إيضاحاً بتسمية القاتل من عدة مصادر ــ

البنيوية أعلى مراحل السوء
في ترف نظرية الفن للفن

عقيم وغير عقيم كان النقاش الطويل العريض في مسألة الفن للفن والفن للحياة.. وصار العالَمُ معسكَرَيْنِ، وساد تعصبٌ، واشتد خصام، وتعالى اتهام ــ والمسألة مجدية وغير مجدية.. وقد مضىٰ زمانها وانقضىٰ على أيَّة حال. والسعيد من كان ميزانه عدلاً، ورأيُهُ عدلاً، وموقفه عدلاً... دون رخص في العرض أو رخص في المنطق، ورخص في الذوق..

---

(٣٥) وهي القطعة العشرون في الديوان ــ ٨٩ ــ

(٣٦) القطعة الرابعة والأربعون في الديوان ــ ٢١٧ ــ ولم يشر المحقق الكريم إلى سبب قولها

(٣٧) القصيدة السابعة والثلاثون ــ في الديوان : ١٧٥ ــ

(٣٨) البيت الأخير من المقطوعة الثامنة ــ في الديوان ٤٠ ــ

(٣٩) كذا ولعل الصواب : وظن بأنه الخ

(٤٠) قطعة الرجز الـ٤٣ ــ في الديوان ٢١٥ ــ فرد عليه عمرو بن كريب :

إنَّــكَ يَــابِشْرُ لَـغِي وَهْـمٍ وَهَمْ ... بِـزَجْـرِكَ الـطَّيْرَ عَـلَى إِثْـرِ النَّـدَمْ

فَـاصْبِرْ عَـلَى شَرِّ شَآبِيبِ الـرِّهَمْ ... وَقَـطْعِ كَفَّيْـكَ وَثَـنِيَّ بِـالْقَـدَمْ

وَبِـاللِّسَـانِ بَعْـدَهَـا وَبِـالاَشَـمْ ... إِنَّ ابْنَ سُعْدَى ذُو عِقَابٍ وَنِقَمْ

مِثْـلُ ٱلْحَرِيْقِ فِي ٱلإِبَـاءِ ٱلْمُضْطَرِمْ ... يُـعْدَى إِلَيْهِ مِنْ مَـوَاهِيْبِ ٱلْقِسَمْ

كُلُّ أُمُونٍ ذَاتُ لَوْثٍ وَعُقَمْ

وأشار المحقق الكريم إلى خبر هذه المساجلة إذ نقل ــ ص ٢١٥ ــ عن « مختارات ابن الشجري » ٢/٢٥ بعض هذا الرجز بعد رجز بشر

(٤١) فوقها في الهامش (موضع)

(٤٢) مابين المربعات [. . .] لم يتضح في التصوير

(٤٣) كذا ولعل الصواب : فَأَبْرَنَ

(٤٤) كذا ولعلها : (لعقدهم حَلُّ)

(٤٥) في الأصل (معد)

(٤٦) كذا ولعل الصواب (أسود الغيل)

(٤٧) القطعة الـ (٤٥) ص ٢١٨ في الديوان ــ بدون إشارة إلى خبرها .

(٤٨) كذا (الرباع) وفي المطبوعة (الرِّتَاع)

(٤٩) وفوقها : (خ : يثور)

(٥٠) وفوقها : (معابا)

(٥١) وأشار المحقق إلى أن (تكفكف) تصحيف

(٥٢) (معر يحو) بدون نقط

(٥٣) إباريات : موضع لايزال معروفاً بقرب رمل عالج (النفود الكبير ، حيث مَرَبُّ حُمْرِ الوحش) انظر الاسم في « المعجم الجغرافي في المملكة العربية السعودية » قسم شمال المملكة ــ .

وفي يوم ما من أعوام الستين من هذا القرن تقوم الدنيا في أوربا وتقعد، وربما كانت باريس مركزاً أساسياً للقيام والقعود، وتبع باريس ومثل باريس لندن وواشنطن، وعواصم أخرىٰ في الغرب. . ثم في الشرق على علم وغير علم، وغير العلم أكثر من العلم. . والغرب أدهى من الشرق!!

وماذا جرى، وماذا جَدَّ؟ أصواتٌ ترتفع بالجديد، وتهاجم البحث (الأكاديمي) السائد، ويتحدثون عن الجديد بصوت مرتفع، فقد خلا الجوُّ. . فلم يعد في باريس (اندره جيد) أو (موریاك) أو (موروا)، ولا أساطين (السوربون). ولابد من ثورة، ومن تميز ومن اصطياد في الماء الْعَكِرِ، فهذا ينادي برواية جديدة ليست رواية، وذاك ينادي بطلاب جدد وكأنهم أساتذة، وذلك يطالب بسوربون جديد ليست سوربوناً؟. . .

ماذا؟ إنها (البنيوية). وترتفع أسماء تتصدر وتقود، ولم يسأل أحد أين كانت؟ ولِمَ اختَفَتْ كلُّ هذه المدة وهي موجودة حية ينتهي أكثرها بـ (الأوف) و(الاسكي). . .

ولم يسأل أحد عن التأريخ القريب، فأين كانت هذه الأسماء؟ وما خطبها؟ لِمَ هَاجَرَتْ أو هُجِرَت من موسكو ولنينكراد وبراغ. .؟ لقد رأت فناً للحياة يعلو، ويسود من وراء الفن للحياة طبعاً ــ ثورة اجتماعية ورد الحقوق لطبقة ظلمها الزمن، وفن يريد أن يعرف عن هذه الطبقة وينتقم لها وينصفها. . .

وصحيح أنَّ مثلَ هذه الدعوة في عنفها وجِدَّتِها يصطحب بوهن هنا وضعف هناك. . . وصحيح كذلك وجوب درسها وإعلان نقصها، ولكن هذا الصحيح شيءٌ وما جرى شيءٌ آخر غير صحيح، وهو أن تجرد الدعوة من فضائلها كلاًّ وبغير استثناء، وتضع في قمة الفضيلة نقصاً هو عظيم كلاًّ وبغير استثناء. وماذا؟ الشكلانية المطلقة! لا علاقة لكاتب بمجتمع أو فكر، ولا اهتمام لناقد بظرف وعوامل خاصة، إنه لايعرف إلا هذه الكلمات إزاءه وهي مجموعة من الحروف جملاً وسطوراً وفِقَراً. . وهي هي همه الأول والأخير، بل إنَّ الفكر عيب، والأخلاقَ عار، والنضال نقيصة. . ويجد الشكلانيون سنداً قبل الثورة من القيصر

وأعوانه، ويجدون السند بعد الثورة من أعداء الشعب والحاقدين عليه. . ويمضون في دعوتهم، ويُكَوِّنُون مدرسة لها تلاميذها ــ ولسنا بصدد ظلمهم بالاتهام حيناً وبالخطإ حيناً، ولكنهم من الغلو بما يبعث على الريبة أو على المؤاخذة البريئة في أقل تقدير. . أو على الترفع من الوقوع في الغلو المطلق .

ويتشتتون ــ مع الأسف ــ في الأقطار ــ ويبقون حيناً دون حراك ، ثم يخلو الجوُّ فإذا القائمة تقوم ، ماذا ؟ الجديد وما الجديد ؟ (البنيوية)! وكأنَّ (البنيوية) لم تكن من قبل؟ بوجهها أو بوجوه أخرى . إن هذا الذي تقولونه من مباديْ (البنيوية) في الوقفة عند النص وفي تحليل النص والاستمتاع بالنص. . . معروف، صحيح، لا خلاف فيه فما الجديد؟ التطرُّفُ المطلق، الدعوة الحارَّةُ جداً لسيادتها مبدءاً وحيداً وفريداً من أقصى باريس إلى أقصى واشنطن مروراً بمغربنا العربي.

لا. . لا يااخوان هذا غير صحيح وغير معقول. . وعلى أن يكون في المسألة سِرٌّ أَبْعَدَ من متناولنا. . صحيح إنكم تتلقفونه حباً بالجديد إذ لم يكن لكم قديم، وطمعاً بالشهرة إذْ ليس لكم شهرة. . ولكن الضجة غير معقولة، وقد تكون مفتعلة، ولم لا تكون مفتعلة؟ أنا لا أسمح لنفسي لتبالغ بالسوء في انسانيتكم جميعاً، أو بسوء الظن في وطنيتكم كلكم، فما زلْتُ أعدِّدُ المجالات وأعَدِّدُ الأسباب أن يكون وراء الأكَمَةِ ماوراءها. ولاأريد أن أقول: إن حركة استعمارية كقولي يوم كان الانكليز في الهند، والفرنسيون في الجزائر، والأمريكان في فيتنام. . لا ليست المسألة بهذا الشكل وإن كان لها قرب من الجوهر، ولا أقول : إن مخابرات معينة من دولة معينة عملت وجدت ونظمت وبذلت لتقوم القائمة وتستيقظ النائمة. . لا أقول حتى ولو قلتُ ذالك مع نفسي ولعدد محدود من الأصدقاء والطلاب، مذ وقت مبكر. . لا أقوله ولكني رأيت المسألة غير طبيعية ولأني أبرِّئُ كثيرين من أنصارها عن العمالة .

ولكن الذي أقوله وألتزم به ولا أحيد عنه أن صحيح الحركة من الوقفة طويلاً عند النص موجود قبلها وبعدها، وفي الغرب ولدى العرب، وفي فرنسا قبل

(البنيوية) خصوصاً ، وفي غير فرنسا فيما عرف بالنقد الجديد، وهذا هو النقد العربي القديم انظر إليه، أخي الكريم، تَرَهُ ــ في حدود عصره ــ بنيوياً من حيث هو وقفة عند النص، عند اللغة، عند المفردة، اقرأ أي كتاب من أقدم هذه الكتب حتى آخرها، وليس صحيحاً الإصرار على كتاب واحد هو «دلائل الاعجاز» للجرجاني ــ ويعجبني أن أذكر ــ هنا تفسير «الكشاف» للزمخشري إن دواعي «التفسير» تقضي أن يكون بنيوياً بمعنى من المعاني.

المهم.. ان صحيح الحركة من الوقفة عند النص صحيح، ومشتقات منها مَرَّتْ ذاتَ يوم في مدرسة براغ ومدرسة موسكو ولنينكراد نحواً ونقداً وشكلانية بأدق الأسماء.. ولكن ماالذي عدا مما بدا؟ ثم لا بأس بإضافة جديدة في مَثَلٍ ، أو دراسة أو رأي.. على أن يسمو ذلك عن العبث والجمود، والمثلثات واللوغورتمات، والرموز بين الطاء والسين.. فيموت النص على يديك لموت فيك.. زيادة على افتيات فيك على الحقيقة التي ليست فيك..

المهم أن صحيح الحركة صحيح.. ويمكن أن نفيد من المناهج الأخرى من تاريخية واجتماعية ونفسية ونفسانية.. أما أن تكون بنيويا وإلا.. فذلك عيب فيك أنا في غنى عن الوقوع فيه، قد تكون سليم النية ولكنك من غير قاعدة، قد تكون مجدداً ولكنك من غير قديم، قد تكون طويلاً ولكنك قصير.

أَجَلْ، إنما الذي لا شك فيه، هو أن مجموع البنيوية ــ إذا أخذتها كُلاًّ وكما آلَتْ إليه في (اللوغورتمات) الأوربية وفي التبعية العربية فذالك الضلال البعيد، ولعلك علمت من أضرار بنيويين من درجة أولى أن شاموا المخرج من طريقهم المسدود في الإغارة على مناهج أخرى فهم مرة عيال على فرويد ومرة ضيوف على ماركس.. ثم ــ والشيء بالشيء يذكرا اين كان (دوسوسير) قبل اليوم؟ إنه عالم لغوي طبع له تلاميذه محاضراته بعد وفاته، ورأينا الأساتذة في الأربعينات والخمسينات في السوربون وغيرها يذكرونه كما يذكرون أي لغوي آخر. فللرجل جهده وهو واحد من عشرات آخرين، أمَّا أن يستحيل بين عشية وضحاها إماماً، وإماماً وحيداً أوحد، فذلك هو الضلال البعيد.

ويتفاقم الضلال. . ويشرع اناس يعودون إلى وعيهم. . فإذا عيوب البنيوية، كثيرة تستغرق مقالات وكتباً، وإذا المعقول المعقول توجيه الجهد إلى مابعد البنيوية، فتلك عاصفة عبرت وشرع الناس ينفضُّون، وهذه رسالة تصل إليّ من صديق في جامعة الجزائر يقول: وهي مؤرخة في ١٤/١/١٩٨٥.

«زارنا في المعهد الأستاذ ميشال باربو ــ وهو من اللسانيين والبنيويين الفرنسيين ــ وألقى محاضرتين قيمتين عن عيوب البنيوية التي نفض يديه ــ كما أعلن ــ منها بعد أن أنفق عشرين عاماً في تبنيها متابعة لأستاذه كَريماس» ــ انتهى!! والسعيد من اتعظ بغيره.

لقد حاولت ــ ولا أكتمك ــ أن أدرس البنيوية، ولكن كنت بين اثنتين أرى في احداهما ماكنت أعرفه من قبل وهو جَيِّدٌ أو يمكن أن ينتفع به في الدراسات اللغوية أولاً، وفي النقد الأدبي ثانياً. . ، وفي ثانيتهما أرى مالا لزوم إليه وهو يجهز على روح النقد، ومن كان غنياً في نفسه كان في غِنَى عنه. . وفي غنى حتى عن مواصلة الدراسة فيما لاطائل تحته. هذا شيء. .

وشيء آخر قلته لنفسي ولأصدقاء لي وطلبة، منذ وقت مبكر، دون ارتباط بفلسفة من الفلسفات أو صلة بنظام من الأنظمة، قلت: البنيوية ــ في الوجه الذي أسفرتْ عنه فكانت ضجة غريبة ــ لُعْبَةَ أقل مايقال: إنها لعبة تشغل الناس عن جدهم، وتعبث بقيمهم وتهيئ ماءً عَكِراً لمن لا سبيل إزاءه غير الاصطياد في الماء الْعَكِر.

قلت، ومنذ وقت مبكر: إنها حركة استعمارية، وكنت أعي ماأقول، أي إني لا أتهم الأدباء الذين يلتزمونها بالعمالة، فليس لدي دليل لأسمح لنفسي بذلك، كما أني أُصِرُّ على أن مخابرة خاصة لنظام خاص نظم ايقاظها وشحذ عزائم (الآوف) و(الاسكي)، وأثار النخوات وهدف إلى زيادة خراب على خراب العالم الثالث، وأي خراب أعلى واسمى وأرقى من أن يعيد إليك مارفضته أمس باسم «الفن للفن» لأنك تنظر فترى في بلادك وأمتك الفوارق الطبقية والاستعمار والاستغلال والجهل والفقر والمرض. . ولكنك الآن، وأنت أنت، وأمتك أمتك

مع الثعالبي وكتابه
« التوفيق للتلفيق »

أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي من رجال القرنين الثالث والرابع الهجريين[1] ، (سنة ٣٥٠ ــ ٤٢٩ هـ) . وهو صاحب التصانيف الكثيرة التي أربت على المئة كما جاء في إحصاء الأستاذ حبيب الراوي والدكتورة ابتسام الصفّار ، وذلك في « المقدمة » التي قَدَّمَا بِها لكتاب « تحفة الوزراء » .

ترى من الفخر التميز والمعاصرة أن تكون (بنيوياً) تفكر بنيوياً وتأكل بنيوياً، متعالياً على الاجتماع والفلسفة والأخلاق . . والانسانية!! والابداع شعراً ونقداً!!

أجل، لاهذا . . ولا ذاك . . وإنما الذي لا شك فيه ولا ريب ولا نقاش أَنَّ الحركة في جملتها، من حيث هي حركة وضجة ومعاصرة ومبدأ ومنهج . . تخدم الاستعمار خدمة جليلة إذ تصرف ــ في أقل مافيها ــ الأديب عن الفكر والاجتماع والنضال . . لأن معجمها يقوم ــ في كل مايقول ــ على تفكيك لغة النص، ولك أن تحصي الحروف في القصيدة، ولك أن تربط بين هذه المفككات . . لك كل شيء تبعد به الفكر والمجتمع والإنسان لتتفرد بالشكل؟

هذا في أقل مايقال، وإلا فما المانع من أن تكون مخابرات مامن نظام ماقد فعل مافعل، ومالمانع من أن يكون في اعلام الأدباء الغربيين من كانت له في تلك المخابرات يد أو رجل أو رأس!!! الكلام يطول يطول، وقليل من البنيوية لابأس به . . .

ولا أمنع عليك الكثير ــ والكثير جداً ــ فأنت حُرٌّ، والبنيوي حرٌّ جداً . . ولكني أعترف بأن كلامي جاء متأخراً قليلاً ــ أو كثيراً ــ عن وقته، فعذراً لمن كان رأيه من رأيي، وعذراً كذالك لمن لم يكن كذالك ــ وشافعي في التأخير القصد إلى تخفيف اللهجة، وقد خَفَّتْ.

بغداد **د. علي جواد الطاهر**

ومن غير شك أن هذا العدد قد اشتمل على المطبوع والمخطوط والضائع من تصانيفه .

على أن من أشهر ما عُرف به الثعالبيُّ كتابين أحدهما هو : « فقه اللغة »[٢] ، وهو معجم صغير من معجمات المعاني ، وقد ذاع اسم الكتاب حتى صار بابا من أبواب العربية . ثم كان « فقه اللغة » في العصور المتأخرة شَيئاً مما ندعوه « علم اللغة » أو « علوم اللسانيات » في عصرنا .

ولم يكن الثعالبي أول من فطن إلى هذا الاسم فقد سبقه أحمد بن فارس إلى هذه التسمية ، فكان قد سمى كتابه اللغوي « الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية » . ومن المعلوم أن مادة الاسم هي «فقة اللغة » ، وأما « الصاحبي » فلأنه ألفه وأهداه إلى الصاحب بن عبَّادٍ ، على طريقة المصنفين في القرنين الرابع والخامس ، وقد سار على نهجهم المصنفون في القرون اللاحقة .

إن « فقه اللغة » في كتاب ابن فارس مادة لغوية تتناول الكلمة واشتقاقها ، وسائر وجوه التصرف فيها ، سعةً ومجازاً ، وهو من هنا يختلف عما كان قد أَوْعَبَهُ الثعالبي « كتابه » .

وأمَّا كتاب الثعالبي الثاني فهو « يتيمة الدهر »[٣] ، وهو من أَجَلِّ كتب المؤلف ، وبه عُرِف ، وإليه يرجع الدارسون في تاريخ الأدب . لقد ترجم الثعالبي لجمهرة كبيرة من الشعراء مُصَنِّفاً إياهم حسب البلدان التي انتسبوا إليها أو عاشوا فيها . وقد تابعه في منهجه هذا الباخرزي في « دمية القصر » ، والحظيري في « زينة الدهر » ، والبيهقي في « الوشاح » ، والعماد الاصفهاني في « خريدة القصر » ، وابن بسّام في « الذخيرة » .

وجرى على هذا من تبعهم من المؤلفين على تراخي العصور حتى عصرنا ، فقد عرفنا المعاصرين يؤلفون في شعراء مصر ، وشعراء الشام ، وشعراء الحجاز وغيرهم .

وكَأَنَّ الثعالبي أفاد من الشعر الذي أوعبه كتابه « اليتيمة » فراح يعرض له

مُستفيداً مما ورد فيه من أغراض ، فكانت مادة لجمهرة من كتبه مثل : « ثمار القُلوب » و « خاص الخاص » و « سحر البلاغة » وغيرها .

وقد يسترعي النظر أن تجد مادة كتابه مكررة في عدة كتب ، يعرض لها في « ثمار القلوب » مرة فَيؤَدِّي بها غرضاً خاصاً ، ثم يعيدها في « خاص الخاص » فيجعلها في سياق آخر .

ثم إن « اليتيمة » قد اشتملتْ على تراجم مطولة فترجمته للمتنبي تؤلف كتاباً برأسه ، وترجمته للحسين بن الحجَّاج تؤلف كتاباً آخر ، كما اشتلمت على جمهرة كبيرة من أشعاره وأخباره . ومن هنا كان المعول على هذه النماذج الكثيرة في الوقوف على شعر ابن الحجاج الذي لم ينشر ديوانه[٤] .

ومن هنا كانت « اليتيمة » من المصادر الرئيسة في دراسة شعراء الدولة العباسية .

لقد اهْتَدَيْتُ إلى نهج الثعالبي في كتبه الأدبية وأنا أُحقِّق كتاباً صغيراً له وهو كتاب « المتشابه » . وقد استعنتُ على تحقيقه بما وقفت عليه من نصوصه في كتبه الأخرى .

قلت : إنَّ مادة كتبه الأدبية تقوم على أغراض لمحها المؤلف وهو ينظر في التصوص ، فجمع الأشباهَ والنظائر ، وأفرد لها كتباً تخدم أغراضاً مُعَيَّنَة ، وهو حين يورد شيئاً منها لتخدم غرض خاصاً ، قد يعود إليه فيثبته في سياق آخر فيخدم غرضاً آخر .

هذه نبذة يسيرة مَهَدتُّ بها للكلام على كتاب « التوفيق للتلفيق »[٥] . ولنبدأ الكلام بالتعريف بمادة الكتاب ، ولنثبتْ ماذكره الثعالبي نفسه في آخر فاتحة كتابه ، قال : (. . . فسنح لي عمل هذا الكتاب ، المعنون بـ « التوفيق

للتلفيق » ، فيما علق بحفظي من أجناس حُرِّ الكلام ، وبديع سحر البيان في التّلفيق بين الشيء وجِنْسِه ، والجمع بين الشيء وشكله ، نَظماً ونثراً ، وجدًّا وهزلا . . . .) .

و (التلفيق) في صنعة الثعالبي هذه تعني الجمع بين النَّظائر والأشباه في فنون القول .

وأصل التلفيق في اللغة هي الصنعة والزخرفة ، وأحاديث ملفّقة أي مزخرفة . وقالوا في صنعة المخطوطات : نسخة مُلَفَّقَة ، أي مجموعة من أصول عدة[٦] .

ولنضرب مثلاً على التَّلفيق مما ورد في (الكتاب) فنقول : (مدح ابنُ عبَّادٍ رجلاً في رسالة له فقال : شجرة فضل ، عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ، وتغذّيها أرض المروءة[٧]) .

أقول : والتلفيق هنا يعني أن الصاحب اتّخذ من الشجرة وأجزائها نظائر في الممدوح سواء بسواء على طريقة التّشبيه ، فقابل هذه بتلك .

وجملة هذا يدخل في باب (البديع) الذي أكثر منه المتأخرون ، وأغرقوا في استعماله حتى أخرجوا الكلام من صفته البديعة البليغة إلى الألوان التافهة المرذولة . وهل كان باب (مالا يستحيل بالانعكاس) مثلاً غير لَغْو وعَبَثٍ ، ومثله التجنيسات الكثيرة ونحو ذالك مما أفْسَدَ شعر المتأخرين .

غير أن الاضطلاع بنشر هذه الكتب والاجتهاد في صنعتها وتحقيقها يدخل في باب (إحياء التراث) ، مهما كانت قيمة ذالك التراث . وينبغي أن نصحح فهمنا للتراث ، وألا نؤخذ بالشائع بين العوام وأشباههم في إلقاء صفة الإكبار والقداسة على كل مادة قديمة ، ذالك أنَّ طائفة من المخطوطات القديمة تشتمل على التَّافِهِ المرذول الذي لا يحملنا على النظر إليه ماهو شائع في عصرنا لدى غير أهل الاختصاص .

ولنعد إلى (الكتاب) فنقول : لقد قدم له المحقق السيد إبراهيم صالح بمقدمة

موجزة ، وكان ينبغي أن يتوسع فيها قليلاً فيتكلم على قيمة الكتاب العلمية ، ومنهج المصنف فيه .

لقد عني المحقق ببيان من أهدى المؤلف إليه « كتابه » الذي أشار إليه بـ (الشيخ السيد) وكأنه اطمأنَّ إلى أنه السيد مسافر بن الحسن بدلالة ماورد في « خاص الخاص » من ذكر الثعالبي (للشيخ السيد) هذا الذي خصه بالإهداء .

وقال المحقق : ترجم له الثعالبي في « تتمة اليتيمة » .

أقول : قد يكون اجتهاد المحقق هذا حسناً ، وأن (الشيخ السيد) في كلا الكتابين واحد ، وهو (مسافر بن الحسن) . ولكني لا أذهب إلى الاطمئنان الذي انتهى إليه المحقق معتمداً على ذكر (الشيخ السيد) من غير تعيين الاسم في كتاب « التلفيق » .

ويحسن بنا هنا أن نقف على لقب (السيد) في هذه الحقبة ، فنقول : إنه يعني (الشريف العلوي) نسباً . وقد يكون (الشريف) وحده مرادفاً للسيد ، والذين لقبوا بـ (الاشراف) هم في الغالب العلويون .

أقول : في الغالب ، ذالك أن (الشرافة) قد تَمسَّكَ بها العباسيون في العصور المتأخرة ، فكما كان نقيب للأشراف العلويين كان أيضاً نقيب للأشراف العباسيين .

وبعد فهذه نبذة يسيرة وددت أن أخص بها « العرب » الغراء وقد رأيت أنها مناسبة للكلام على شيء من أدب الثعالبي .

صنعاء : الدكتور إبراهيم السامرائي

[الحواشي] :

(١) مصادر ترجمته :
« إحكام صنعة الكلام » ، للكلاعي ص ٢٣٢ (ط . بيروت ١٩٦٦) .
« البداية والنهاية » ، لابن كثير ٤٤/١٢ (ط . مصر) .
« دمية القصر » ، للباخرزي ٩٦٦/٢ (ط . دار الحياة ، دمشق ١٩٧٤) .

مخطوط نادر :

جواهر المغاص في معرفة الخواص

للعلامة عبدالله بن علي النعمان الضمدي

يُذْكَر المؤرخ العلامة البَحَّاثة عبدالله بن علي النّعماني الضَّمَدِي بكتابه «العقيق اليماني في تاريخ المخلاف السليماني»[1] الذي فرغ من تأليفه سنة ١٠٥٧هـ ، كما وجدتُهُ على النسخة التي بخطه سنة ١٠٥٨ ونادراً مايُذْكَرُ له كتاب آخر غيره . ــ وقد وَقَفْتُ على مجلَّدٍ كبير بِخَط العلامة المذكور يضم كل أعماله الكاملة ــ كما يقولون ــ وهي عبارة عن كتابين أحدهما «العقيق اليماني» وهو مكتوب بخط المؤلف هكذا : «العقيق اليماني في أخبار المخلاف السليماني» ومايترتب على ذالك من الأخبار والآثار ، تأليف العبد الفقير إلى كرم مولاه القدير ، عبدالله بن علي النُّعماني الضَّمَدِي وفَقه الله لطاعته وجنَّبه معاصيه .

← «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام ٥٦٠/٤ (ط . دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩) .
«روضات الجنات» ، للخوانساري ص ٤٦٢ (ط . طهران) .
«زهر الآداب» ، للحصري ١٢٧/١ (ط . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٧٩) .
«شذرات الذهب» ، للحنبلي ٢٤٦/٣ (ط . مصر) .
«العبر في خبر من غبر» ، للذهبي ١٧٢/٣ (ط . الكويت) .
«كشف الظنون» ، لحاجي خليفة (في مواضع عدة) ، (ط . استانبول) .
«مرآة الجنان» ، لليافعي ٥٣/٣ (ط . مصر) .
«معاهد التنصيص» ، للعباسي ٢٦٦/٣ (ط . مصر) .
«مفتاح السعادة» ، لطاش كبري زاده ١٨٧/١ .
«نزهة الألباء» ، للانباري ص ٣٦٥ (ط . مصر) .
«هدية العارفين» ، لاسماعيل البغدادي ٦٢٥/١ (ط . استانبول) .
«وفيات الأعيان» ، لابن خلكان ١٧٨/٣ (ط . دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨) .

(٢) طبع غير مرة في بلدان مختلفة .

(٣) طبع في مصر وأعيد نشره طباعةً وتصويراً .

(٤) لقد هم الزميل الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر بنشر هذا الديوان الذي حققه معتمداً عدة نسخ مخطوطة ، وكان في النية ان يتولى نشره الأستاذ الدكتور المنجّد ، ولكنه لم يفعل .

(٥) من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٣م ، حققه وعلق عليه إبراهيم صالح .

(٦) التلفيق في الاستعمال قد أفاد أيضا اختلاق الكذب ووضع الأباطيل وهو الشائع في لغة المعاصرين .

(٧) كتاب التوفيق للتلفيق ص ٤٧ .

والكتاب الثاني وهو الجديد في مقالنَا هذا أسماه مؤلفه بـ: «جواهر المغاص في معرفة الخواص» لعبده الفقير ، إلى كرم الله القدير ، الخائف المستجير من عَذاب الله ، الفقير عبدالله بن علي بن محمد بن علي بن حسن النّعمان الضَّمَدِي ــ كذا على صفحة العنوان .

هذا الكتاب لم أجد من ذكره من الذين أرّخُوا للعلامة الضَّمدي ، بل لا أعلم بِنسخة غير التي وقفتُ عليها ، ولولا أنَّ الكتاب جميعه وجدته مخطوطاً بقلم المؤلف لشككتُ في نِسْبَتِهِ .

وقد افتتحه بعد الحمدلة ، والصَّلاة على نبيِّه ﷺ ، بقوله : (أما بعد فهذه نبذة في الخواص جمعتها من كتب عديدة) ، ثم يسرد مراجعه ، وهي كثيرة ، تجد النادر منها من كتب أهل اليمن «تحفة الطب» للشيخ يحيى بن أبي بكر العامري الحرضي[٢] و«طرفة الطِّب»[٣] يقول في نسبته: للأخ المطهَّر بن علي النّعمان الضَمَدي ، وهذا إرشادٌ مفيدٌ يَدُلُّنَا على أن اسم مطهر ليس لَقَباً لمؤرخنا هذا ، وإنَّما هو اسم لأخيه ، وقد وقع كثيراً لبعضهم تسميته بالمطهر مع اسمه الأساسي عبدالله[٤]. . . وكتب أخرى رجع إليها لَعَلَّ أهمّها وأنفسها كتاب «المقالات في أصول الديانات»[٥] لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفي سنة ٣٤٦ الذي يُعَدُّ في عداد المفقودات .

وكتابنا هذا من الكتب الموسوعية التي تضم علوماً جَمَّة ، يَعتمد على الترتيب الأبجدي ، وهو على شاكلة «خريدة العجائب» لابن الوردي ونَحْوه ، إلا أنَّ الميزة في كتابَنا هذا تأتي فيما أضافه المؤلف من عنده من خبرات ومشاهدات تتعلق ببلده تهامة .

ورتّبَهُ على فصول: منها فصل في الحيوان والنبات والمعادن ، وفصل في خواص القرآن وآخر في خواص الأسماء ، ورابع في السيرة ، والفصل السَّابع في البحار ، والثامن في العيون والأنهار والآبار ، والتاسع في الجبال ، والعاشر في البلدان ، والحادي عشر في خواص البلدان ، والثاني عشر في أشياء عدَّها الأطباء من السُّمُوم ، والثالث عشر في فصحاء العرب ، والرابع في بَدْءِ الخلق وأشراط الساعة .

وهذه الفصول ــ كما ترى ــ شاملة متنوعة . وسنبتدئ بأكبر الفصول وأهمها ، وهو فَصل الحيوان والنَّبات والمعادن ، وقد رتَّبَهُ على حروف المعجم ، وابتدأ فيه بالإنسان وقد أطال فيه ، وله في ذالك عذر يقول: (وقد أطلنا الكلام في ترجمة الإنسان ، وخرجنا عن المقصود والمراد في هذا المختصر الاقتصار على ذكر الخواص دون غيرها ، وذالك لشرف الإنسان على الحيوان والحديث شُجُونٌ) .

فالمؤلف بنى كتابه على الاختصار ، وجعله في ذكر خواص الأشياء ، فهو قد جمع فيه بين الطّب وعلوم الكيمياء والجغرافيا ، وخاصة في المواد التي تتعلق بتلك العلوم ، ــ أنظر على سبيل المثال المواد التي تطرقها من عالم الحيوان فَسَتَجِدُه تناول حيوانات مرتّبة أسماؤها على حروفها منها : الأسد ، الإبل ، الأتان ، الأرنب ، الأروبة ، الأساريع ، الإصلة ، الإيِّل ، الأفعى ، الإوزّ ، ايس ، ابن آوى . فهذا من حرف الألف من مادة الحيوان .

أما النبات فهي: الأرز ، الإجاص ، الآس ، الأترج ، الأفيون ، الأثل .

وفي المعادن الأُسْرُبُّ .

ثم يتناول بقية الحروف الهجائية فيبتدئ بالحيوان ثم النبات فالمعادن ، وهكذا ، وهذا الفصل من أوسع أبواب الكتاب ، وكأنه أَلَّفَهُ مُسْتَقِلاً ، ثمّ أَلْحَقَ به بقية الأبواب الأخرى المشار إليها آنفاً .

والطَّريف في الكتاب أنه يشرح بعض الحيوانات والمعادن والنّبات بأسمائها عند أهل تهامة الدَّارجة عندهم ، فَيقول عن ابن آوى : (ضرب من السباع ، وهو المخنق بلغتنا في تهامة) . والبقلة الحمراء هي الرجلة ، والحمّص هو الصّنبري ، والرازبانج هو الشّمار ، وحب الرَّشاد هو الحرف ، والسَّذاب من المعادن هو الطوق ، ودم الأخوين هو العندم ، والشفنين هو النمام والعدس ثم البلسن ، والمشمش: البرقوق ، والمرتك: الخبث، والْهَيْلُ : القاقلّة ، وهكذا .

وربما أضاف إلى الباب شيئاً من تجاربه ومشاهدته في تهامة ، فهو يقول في مادة (حية): (ومن الحيّات: ذوات القرون ، قلت: بل قد شاهدناه ببلدنا عيانا غير مرة) .

ومن تجاربه مايُصَحِّحُ بها كتب الطّب التي ينقل عنها ، فهو يستَدْرِكُ على الأزرق صاحب كتاب «تسهيل المنافع» في قوله عن الدخن: هو باردٌ يابس ، وقيل حارٌّ خاصته يهيج السوداء) إلخ بنقد يردّ عليه هذا القول بحجة ينقلها عن كتب الطبّ ، ويقول: (لايكون طبع الشيّ حار بارد ولعله سهو من الشيخ ولا يَسْلم من الخطإ إلا كتاب الله) .

ويعلل بعض الأسماء فَيُعْمِلُ فِيْها فكره وعلمه فيقول في مادة (طُبَّاق): (الطُّبَّاق اسم عربي ، ولعلّ العجم لكّنته بألسنتها ، فقلبت الطاء تاء والقاف كافاً ، ثم لما فشى هذا الاسم في العرب ، وقد غلب عليه تلكين (كذا) العجم فعرّبته العرب بألسنتها فقالوا: تنباك أي زادوا نوناً قبل الباء الموحدة والله أعلم) . فهذا بعض من اجتهاده في تعليل الأسماء الأعجمية يُسْتَدَلُّ منه على فطنة المؤلف وعلمه على أن أهمَّ مايلفت النّظر في كتاب علامتنا الضَّمَدِيِّ هو صدق العبارة وأمانة النّقل ، ونادراً ماتَجِدُهُ ينقل نَصّاً دون أنْ يَعْزُوَهُ إلى صاحبه ، وقد نَبَّهَ على ذالك بقوله في مقدمة كتابه: (وقد الْتَزَمْتُ أنْ أُسْنِدَ كل قول إلى قائله: وإلى الكتاب الذي نقلتُ منه ــ إن شاء الله ــ وربما يحصل السهو مني عن ذكر المؤلِّف والمؤلَّف نَادِراً) . فهذه ذَرْوَةُ الأمانة العلمية التي تَحَلَّى بها علاَّمتنا رحمه الله وربما افْتَقَدْنَاها كثيراً في أنْدَادِهِ من معاصريه ، والمتقدمين عليه من العلماء السابقين الذين كانوا يَسْتَلُّونَ كُتُباً بِرُمَّتِهَا مُتَعَمِّدِيْنَ السَّرقة والإختلاس ، فالله المستعان .

وكان من إفادة التَّنْبِيهِ على مراجِعِهِ أنْ دَلَّنَا على مراجع مُهِمَّةٍ نَبْحَثُ عنها وقد أشَرْنَا إلى بعضها فيما سبق ، وقد تتبعته في نَقله عن «شمس العلوم» لنشوان الْحِمْيَرِيِّ فوجدتُّهُ يَرْصُدُ نَباتَاتِهِ ومعادِنِهِ التي ذكرها في معجمه ، وهي هذه :

الآس ، الأثل ، الحلتيت ، الحصص ، الرَّيحان ، الزّنجبيل ، الزئبق ، السذاب ، السعد ، الشبرم ، العنبر ، الورد ، الورس ، فهذه أسماء النباتات والمعادن التي ذكرها صاحب «شمس العلوم» كما نَبَّه على ذالك المؤلّف ولعله ترك أخرى ومن الغريب أني وجدتُّ المؤلف ينقل نَصّاً فَرِيداً من «تاريخ صنعاء» لم أجِدْهُ في المطبوعة التي نَشَرها الدكتور حسين بن عبدالله الْعَمْرِيُّ ، يقول في أثناءِ

الحديث عن النّسناس: (وهو خَلْقٌ على صورة الناس) ، يقول: وفي «تاريخ صنعاء» أن رَجُلاً دخل بلادهم فرآهم يَثِبُونَ على رِجْلٍ واحدةٍ ، ويصعدون الشَّجر ، ويَفِرُّوْنَ من الكلاب أن تأكلهم ، وسمع واحداً منهم يقول شعراً :

فَرَرْتُ مِنْ خَوْفِ الشَّرَاةِ شَدَّا إذْ لَمْ أَجِدْ مِنَ ٱلْفِرَارِ بُدَّا
قَدْ كُنْتُ قِدْماً في زَمَانِي جَلْدَا فَهَاأَنَا ٱلْيَوْمَ ضَعِيفٌ جِدَّا

قلتُ لعل هذا النقل مأخوذ من «تاريخ صنعاء» لابن جرير ، وهو من الكتب المفقودة والله أعلم(٦).

ويبقى أمامَنا من أبواب الكتاب المهمة باب البلدانيات وهو من الفصول الجيّدة الواسعة التي شملت الحديث عن أمهات المدن والبلدان ، وقد تحدث فيها عن أرض المغرب ، ومن بلدانها المذكورة في كتابه: السُّوسُ الأقصى ، وباردونت ، ورَقَّادة ، وأَغْمات ، وفاس ، وطنجة ، والقيروان ، ثم تحدَّث عن مدن الغرب الأوسط ، ومنها أشبونة ، وغرناطة ، وقرطاجنة ، وشاطبة ، ومن مدن الغرب الأدنى برقة ، ثم انحدر إلى أرض مصر ، وعقد لها فصلاً كبيراً تحدَّث فيه عن تاريخها وخصائصها أغلبه منْقول من تاريخ السّيوطي ــ لعله «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» . ومن مدن مصر التي أفردها بالحديث: الفسطاط ، والقاهرة ، وعين شمس ، وقليوب ، ثم اتجه إلى فلسطين وذكر من مدنها: بيت المقدس، وأريحا ، ومن مدن الشام عموماً : طبرية وبعلبك ، وحلب ، وبلدان أخرى نوردها سرداً: بلاد الأرمن ، خلاط ، نصيبين الموصل ، المدائن ، الكوفة ، واسط ، طبرِسْتان ، الديلم خوارزم ، سمرقند ، الأهواز ، أرض الصغد ، أرض فرغانة ، التبت ، وبلدان أخرى ليس فيها نَقْلاً جَيِّداً يذكر ، وإنما غالِبُهُ مُسْتَوْعب من كتاب «خريدة العجائب» لابن الوردي ، وهو كتاب شعبي ليس بِذي بال .

على أنه عندما وقف على تهامة وماحولها أطال الوصف وأفاد النقل ، وقد عاب على صاحب «الخريدة» أنه لم يذكر من بلدان التَّهايم سِوَى زَبِيدَ وعَدن ، يقول: ولم يذكر صاحب «الخريدة» من مدن تهامة سوى زَبيد وعدن . . . ولم يذكر على

التخصيص غير زبيد وعدن وذالك كثير عليه لبعد أرضه وعدم معرفته باليمن وأهله. فاستوفينا الكلام على اليمن (وصاحبُ الْبَيْتِ أَدْرَى بِالَّذِي فيه) .

وقد جاء حديثه عن اليمن والتَّهايم حديث الخبير المُتَمَرِّسِ بأوضاع البلاد يقول عن المخا: (وهي مدينة عظيمة عامرة على ساحل بَحر القُلْزُم، بينها وبين مدينة زَبِيد مهب الجنوب مسير يومين ، أو أكثر قليلاً ، وإليها يسافر التجار من جميع الأقطار من الهند ومصر والحبشة والغرب والعراق والشام براً وبحراً ، وإليها تُجلب بَضائع هذه الأقاليم من التحف والنَّفائس والأطياب والملابس ، والأدوية والأمتعة والجوارات وأصناف التجارة كلها ، وكانت المراكب متجولة في الزّمن الماضي إلى عدن فلما كان أوائل القرن العاشر تحولَتْ المراكب إلى المخاء المذكور ومضت سائر المنادر[٧] مصا حتى صرف بها الميل في أرض اليمن وغيرها) .

ويقول عن عدن: (وكانت هذه المدينة في زمن ملوك بني طاهر عَيْنَ البلاد وكرسي عظيم من كراسي اليمن فلما تحولت المراكب إلى المخا كما ذكرنا أولاً تناقصَت عدن عن حالها الماضي وهي الآن مدينة لطيفة حسنة كغيرها من المدن) .

ويحدثنا عن مدن تهامة الأخرى فيقول عن صَبْيا ساردا تاريخها وخصائصها : (مدينة عامرة حَسنَة بها أسواقٌ ومزارع كبيرة ومخاليف كثيرة ، ومياه فائضة وهي مدينة حديثة العهد أسسها الأشراف الخواجيين رحمهم الله بعد قين المححاه وحبتر(؟) والحروب الحاصلة بينهم وبين الأتراك وكانوا[٨] الأشراف في أيام هذه الفتنة يسكنون مغارب وادي صَبْيا ثم أجمع رأيهم على سكون(؟) هذه المدينة وعمرت في أسرع وقت ، وضرب بها الأمثال في المتاجر والمصالح والأموال ، وقصدها التجار من جميع الأقطار ، وكانت مُنذُ أُسِّسَتْ مهملة يأكل الضَّعِيفَ فيها القويُّ حتى تملكها الشَّريف أحمد بن الحسين بن عيسى فضبط البلد ضبطاً تضرب به الأمثال ، وحفظها وصان الضَّعيف ونكَّلَ بالمفسدين وأباد المعتدين ، وقنَّن القوانين والجبايات ، وأعطى العطايا المستكثرات وكانت دولته نَيِّف وعشرين سنة ، وخلف ولده الشريف الجليل ملك بني الزهراء وحامل رايتهم الكبرى ، أبومحمد الحسين بن أحمد بن الحسين) إلخ

ويصف تهامة عموماً بأنَّ: (في سواحلها معادن كثيرة للملح ، وفي جبالها معادن الحديد والكحل والزاج[٩] والمغرة[١٠]. وكان في تهامة اليمن مدائن كثيرة غيرما ذكر منها مدينة حرض ، ومدينة المصبري والخميميَّة فلما ظهرت مدينة صبيا مضت المدائن المذكورة ، وتلاشتْ وخربتْ ، ولم يبق بها أنيس) .

وعن مدينة حَلْي: (مدينة مليحة كثيرة الخيرات والحبوب واللحوم ، والسمن والسمك والمشاميم ، والبيع والشراء ، والقوافل تهبط إليها من الحجاز واليمن والشام) .

ومدينة أبي عريش: (كانتْ هذه المدينة في عصر ولاتها السادة آل قطب الدين مدينة عظيمة طيبة الثرا صحيحة الهواء ، عذبة الماء ، كثيرة الخيرات ، فلما ظهرت مدينة صَبْيَا ضَعُفَتْ) .

ويذكر مدينة صنعاء نقلاً عن صاحب «الخريدة» ويعلق على قوله: (وبها من الزّعفران والورس كثير جداً) يقول: (هذا الكلام صاحب «الخريدة» ولعلّ الزعفران كان بصنعاء في عصره فأما الآن في عصرنا هذا فلا يُعرف الزّعفران بأرض اليمن كافة) .

ويصف صَعْدَةَ ويشير إلى نبذة من تأريخها منذ قيام الإمام الهادي إلى الحق فيها حتى يصل إلى ذكر معادنها فيقول: (وحول مدينة صعدة معدن الحديد تحمله القبائل إلى المدينة فيشتريه الحدَّادُوْنَ ويخلصونه ويبيعونه بأثمان كبيرة ، ويحمله التّجار إلى سائر أرض اليمن ولايُعْلَمُ معدنٌ للحديد بأرض اليمن غير هذا) .

وذَمَار عُرِفَتْ بِعَقِيْقِها: (يوجد في بعض جبالها وهو لا يُعَادِلُهُ شَيءٌ حُسْناً ، ويَصْنَعُونَ منه أهل تلك الناحية خَواتيم العقيق الأحمر اليمني والأفْصَاص وَالسُّبَح ، فيباع بِأَغلا الأثمان ، وأَلزم بعض ملوك الأتراك أهل تلك الناحية فاستخرجوا له من هذا المعدن سُرُوْجاً للخيل وآنيةً للطَّعام ، ومداهنَ وغيرها .

وعندما وصل إلى تَعِزَّ نَجِدُهُ قَدْ أَطْنَبَ في وصْفها ، والمدح لها بكثر الأسواق والأزهار ، والتجارات والمساجد والمدارس ، وفيها البنفسج العظيم ، الطيّب

الرائحة يحمل منها إلى سائر الأقطار ، وفيها الفُوَّة وهي صِبْغٌ معروف لا يوجد إلاَّ باليمن ، ويحمله التجار إلى الهند ،ومصر والشام وغيرها . وفيها الأفيونُ البهواني يحمله أهل الهند إلى أرضهم ، ولهم تَعْوِيلٌ على استبضاعه ، ويربحون فيه أموالاً مستكثرة ويغنيهم عن الأفيون المصري (كذا)!!

ويصف خصائص اليمن عموماً فيقول: (ينسج في صنعاء وزَبيد من ثياب الحَرير الفاخرة الفوط الحسنة التي لا تصنع إلا باليمن ، يحملها التُّجار إلى مكة والشّام ، وربما بلغ قيمة الثوب الواحد أربعين دِيْنَاراً ، فمنها: المحمودي والياقوني والمحمر والقرطاس وحبُّ المسك والراد ، والأقنعة ، ولكل ثوب منها ثمن كبير ، ومن خواص اليمن شجر الْبُنِّ تحمله التجار إلى تخوم الروم ، والعراق والهند والغرب وكذالك الْفُوَّة كما ذكرنا ، ولا يوجد البُنُّ والْفُوَّةُ إلاَّ بأرض اليمن ، وأهلها ذَوُو أموال واسعة وغنى مفرط) .

وبعد فهذا كتاب «جواهر المغاص» دفعنا إلى التعريف به الجهل به ، وندرة وجوده ، وهو أَثَرٌ فريدٌ من آثار أَبْنَاءِ المخلاف السليماني، يحقُّ لهم ذكره والإشادة به .

صنعاء : عبدالله بن محمد الحبشي

الهوامش :

(١) يعرف أيضاً بكتاب «الوافي بوفيات الأعيان المكمل لغربال الزّمان» استكمل فيه حوادث «غربال الزمان» للعامري من سنة ٧٥١ حتى سنة ١٠٥٧هـ ، وهو كذا يوجد مُعَنْوناً في مكتبات جامع صنعاء أنظر رقم ٢١٩ تاريخ وأخرى ٢١٨ ، وقد وقفت ــ ولله الحمد ــ على مخطوطة المؤلف بقلمه قال في آخره: انتهى التاريخ المبارك فإن فتح الله بشيء ألحقناه إن شاء الله ، والله الموفق والمعين حرّر بمحروس الشقيري حرسه الله بصالحي عباده بتاريخ شهر ربيع الأولى سنة ١٠٥٨ ختمها الله بخير ، ولعلنا سنعود إلى الحديث عنه في صفحات هذه المجلة بمناسبة عثوري على النسخة الأم والله المعين .

(٢) منه مخطوطة بجامع صنعاء (الغربية) برقم ١٢١٦ وأخرى برقم ٩٥ مجاميع ويسمى أيضاً «التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة» أنظر كتابنا «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» ص ٤٩٥ .

(٣) منه مخطوطة بجامع صنعاء برقم ١٠ طب أنظر كتابنا المذكور الطبعة الثانية والمطهر المذكور وفاته سنة ١٠٤٩هـ .

(٤) وقع هذا السهو لكاتب المقال في المصادر ص ٤٣٧ وأيمن السّيِّد في «مصادر تاريخ اليمن» ص ٢٣١ ، ←

لمحات عن :

أسواق العرب القديمة

[وجهت لي الدعوة (مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية) في الجوف لأتحدث عن أسواق العرب القديمة ، وحددت الزمن وأطراف الموضوع ، فكان هذا الحديث في ليلة الثلاثاء ١١ شعبان ١٤٠٨هـ (٢٩ آذار ١٩٨٨م)] . .

أيها السادة : الآن وقد مَرَّ مايقربُ من ثماني عشرة سنة على أولِ يومٍ سعدتُّ فيه بزيارة هذه المدينة الكريمة ، وهو اليوم العاشر من شهر صفر سنة ١٣٩٠هـ (١٥ نيسان سنة ١٩٧٠م) لاتزال تتجلى في مُخَيِّلَةِ ذاكرتي تلك الابتسامة المشرقة التي تعلو هذا الوجه السمح المتهلهل بِشْراً وانشراحا ، ويَرِنُّ في مسمعي صدى كلمات الترحيب الرقيقة المنبعثة من قلبٍ مُفْعَمٍ بمعاني النُّبْلِ والشيم العربية الحميدة ، بحيث لم أملك إزاء كلِّ ذالك من أنْ أُصابَ بالتلعثم والحصر ، والاكتفاءِ بإنشاد البيت المشهور :

ومَنْ أَخْبَرَ الأَعْرَابَ يوماً بِبَيْتِهِ فليرفع السَّقْفَ حتى يَدْخُلَ الجملُ

ثم يسعدني الحظ مرة أخرى بعد سنوات باستجلاء هذا المُحَيَّا المشرق ، ويَتِمُّ اللقاء عند أحد مداخل إحدى حدائق القصر ، من بابٍ لا سقفَ فيه لينطبق مدلول التحية الثانية : (ارفع رأسك فإننا لا نجعل لأبوابنا سُقُفاً تَحْجِبُ الزائرين) ثم يتوالى العطف ويتواصل ، ليحقق ماعُرِفَ عن الرعيل الأول من

وكان المؤلف رحمه الله قد ترجم لأخيه بتوسع في حوادث سنة ١٠٤٨ من تاريخه ، وترجم لوالده بمناسبة وفاته في حوادث سنة ١٠١٦ وفيها معلومات مهمة عن حياة والده وأسرته .

(٥) هذا الكتاب ، لا أعلم بوجود نسخة منه ، وهو من الكتب المفقودة حسب علمي ، وكتابنا هذا يفخر بوجود نصّ طويل مهم عن ديانات أهل الهند منقولة منه لولا خشية التطويل لأوردناه هنا .

(٦) ثم وجدتُ هذا النّص موجوداً في «حياة الحيوان» للدّميري ، مادة نسناس ج ٢ ص ٣٥٣ وفيه العزو إلى «تاريخ صنعاء» المذكور والله أعلم .

(٧) كذا في الأصل المنقول عنه .

(٨) كذا على لغة (أكلوني البراغيث) .

(٩) هو من ضروب الملح الشريفة ذكره داود في تذكرته انظر «الجوهرتين» تحقيق شيخنا العلامة حمد الجاسر ص٢٤٢ .

(١٠) نوع من الطين انظر «الجوهرتين» ص ٤٣٩ تعاليق الشيخ حمد الجاسر .

كرماء العرب :

ونُكْـرِمُ ضيفَنَـا مـادامَ فينـا ونُتْبِعُـهُ الكـرامـةَ حيثُ كـانـا

إنني ــ أيها الإخوة الأحبة ــ لم أكن مجاملا حين قلت في إحدى المناسبات عن عمق إدراك : إنَّ من سعادة البلاد ــ أيّ بلادٍ كانتْ ــ أن يتولى تصريف أُمورها رجالٌ ذوو صلة قوية بقادة الدولة ، ممن عرفوا بالوطنية الصادقة والكفاءة ، إذْ في استطاعة هاؤلاء عَرْضُ متطلبات البلاد بصدق ونزاهة ، فيستقبل القادة ذالك العرض أحسنَ استقبال ، وبذالك تُسْتَوْفَى حقوقُ تلك البلاد كاملة ، ولا أَدَلَّ على ذالك مما هو مشاهد من تقدم مظاهر الحياة جميعها في هذا الجزء الحبيب من بلادنا ، وقديما لَمَحَ الفاروق ــ وهو الَّلمَّاحُ الموفق ــ هذا الأمر حين أراد تعيين أحد الأمراء ، فَوُصِفَ له رجلٌ قَوِيٌّ في تصرفه وفي جميع أموره ، وآخَرُ كَثِيرُ العبادة ، مع ضعف تصرفاته ، فاختار القويَّ قائلا مامعناه : لنا قُوَّتُهُ ولذاك عبادتُهُ .

وها نحن نَتَفَيَّأُ أفنانَ دوحةٍ سامقةِ الأصل ، من غِراس هذا الأمير الجليل ، تتجدد ثمارُهَا اليانعة كل عام ، ممثلة في هذه الندوات الثقافية التي تتناول مختلف جوانب المعرفة ، إنها إحدى ثمار (مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية) ولن أُزِيْدَكُمُ عنها خبراً ، ففي المشاهدة مايغني عن الخبر ، ولكنني اغتنمها مناسبة طيبة أعبر فيها عن عميق تقديري للقائمين على شؤونها وعلى رأسهم الأستاذ زياد بن عبدالرحمن السديري وكرامُ صَحْبهِ لإتاحة فرصة المشاركة في التحدث إليكم في موضوع قد يكون في حفلنا هذا من هو أولى بالتحدث فيه ، وحسبي أن أكون مشاركا ومستمعا ، ومستفيدا ، أشعر بسعادة غامرة بمشاهدة هذه الوجوه الكريمة .

١ ـ أشهر الأسواق القديمة :

من المعروف أن تاريخ العرب في العهود التي سبقت عصر الإسلام لايزال محاطاً بكثير من الغموض ، بل إنَّ أكثرهُ مجهول ، لأنَّ المؤرخين عُنُوا بتدوين التاريخ الإسلامي ، وأهملوا ماعداه عن قصد ، بل رأوا في إبراز جوانب من

ذالك التاريخ مالا يُرْتَضَى ، لما فيه من إحياء ذكرِ أُمورٍ جاء الإسلام بالأَمر بإماتةِ كثير منها ، ومن ثَمَّ نظروا إلى المعنيين بأخبار العرب في جاهليتهم نظرةً تتسِمُ بالاستخفاف وعدم الثقة بأقوالهم .

ومن هاؤلاء هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤/٠٠٠) الذي عُنِي عنايةً فائقةً بتدوين أخبار الجاهليين ، وتفرد بدون شكٍّ بتسجيل أنساب العرب ، بما لا يضارعه أحدٌ في هذا الباب ، ولهذا اعتبر إمام أهلِ النسب بدون منازع .

ولقد وصفه ياقوت الحمويُّ حين استشهد بكلامه في تحديد أحد المواضع[١] بقوله حين أورد كلامه : ولله دَرُّهُ ما تنازع العلماءُ في شيءٍ من أمور العرب إلاَّ وكان قوله أقوى حجة ، وهو مع ذالك مظلوم ، وبالقوارص مكلوم .

وعن هشام بن الكلبي هذا رُوِيَتْ أكثرُ الأخبَار المتعلقة بأسواق العرب ، مما نقله ابن حبيب أحد تلاميذه في كتاب « المحبر »[٢] غير منسوب إليه ، ولكن المرزوقيَّ في كتاب « الأزمنة والأمكنة » صرح بنسبته لأبي المنذر ـ وهو هشام ـ[٣] .

وقد ألف المتأخرون مؤلفاتٍ حول الأسواق ، وكثرتِ الدراساتُ عنها ، ومع ذالك فكثير من الأمور المتعلقة بها بحاجة إلى دراسة أعمق .

ومعروف أنَّ الأَسواقَ التجارية التي تُقام في بلاد العرب قديماً وحديثاً من الكثرة بحيث يصعب إحصاؤها ، وإنما المقصود هنا الأسواق التي كانت تقام في مواسم معينة ، وأوقاتٍ محددة من العام ، لا لمجرد التجارة فحسب ، بل تتجاوزها إلى أمور اجتماعية عامة .

وقد اختلف المتقدمون في عدد الأسواق التي من هذا النوع ، ونقل المرزوقيُّ عن ابن دُريدٍ قوله[٤] : إن أسواقَ العرب الكبيرة ، كانت في الجاهلية ثلاث عشرة سوقاً .

ولا يتسع المجال للحديث عنها كلها ، بل الاكتفاء بذكر أشهرها ؛

١ ــ سوق دُوْمَة الْجَنْدَل :

اعتبره المتقدمون أول الأسواق قياماً[٥] ، وموقعه في الأرض الفضاء الواسعة ، الواقعة غرب حصن مارد في مدينة دومة الجندل إلى حيث منابع العيون التي كانت في الماضي تجري سيوحاً . وقد تحدث عنه ابن حبيب في كتابه « المحبر » ــ ٢٦٣ ــ بأوفى مِمَّا تحدث به عن سوق آخر ، ومثله المرزوقي ــ فيما نقل عن ابن الكلبي .

٢ ــ سوق المشقر :

قال ابن الأعرابي[٦] عن المشقر : مدينة عظيمة في وسطها قلعة على قارة تسمى عطالة ، ماءُ هَجَر يتحلب إليها . وذكر غيره بأنه يقع بين نَهْرَيْ مُحَلِّمٍ وسُلَيْسِل وهُمَا نِهْرَانِ بِهجر ــ مُحَلِّمُ كان يسقي جواثا المعروفة الآن وسُلَيْسِلُ يقع جنوب الواحة ، وكان معروفاً إلى عهد قريب مما يدل على أن موقع المشقر في مدينة هجر التي كانت بقرب مدينة الأحساء التي أنشأها القرامطة بعد تخريب هجر ــ أي على مقربة من قرية البطَّالية ، وعين الجوهرية حيث هناك قصر قريمط من آثار الاحساء القديمة[٧] .

٣ ــ سوق دَبَــا :

ودَبَا كانت إحدى فُرَضِ العرب[٨] ، وموقعها لا يزال معروفاً في أسفل واد يبعد مئة وخمسة وعشرين كيلاً عن مدينة الشارقة جنوبها ، وفي أسفل هذا الوادي ثلاث قرى هي : دبا البيعة تابعة لسلطنة عُمان ، ودبا الحِصْن تابعة لإمارة الشارقة ، ودَبَا بدون اضافة تابعة لإمارة الفُجَيْرَةِ .

ويظهر أن السوق كان يقام في موقع القرى الثلاث هذه ، ليس بعيداً عن الميناء ، في أرض براح واسعة كانت مياهها جارية على وجه الأرض .

٤ ــ ســـوق أَدَم :

في بلاد عُمان ولايزال اسم أَدَم يطلق على ولاية في الجنوب الغربي من مدينة مسَقْط ، على بعد نحو مئة وعشرين كيلاً ، وهناك بلدة بهذا الاسم ، ذات

نخل ، يسقى من أفلاج (عيون) والقرية قديمة فيها مسجد ينسب لعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وفيها ولد أحمدبن سعيد جَدُّ الأُسرة الحاكمة في عُمان الآن ، وعلى مقربة منها تقع حقول النفط ، تبعد عن حدود المملكة الشرقية الجنوبية نحو مئة وخمسين كيلاً[٩] .

وهذا السوق لم أر له ذكراً عن ابن الكلبي ، وذكره القلقشندي في « صبح الأعشى »[١٠] و« نهاية الأرب[١١]» ورد الاسم فيهما مصحفاً (ارم) .

٥ ــ سوق الشِّحْرِ :

والشِّحْرُ هذا في بلاد حضرموت ، يقام السوق تحت ظل الجبل الذي فيه قبر هود عليه السلام[١٢] .

٦ ــ سوق صنعاء .

٧ ــ سوق عدن .

٨ ــ سوق عكاظ .

وموقعه أسافل أودية الطائف ، حيث تفيض تلك الأودية في سهل رُكْبَة ، في متسع من الأرض ، كانت مياهه بارزة على وجه الأرض ، على بُعْدِ نحو ثلاثين كيلاً من مدينة الطائف .

٩ ــ سوق مَجَنَّة :

ويقع في أسفل مر الظهران (وادي فاطمة) .

١٠ ــ سوق ذِي المَجَاز :

في الوادي المعروف الآن بهذا الاسم ، على مقربة من عرفات .

١١ ــ سوق حُبَاشَة :

لم أَرَ لهذا السوق ذكراً في كتابي « المحبر » لابن حبيب و « الأزمنة والأمكنة » للمرزوقي فيما نُقِلَ فيهما عن ابن الكلبي ، وأقدم من رأيته نقل خبر هذا السوق

هو الأزرقي في مؤلفه « أخبار مكة »[١٣] وهو من أهل القرن الثالث الهجري .

وموقع هذا السوق في أعلى وادي قَنونَا الذي يخترق تهامة حتى يبلغ البحر عند ميناء القنفدة ، ويتضح من تحديد الأزرقي وغيره أن سوق حباشة يقع شرق بلدة القنفدة بنحو خمسة وعشرين كيلاً (بقرب خط الطول :١٢ْ / ٤١ْ وخط العرض : ١٠ْ / ١٩ْ) وقد استمر هذا السوق في العهد الإسلامي إلى سنة سبع وتسعين ومئة حين قتلت الأزد واليا على السوق من قبل أمير مكة ، فأشار فقهاء أهل مكة على الأمير بتخريب السوق ، فخربت وتركت .

وذكر ياقوت في « معجم البلدان » ان رسول الله ﷺ لما بلغ أشده وليس له كثير مال استأجرته خديجة إلى سوق حباشة .

وعَدَّهُ البكري في « معجم ما استعجم » أكبر أسواقِ تهامة ، ونقل عن حكيم ابن حزام : رأيت رسول الله ﷺ يحضرها .

وذكر الإمام ابن عبدالبر في كتابه « الاستيعاب » أنَّ زيد بن حارثة أصابه سِبَاءٌ في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حِزَام في سوق حباشة لخديجة بنت خويلد ، فوهبته لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة ، وهو ابن ثمان سنين ، فتبناه رسول الله ﷺ ، فكان يدعى زيد بن محمد ، حتى نزل قول الله تعالى ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ وروى الخبر الزبير بن بكار عالم قريش في عهده .

على أنَّ صاحبَ « المعارف »[١٤] ذكر أنَّ حكيم بن حِزام اشتراه من سوق عكاظ بأربع مئة درهم ، ثم وهبه لرسول الله ، ولكنني أرى أن الزبير بن بكار اعلم بهذا من ابن قتيبة .

وذكر ياقوت أن من أول البواعث لتأليف كتابه أنه سئل سنة خمس عشرة وست مئة عن ضبط اسم حُبَاشة ، فقال : إنه بضم الحاء . فانبرى له أحد المحدثين معارضاً ، فأراد قطع حجة هذا المعارض ، فألقي في رُوْعِهِ افتقارُ العالم إلى كتاب في هذا الشأن ، فألف كتاب « معجم البلدان » .

٢ ـ أوقات إقامة الأسواق :

كان عرب الجاهلية يتصرفون في تسمية الشهور فيقدمون ويؤخرون ، ذكر ابن جرير[١٥] في تفسير آية النسيء ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾[١٦] بعد أن ذكر أن الحج فرض في ذي الحجة ، قال : كان المشركون يسمون الأشهر : ذو الحجة ، المحرم ، وصفر ، وربيع وربيع ، وجُمَادَى وجُمَادَى ، ورجب وشعبان ، ورمضان وشوال ، وذو القعدة وذو الحجة ، يحجون فيه مرة ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون صفر صفر ، ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون رمضان شوالا ، ثم يسمون ذا القعدة شوالا ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ، فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ، ثم عادوا بمثل هذه القصة فكانوا يحجون في كل شهر عامين ، في الجحة عامين وفي المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين . وذكر أن الذي كان يتولى النسيء رجل من بني كنانة يقوم في الموسم فيقوم : ألا إنَّ آلهتكم قد حَرَّمت العام المحرم . فيحرمونه ذالك العام ، ثم يقوم في العام المقبل فيقول : ألا إنَّ آلهتكم قد حرمت صفر . فيحرمونه ــ أي إنهم يُحَرِّمُونَ المحرم عاما ويحلونه عاما ، ويحرمون صفر مكانه .

ومن هنا يتضح أن أوقات إقامة الأسواق القديمة لا ترتبط بأشهر محددة دائماً بل قد تختلف باختلاف عبث الجاهليين فيها بالنسيء الذي ابطله الإسلام . وعلى العموم كانت أَشْهَرُ الأسواق تُعْقَدُ على هذا النحو ــ في أكثر أقوال المتقدمين :

١ ــ السوق الأول[١٧] : سوق دومة الجندل ، من أول شهر ربيع الأول إلى النصف منه ، ثم تَرِقُّ فلا تزال قائمة إلى آخر الشهر .

٢ ــ سوق المشقر : من أول جمادى الآخرة إلى آخر الشهر .

٣ ــ اسواق عُمان : من أول يوم من رجب إلى آخره .

٤ ــ سوق الشِّحْرِ في حضرموت : في النصف الأول من شعبان .

٥ ــ سوق صنعاء : في النصف الآخر من شعبان .

٦ ــ سوق عَدَن : أول يوم من رمضان إلى عشرين منه .

٧ ــ سوق عكاظ : في العشرين الأولى من ذي القعدة[١٨] .

٨ ــ سوق مَجَنَّة : تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة ــ بعد عكاظ .

٩ ــ سوق ذي المجاز : من أول يوم من ذي الحجة ــ ثمانية أيام ــ إلى يوم التروية .

١٠ ــ سوق حَجْرٍ وسوقُ نَطَاةِ خَيْبَرَ : من يوم عاشوراء إلى آخر المحرم .

٣ ـ إدارة الأسواق وحمايتها :

١ ــ هناك أسواق تتولى إدارة شؤونها حكوماتٌ من أهل البلاد ذات سلطة قوية وانظمة محكمة ، وهي أسواق اليمن في صنعاء وعدن ، لأنها ــ كما قال المرزوقي[١٩] : أرض مملكة وأمر محكم ، وكانت تعشرهم ملوك حِمْيَرَ ثم من ملك اليمن من بَعْدِهِم ، ولا يتخفرون بأحد .

٢ ــ وأسواق تسيطر على أمورها قُوىً أجنبية ليست من أهل البلاد ، وهي أسواق عُمَانَ صُحَار ودَبَا وآدم ، وسوق المشقر في البحرين (الاحساء) فكان لدولة الفرس نفوذ على سواحل الجزيرة مكنها من بسط سيطرتها على تلك الأسواق ، وتركت إدارتها بأيدي ملوك من أهل البلاد أنفسهم ، كما يقول ابن حبيب[٢٠] عن ملوك هجر من تميم : كانت فارس تستعملهم عليها كبني نصر على الحيرة ، وبني المستكبر على عمان .

٣ ــ وأسواق تتنازع إدارتها قوتان أجنبيتان ، فأيهما كان الغلب لها تولت إدارة السوق ، ويتمثل هذا في سوق دومة الجندل الواقع على مقربة من نفوذ دولتي الفرس والروم ، الأولى ممثلة بملوك الحيرة في العراق ، والثانية ممثلة بملوك الغساسنة في الشام ــ أو كما قال ابن حبيب[٢١] ــ عن هذا السوق ــ فكان

العباديون إذا غلبوا وليها الأكيدر العبادي ثم السكوني ، وإذا غلب الغسانيون ولوها قنافة الكلبيّ .

على ان هذا لا ينفي كونَ كثيرٍ من القبائل لها نوع من السلطة على الأسواق الواقعة في بلادها ــ كقبيلة الأزد المسيطرة على أسواق عُمان ، وقبيلة كلب بالنسبة لسوق دومة الجندل ، وسوق المشقر لعبدالقيس من ربيعة .

٤ ــ وهناك أسواق تخضع شؤونها لسلطة القبائل وحدها ، ومنها : سوق عكاظ لقيس عيلان وثقيف المتجاورتين ، والنفوذ لبني نصر الهوازنيين من قيس عيلان ، ومجنة لكنانة ، وذُو المجاز لهذيل ، وحُباشة لأزد تهامة ، وحَجْر لبني حنيفة ، والشحر لقبيلة مَهْرَة .

ولاشك أن التجار الذين يفدون على هذه الأسواق يلقون سُوْءَ معاملة من حكام السوق ، إذْ كثيرا ما يجورونَ في أحكامهم ــ وكما قال ابن حبيب [٢٢] عن الحكام في صحار ودبا : كانوا يصنعون مايريُدون ، ويسيرون بسيرة الملوك في دومة ، وكانوا يعشرونها ، وقال عن سوق دومة : لم يبع أحدٌ من الشام ولا أهل العراق إلا باذنه ــ يعني الملك ــ ولم يشتر فيها ولم يبع حتى يبيع الملك كُلَّ شيء يريد بيعه ، مع ماكان إليه من مكسها .

وكذا الحال في سوقي صنعاء وعدن ــ أي إن السوق التي تحت نفوذ ملك كسوقي دومة الجندل والمشقر ، واسواق عُمان وصنعاء وعدن ــ تُعَشَّرُ ــ أي يؤخذ العشر من كل بضاعة تُجْلَب ــ لا كما ظن بعضهم أنه يؤخذ من الربح ــ وهذا مالايفهم من أن الملك يبيع مايجبي من مكس قبل بدء غيره بالبيع .

أما الأسواق التي تحت نفوذ القبائل كعكاظ وأسواق الحجاز وتهامة والشحر وغيرها ــ فإنها لا تُعَشَّر .

ويوضح مايجري في بعض الأسواق من الظلم ما أورد ابن حبيب مثالاً منه في « المحبر »[٢٤] ونصه : سنة خمس تهيأ رسول الله ﷺ لغزوة دومة الجندل ، وكان تجار العرب شكوا إليه ظلم أكيدر بن عبدالملك ــ فبلغ أكيدر إقباله فهرب وخلّى

السوق ، ورجع رسول الله ﷺ من الطريق ، وأورد الخبر الواقدي في « المغازي »[٢٥] مفصلا وفيه : ذُكِرَ له أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً ، وأنهم يظلمون من مَرَّ بهم من الضافطة ، وكان بها سوق عظيم وتجار ، والضافطة جمع ضافط وهو الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن ، وكانوا يومئذ قوماً من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت[٢٦] .

٤ ـ ذوو النفوذ والسيطرة على الأسواق من القبائل :

هناك قبائل تقع الأسواق في بلادها ، وهي :

الأزد ؛ قبيلة قحطانية كثيرة الفروع انتقلت من اليمن وانتشرت في سراة الحجاز ، فمنها زهران وغامد ورجال الحجر وغيرهم ، وهاؤلاء من أزد السراة ، ومنها عسير (أزد شنوءة) وأزد عُمان ، وهاؤلاء هم المسيطرون على أسواق عُمان .

بارق : وهي قبيلة من الأزد ، صريحة النسب اخت قبيلة ألمع ، ولاتزال تحل في بلادها[٢٧] القديمة في تهامة غرب بلاد بني شهر (من الحجر) وشمالها في صدور وادي قنونا وما حوله من الأودية[٢٨] ، حيث كان يقع سوق حباشة ، وكانوا أصحابه ، وكان الذين يلون أموره فخذا منهم يدعى الأوصام .

تميم : منهم بنو عبدالله بن دارم رهط المنذر بن ساوى ملك البحرين من قبل الفرس حيث سوق المشقر ، ويشاركهم بنو عبدالقيس أهل تلك البلاد .

ولبني تميم في العهد الجاهلي نفوذ في الأسواق ، فقد كان منهم حكام سوق عكاظ ـ أشهر تلك الأسواق ـ وكانت قبائل مضر كلها تفد إلى سوق دومة الجندل بخفارة بني تميم لكونهم حلفاء قبيلة كلب .

ثقيف : القبيلة العدنانية المعروفة الآن في منازلها القديمة ـ الطائف وما حوله ـ وكان سوق عكاظ يقع أسفل أوديتهم في بلاد بني نصر من هوازن قيس عيلان ، ولهذا كانوا هم وقيس عيلان أصحاب السوق .

جديلة : من طيء من القحطانيين كانوا جلوا عن الجبلين فانتشروا خارجها مجاورين لقبيلة كلب في الرمال المعروفة قديما برمل (عالج) وحديثاً بـ (النفود

الكبير) إلى حدود الشام ، ويفهم من كلام ابن حبيب والمرزوقي مشاركة جديلة لقبيلة كلب في سوق دومة الجندل . وممن ينتسب إلى جديلة في العصر الحاضر بنو لُأمٍ ، وأكثرهم متحضرون .

بنو حنيفة : من ربيعة من العرب العدنانية ، ويقع سوق حجر في بلادهم ، إذ مدينة حجر كانت قاعدة اليمامة ، وبنو حنيفة تحضروا قبل الإسلام ، ولم تبق لهم بادية .

غطفان : من قيس عيلان من مضر ، ولم أر لها ذكرا في الإشراف على شيء من أمور سوق نطاة خيبر ، الواقع في قلب بلادها ، وقد يكون لحلفائها من المستوطنين في هذه البلاد ــ من غير العرب وهم ذَوُوْ بصر في التجارة ــ شأنٌ في ترتيب شؤون السوق الداخلية ، وترك حمايته من الخارج للغطفانيين .

قيس عيلان : من أثرى القبائل العدنانية ، وأكثرها فروعاً ، ومن فروعها هوازن جيران ثقيف في المنازل ، وبنو نصر من هوازن هم جيرانهم الأدنون ، ولهذا كانوا أصحاب السوق .

كلب : يحسن إطالة النفس عن هذه القبيلة التي كانت تسكن بلاد الجوف عند ظهور الإسلام ، فقد كان شمال بلاد العرب في ذالك العهد تنتشر فيه قبيلة قضاعة من أقوى القبائل وأكثرها فروعا ، وأثراها عددا ، تمتد بلادُها من امتداد أودية المدينة غربا حتى ساحل البحر الأحمر ، فتشمل جميع بلاد ينبع ، حيث تحل أحد الفروع القضاعية ، قبيلة جهينة التي تمتد منازلها شمالا حتى بلاد فرع آخر (بَلِيٌّ) ونسب القبيلتين واحد ، ومنازل بلي تتصل ببلاد بني عذرة في وادي القرى وما حوله من الأودية ، ويجاور العذريين من الجهة الشمالية بنو القين الذين تتصل بلادهم من الجنوب ببلاد إخوتهم في النسب بني كلب ، أقوى الفروع القضاعية ، التي تشمل بلادهم أوسع رقعة في شمال الجزيرة ، تُحَدُّ جنوبا بالنفود (رمل عالج) وشمالاً تتوغل داخل ريف الشام وقراه ، وشرقاً تتجاوز حزون كلب (الحجرة) حتى تبلغ شواطيء الفرات ، وغرباً تختلط ببلاد إخوتها (بلقين) في أطراف الحجاز الشمالية حيث السفوح الشرقية لجبال حسمى .

هذه القبيلة كانت تتولى شؤون سوق دومة الجندل لوقوعه في بحبوبة بلادها ، إلاَّ أن للسلطة المنظمة من قبل دولتي الروم في الشام ودولة الفرس في العراق من القوة والنفوذ ما يحول دون تصرف الكلبيين في تدبير أمور ذالك السوق ، فإذا قوى سلطان الحيرة المستمد من دولة الفرس تولاها أحد العباديين من أهل الحيرة ، وان تغلب نفوذ الروم كان للكلبيين القويي الصلة بالغساسنة من ولاة الروم ــ الإشراف على السوق .

كنانة : القبيلة المضرية المعروفة كان سوقها مجنة الواقع في تهامة على مقربة من مكة حيث تنتشر فروع تلك القبيلة .

مَهْرَةُ : قبيلة حضرمية قحطانية لاتزال لها بقية فيما بين عُمان وحضرموت ، وكان سوق الشحر واقعاً في بلادها ، ولذالك كانت المدِّبرةَ لشؤونه .

هـذيل : القبيلة العدنانية الصريحة النسب ، التي لاتزال معروفة ، تحل في بلادها القديمة حول مكة ، ومنها عرفات حيث يقع وادي ذي المجاز بقربها ، وفي هذا الوادي يعقد سوق ذي المجاز وهم أصحابه ، والمشرفون على أحواله .

ومن القبائل من له تأثير في إقامة تلك الأسواق ، ولكنه غير مباشر ، وذالك بنوع من الحماية ، إما لقوة نفوذها ، وإما لامتهانها للتجارة امتهانا مكنها من إيجاد صلات قوية لمختلف القبائل تكفل لها الحماية ، فقريش كانت حياتها تقوم على التجارة ، ولها الرحلتان المعروفتان إلى الشام وإلى اليمن ، وقد عقدت صلات وأحلافا مع القبائل التي تمر ببلادها ، أثناء رحلاتها ، لهذا كان كل تاجر يخرج من اليمن والحجاز يتخفر بقريش ، ماداموا في بلاد مضر[٢٩] ، ومعروف أن هذه البلاد تشمل قلب الجزيرة ، وأغلب الطرق إلى الأسواق يخترفه .

أما الذين يفدون إلى الأسواق من شرق الجزيرة فانهم يتخفرون بأحد بني قيس بن ثعلبة فتجيز ذالك لهم ربيعة كلها[٣٠] .

وهناك الأحلاف التي كونت بين القبائل صلات لا تقل في قوتها عن صلة الأنساب ، ولها أثرها في الحماية والمناصرة ، مما هو معروف بين العرب في

عصورهم القديمة ، وكان له أثره في انتظام حركة الأسواق التجارية ، مما أشار إليه متقدمو العلماء الذين تحدثوا عن تلك الأسواق[٣١] .

٥ ـ رواد هذه الأسواق :

من تلك الأسواق مالا يقتصر الحضور فيه على من يليه ويقرب منه من قبائل العرب ، كسوق دومة الجندل ، التي لا يقتصر حضورها على القبائل القضاعية ، كلب وبلقين وعذرة وبلي وجهينة ومن يجاورها من القبائل كغطفان وطيء وأسد ، بل تحضره قبائل أخرى من العدنانيين وغيرهم من الحجاز واليمن ، بخفارة قريش ماداموا في بلاد مضر ، ومن العراق بخفارة بني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل من ربيعة ، وكانت قريش تخرج قاصدة إليها من مكة ، ولاشك أن تجار الشام وتجار العراق يحضرون هذا السوق لما للغساسنة وللملوك الحيرة من النفوذ والسيطرة عليه .

وسوق عكاظ هو أعظم سوق تجاري في بلاد المضريين ، ولهذا يقصده عامة الناس ، وترسل إليه القوافل تحمل مختلف البضائع من اليمن والشام والعراق .

ولقرب سوق المشقر في هجر من بلاد فارس ، ولكونه تحت نفوذ تلك الدولة ، فإنَّ التجار من تلك البلاد يشاركون في السوق ، مع وفود القبيلتين العظيمتين المنتشرتين في شرقي الجزيرة من بكر بن وائل ، ومنهم عبدالقيس سكان هجر ، ومن تميم ومنهم حاكم تلك المدينة ، ويصف المتقدمون هذا السوق بكونه أرضاً معجبة ، لا تقدمها لطيمة إلا تخلف بها منهم ناس ، فمن هناك صارت بهجر من كل حي من العرب وغيرهم[٣٢] .

ومن الأسواق التي يحتشد فيها تجار من خارج الجزيرة ـ بالإضافة إلى أهلها ـ سوق دَبا إحدى فرض العرب ، يجتمع بها تجار الهند والسند والصين وأهل المشرق والمغرب[٣٣] وتباع في هذا السوق بضائع العرب ، وما يرد من البحر .

ولقرب سوق ذي المجاز في بلاد هذيل من موقف عرفة فإن هذا السوق يشهده حجاج العرب ورؤوسهم ممن أراد الحج ممن لم يكن شهد الأسواق الأخرى .

وهناك أسواق يقل روادها إما لبعدها أو لكونها لا يوصل إليها إلا بخفارة كسوق الرابية وسوق الشحر في حضرموت ، وسوق صحار في عُمان ، وسوقي حجر (اليمامة) ونطاة خيبر اللذان يقومان في وقت واحد من يوم عاشوراء حتى نهاية المحرم .

٦ ـ ماذا كان يجرى في تلك الأسواق ؟ :

تبادل المنافع والسلع بين الناس من متطلبات حياتهم ، ومن هنا نشأت المجتمعات التي يتم بواسطتها الالتقاء والتعارف ، ومنها الأسواق ، وقد تنشأ تلك المجتمعات في أول الأمر لأغراض أخرى ، غير البيع والشراء ، ثم تصبح فيما بعد أسواقاً يرتادها طلاب الحاجات .

ولا استبعد ان بعض أسواق الجاهلية ـ إن لم يكن كلها ـ كانت الدوافع الأولى للاجتماعات فيها ممارسة بعض أعمال دينية لوجود معبودات مشهورة في أمكنة تلك الأسواق ، فدومة الجندل التي أصبح سوقها من أشهر الأسواق القديمة كانت مقراً لـ (وَدٍّ) من أشهر أصنام الجاهلية ، وفي عكاظ كان يوجد الصنم (جهار) وفي المشقر معبود عبد القيس (اللبا) .

ولعل مايجرى من طرق البيع التي تحدث في تلك الأسواق كان يمت بجذور عميقة لشعائر دينية كانت تمارس عند تلك المعبودات ، مما كان يوحي به سدنتها مبالغة في إحاطة أمورها بالكتمان ، ومثال ذالك ما يمارسه المشركون في عبادتهم عند الكعبة ، فقد كانوا يصفرون بأفواههم ويصفقون بأيديهم كما قال الله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[٣٤] .

ومن أشنع ماكان يجري في تلك الأسواق مما يعتبر وصمة في حياة العرب الجاهلية ، إباحة المتعة الجنسية ، إذ في أشرف البقاع كان هذا الأمر معروفاً ،

وفيه أنزل الله عز وجل : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ، إن أردن تحصنا ﴾[٣٥] ، ولولا أن التاريخ لا يرحم أحداً لما حسن ذكر هذا .

ومعروف ان دومة الجندل كان سوقها منفذاً إلى خارج الجزيرة لاتصاله بالشام والعراق ، ولهذا لم يكن ارتيادها مقصوراً على العرب وحدهم ، بل يفد إليها من ذينك القطرين وغيرهما من مختلف الأجناس من لا يتورع عن مقارفة بعض الأخلاق المذمومة ، وهذا يوضح ما ورد في وصف السوق : وكان لقبيلة كلب فيها قِنٌّ كثير ، في بيوت من الشعر ، فكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء[٣٦] ، وكانوا أكثر العرب قِنًا[٣٦] .

٧ ـ طرق البيع والشراء :

سبقت الإشارة إلى غرابة طرق البيع المستعملة في هذه الأسواق ، وأنه قد يكون لبعض تصرفات سدنة الأصنام أثر في ذالك من قبيل التهويل ومبالغة الكتمان كما هي عادة ذوي الشعوذة ـ ومن تلك الطرق :

١ ـ إلقاء الحجارة في أسواق دومة الجندل والشحر وصحار .

٢ ـ الملامسة في سوق المشقر .

٣ ـ الهمهمة في سوق المشقر .

٤ ـ الإيماء في سوق المشقر .

٥ ـ الجَسُّ بالأيدي في سوق صنعاء .

٦ ـ السِّرَارُ في سوق عكاظ .

فإلقاء الحجارة ، ويسمى بيع الحصاة من صوره أن يقول أحد المتبايعين للآخر : ارم هذه الحصاة ، فعلى أيِّ شيء وقعت فهو لك بكذا درهم . أو أن يبيع أحدهم الآخر من أرضه قدر ما انتهت اليه الحصاة ، أو أن يقبض على كف من حصى ويقول : لي بعدد ماخرج في القبضة من الحصا هذا الشيء المبيع ، أو أن يتبايعا ويقول أحدهما : إذا نبذت اليك الحصاة فقد وجب البيع .

أما الملامسة فمن صورها أن يأتي بثوب مطويٍّ أو في ظُلمة فيلمسه المستام فيقول له صاحب الثوب : بعتكه بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك .

والهمهمة لعل المقصود منها عدم الافصاح بالبيع والاكتفاء باخراج كلام غير مفهوم ، ولعل ذالك راجع إلى أن كثيراً ممن يرتاد السوق من الأعاجم .

والإيماء : يوميٌ بعضهم إلى بعض فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا(٣٧) .

والواقع أن أكثر هذه الصيغ مما لا يعقل أن يجري في مجتمعات تعتبر أرقى ما بلغته المجتمعات العربية في العهود القديمة من الناحية العقلية ، ولعلها كانت تجري في بعض أحوال نادرة يراد منها استغلال بسطاء الناس ، والاستحواذ بطريق المكر والحيلة على أموالهم من قبل دجاجلة متأثرين بمعتقدات قديمة ، ولهذا جاء الإسلام بابطال تلك الطرق كما في « صحيح البخاري » وغيره عن أبي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ نهى عن بيع المنابذة ونهى عن بيع الملامسة وفي بعض ألفاظ الحديث وهي بيوع كانوا يتبايعون بها في الجاهلية .

حمـــد الجاســـر

[الحواشي] :

(١) « معجم البلدان » ــ رسم (الجوف) ــ .
(٢) ص ٢٦٣ و ٢٦٨ .
(٣) ١٦١/٢ .
(٤) « الأزمنة والأمكنة » ١٦١/٢ .
(٥) نفس المصدر .
(٦) « معجم ما استعجم » ــ المشقر ــ .
(٧) انظر رسم (المشقر) في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » (قسم المنطقة الشرقية) ، ووهم الأستاذ عارف محمد حمور صاحب كتاب « اسواق العرب » حيث قال ص ٤٨ : المشقر في حصن بين نجران والبحرين .
(٨) « الأزمنة والأمكنة » ١٦٣/٢ .
(٩) مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٣٠٤ .
(١٠) ٤١١/١ .
(١١) ٤٦٤ تحقيق الابياري .
(١٢) « المحبر » ٢٢٦ و « الأزمنة والأمكنة » ١٦٢/٢ .

حول كتاب :

التوراة جاءت من جزيرة العرب

[لايزال لأفكار الدكتور كمال الصليبي ــ أستاذ في قسم التاريخ والآثار في الجامعة الأمريكية في بيروت ــ في كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب» أصداء شُغِلَتْ بها بعض الصحف والمجلات المتخصصة بالمباحث التاريخية .

وقد سبق لمجلة «العرب» أن أبدت رأيها حيال هذا الكتاب [«العرب» س٢١ ص ١٨٧/ ٣٨٩/ ٥٢٠/ ٦٠٨] - وترى من حق القراء اطلاعهم على آراء أخرى في الموضوع، لعلماء ذوي اختصاص في اللغة وفي المباحث الجغرافية التاريخية، ومن ذالك بحث نشرته مجلة «دير شبيغل» الألمانية ــ ٤٠ في ١٩٨٥/٩/٢٠ ــ بعنوان: (هل

---

(١٣) ١٩١/١ و« مجلة العرب » س ٢٠ ص ٢٨٩/٢٩٣ .

(١٤) ١٤٤ .

(١٥) تفسير ابن جرير ١٣١/١٠ ط الحلبي .

(١٦) (سورة التوبة) الآية الـ (٣٧) .

(١٧) السوق يذكر ويؤنث فيقال (السوق الأول) و (السوق الأولى) .

(١٨) « معجم البلدان » رسم (عكاظ) وفيه : كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة ، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه أيام الحج .

(١٩) « الأزمنة والأمكنة » ١٦٤/٢ .

(٢٠) « المحبر » ٢٦٥ .

(٢١) نفس المصدر .

(٢٢) ٢٦٥ .

(٢٣) ٢٦٤ .

(٢٤) ١١٤ .

(٢٥) ٤٠٣ .

(٢٦) « النهاية في غريب الحديث » ــ ضفط ــ .

(٢٧) « معجم قبائل المملكة العربية السعودية » ومجلة « العرب » س ٢٠ ص ٢٩١ .

(٢٨) « أخبار مكة » للأزرقي ١٩١/١ .

(٢٩) « المحبر » ٢٦٤ .

(٣٠) نفس المصدر .

(٣١) « المحبر » ٢٦٤ و « الأزمنة والأمكنة » ١٦١/٢ .

(٣٢) « الأزمنة والأمكنة » ١٦٣/٢ .

(٣٣) نفس المصدر .

(٣٤) (سورة الأنفال » الآية الـ (٣٥) .

(٣٥) (سورة النور) الآية الـ (٣٣) .

(٣٦) « المحبر » ٢٦٤ و « الأزمنة والأمكنة » ١٦٢/٢ .

(٣٧) « الأزمنة والأمكنة » ١٦٣/٢ وأضاف : وإنما فعلوا ذالك كيلا يحلف أحدهما على كذب أن يَزْعُمَ انه بذل له صاحب السلعة . كذا .

التوراة على حق؟ المؤرخ اللبناني كمال الصليبي يبدل أماكن المدن المقدسة) ترجم المقال إلى العربية الأستاذ قاسم طوير ــ في المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق ــ ونشرته مجلة «دراسات تاريخية» ــ ايلول/ كانون الأول ١٩٨٧ ص١٤٥ إلى ١٥٤ ــ وفي هذا المقال المترجم آراء لعدد من المهتمين بالدراسات التاريخية واللغوية من الغربيين حول آراء الدكتور الصليبي .

وهاهو ملخص ذالك المقال إذ فيه أشياء بحاجة إلى مناقشة قد لاتتسع لها صفحات هذه المجلة . كما نشرت مجلة «دراسات تاريخية» في جزء كانــون أيضاً مقالاً بعنوان (هَلْ جاءتِ التوراة من جزيرة العرب؟) للدكتور محمود أبو طالب في الجامعة الأردنية ــ زَيَّفَ فيها آراء الدكتور الصليبي، بطرق علمية، قد يتسنّى للعرب نشره في أحد أجزائها] .

يؤكد أستاذ الآثار الإسرائيلي في تل أبيب **موشيه كوخاوي**، وهو واثق من نفسه، بأن (الوصف الجغرافي الوارد في التوراة لا ينطبق إلا على فلسطين، لذلك لا يمكن أن تكون أرض التوراة إلا في فلسطين) .

غير أن وجهات النظر المخالفة للرأي السابق تعتبر جدية أيضاً في أوساط العلماء ، فعالم الآثار التوراتية في جامعة ماينز بألمانية الغربية يقول: (إن بعض البقاع في بلدان الشرقين الأوسط والأدنى تشبه في مظهرها الجغرافي أجواء فلسطين بحيث لا يكون ضرورياً أن نوجه أنظارنا إلى عسير دون غيرها). نعم ليس من الضروري، بل لعل وعسى، فلماذا لا نحاول توجيه الأنظار إلى عسير، لا سيما وقد تعذر حتى الآن إيجاد الدليل المادي في فلسطين على الأحداث التوراتية التي جرت من أيام إبراهيم حتى السبي البابلي، في حين يعتقد المؤرخ اللبناني كمال الصليبي أنه اكتشف وجود عدد كبير من المدن والبلدان والمواقع في عسير تتفق أسماؤها مع الأسماء التوراتية . وإذا نقلنا الشبكة البلدانية التوراتية من فلسطين إلى عسير نجد أن التوافق لا يقتصر على أسماء البلدان والمواقع بل ويشمل الطبيعة وخصائص الأرض والمعادن والمياه والنبات والحيوان كما ورد وصفها في التوراة .

تقع عسير في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية بين الطائف شمالاً واليمن جنوباً ، وقد أصبحت الآن البلد (الذي يسيل فيه اللبن والعسل) بدلاً من فلسطين . وقد وصف الجغرافي اليوناني سترابون الذي عاش بين ٦٣ ق.م و٢٦ ميلادية، بلاد عسير بأن في داخلها يجري استخراج الحديد والرصاص والذهب. . والذهب موجود فيها على هيئة فلزات أصغرها بحجم الجوزة وليس

على هيئة غبار .

يذكر سفر موسى أن الذهب يستخرج من مكان قريب من نهر بيسون تماماً كما في منطقة وادي بيشة بعسير حيث يرى كمال صليبي تشابهاً بين كلمة بيسون التوراتية وكلمة بيشة في بلاد عسير .

ويذكر سفر موسى أيضاً أن الله أمطر النار والكبريت فوق مدينتي سودوم وعمورة لقاء خطاياهما .

وهذا يعني وجود براكين بالقرب منهما . وثمة اجماع بين العلماء أن المدينتين المذكورتين تقعان في مكان ما قرب البحر الميت ، لكن الواقع هو أنه لا وجود للبراكين في منطقة البحر الميت ، بل هي موجودة ، حسب تحقيق كمال صليبي ، في وادي دميس بمنطقة جيزان .

تهطل الأمطار في عسير أكثر من أي مكان آخر في شبه الجزيرة العربية، ويتراوح معدلها بين ٣٠٠ و٦٠٠مم في العام، وهناك خصائص أخرى كثيرة تتفق مع طبيعة عسير، فالثلوج الكثيرة التي تحدث عنها النبي أشعياً والنبي أرميا تهطل بغزارة في جبال السراة في بلاد عسير . وتنبت في هضاب عسير أنواع الحبوب وتكثر أشجار الرمان والزيتون والتين واللوز والكرمة ، وفي السهول المحاذية لساحل البحر الأحمر يكثر العديد من أنواع الخضار ، وقد وجد الجغرافي اليوناني سترابون أن عسل عسير من أفضل الأنواع ، وتنتشر حول المناطق المزروعة المراعي التي ترعى عليها قطعان الغنم والماعز وتسرح فيها الحمير والدواب والجمال .

إنَّ الضَّبَّ من الحيوانات التي حرمت التوراة أكلها ، ويعتقد كمال صليبي أن الكلمة المستخدمة في سفر موسى لهذا الحيوان المحرم أكله تنطبق على ضب الصحراء العربية ولا تنطبق على الضب الذي يعيش في جنوبي فلسطين .

يذكر الجغرافي اليوناني سترابون في سياق حديثه عن حملة القائد الروماني أليوس جالوس إلى جنوبي الجزيرة العربية، أن الدجاج ليس معروفاً لدى أهالي عسير .

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن قائمة الحيوانات التي يمكن أو لا يجوز في تعاليم موسى تقديمها كَأَضَاحٍ لا تتضمن الدجاج ، علماً أن الدجاج معروف في فلسطين منذ أقدم العصور .

يعتقد كمال الصليبي أنه اكتشف في القرآن الكريم أيضاً وجود أدلة وقرائن على صحة نظريته بأن عسير وليس فلسطين البعيدة عنها قرابة ألفي كيلٍ إلى الشمال هي أرض التوراة .

ويرى أن القرآن الكريم في سياق الحديث عن الأوائل والأنبياء يسرد أسماء مواقع وبلدان حجازية في أشكال مثيرة للاهتمام : فإذا كانت التوراة تكتفي بذكر اسم جبل فإن القرآن الكريم يذكر الجبل واسم الوادي التابع له أو اسم المدينة أو البلدة المجاورة له . فمثلاً نادى الملاكُ على موسى من بين الأدغال في جبل حوريب . لكن حتى الآن لم يستطع أحد تحديد مكان هذا الجبل ، وجرت العادة على الظن بأنه في مكان ما بجنوب سيناء .

أما القرآن الكريم (السور ٢٠ و١٢ و٧٩) فيحدد المكان في وادي طوى المبارك ، وطوى اليوم هو اسم إحدى القرى في عسير .

يرى الصليبي أن جبل حوريب التوراتي موجود في جبل هادي الذي هو جزء من سلسلة جبلية ساحلية منعزلة في عسير . ففي وادي البقرة المحاذي لذلك الجبل بالذات يوجد اليوم موقع اسمه حريب . يضاف إلى ذالك أن التوراة (سفر موسى) تتحدث عن أسماء سبعة مواقع تبعد مسيرة أحد عشر يوماً عن جبل حوريب وهي : عربة، صوف، فران، طوفل، حازروت، ديساهب، لابان . وقد حقق كمال الصليبي أن تلك المواقع تبعد ٢٥٠ كيلاً عن جبل هادي بعسير، وبالفعل تحتاج تلك المسافة إلى مسيرة أحد عشر يوماً .

استناداً إلى السورة/ ٢٨ / والسورة/ ٢٤ من القرآن الكريم توقف موسى بعد خروجه من مصر في موقع اسمه الظل وقد عثر كمال صليبي على هذا الموقع في منطقة المدينة المنورة بالقرب من ينبع النخل .

سبق للمستعرب والمؤرخ الهولندي راينهارت دوزي أن جمع أدلة كثيرة على الماضي اليهودي للحجاز وعسير في كتابه الذي صدر قبل ١٢٠ عاماً بعنوان «الإسرائيليون في مكة من أيام داود حتى القرن الخامس بعد الميلاد» . ونستخلص من كتابه هذا أن اليهود سكنوا الحجاز وعسير على الأقل منذ أيام داود . كما عثر على معلومات مفادها أن دولة عربية قامت بين مكة واليمن بين ١١٥ ق.م والقرن السادس الميلادي، وكانت تدين باليهودية، وهي دولة حمير التي مقرها اليمن . والمعروف أن آخر ملكين من ملوك حمير كانا يدينان باليهودية .

وخلافاً لرأي كمال الصليبي يعتقد المؤرخ الهولندي دوزي أن الوجود اليهودي القديم في غربي الجزيرة العربية جاء نتيجة لهجرة يهودية إلى الحجاز وعسير .

ثمة أدلة مادية على أنه لا يوجد لدى اليهود بأن فلسطين هي الوطن الأول لليهود . فالنصوص المكتشفة في جزيرة الفيلة في نهر النيل بمصر العليا تدل بأن يهود مصر العليا لم يسمعوا قط بمعبد سليمان العظيم كما أنهم عبدوا آلهة أخرى إلى جانب يهوا .

ان الفلاشة الذين هاجروا من جنوبي الجزيرة إلى الحبشة في الألف الأول قبل الميلاد على مايظهر ، ويعتبرون أنفسهم يهوداً لم يعترف الحاخام الأكبر في القدس بيهوديتهم إلا مؤخراً وذالك عندا هربوا من مجاعة افريقيا إلى فلسطين .

جمع عالم اللسانيات الانكليزي (ف.ل. بيستون) من النصف الغربي من الجزيرة العربية من شمالها إلى جنوبها، أعداداً هائلة ومشتتة من النقوش الكتابية التي تتوزع في مجموعتين رئيسيتين، الأولى تستخدم (الـ) التعريف العربية والثانية تستخدم (ها) التعريف العبرية، وأستنتج بتحفظ وحذر: ان هـذه الظاهرة تكفي للاعتقاد بوجود مجتمعين لغويين كانا متصلين بعضهما مع بعض جغرافياً ثم تمازجاً . وفي كل الأحوال لابد أن نوعاً من الفسيفساء اللغوية ساد جنوبي الجزيرة العربية . وقد لاحظ العلماء منذ عشرات السنين وجود كمية من المفردات العبرية في جميع اللغات الحبشية . ترى هل مصدر تلك المفردات هو فلسطين التي تبعد

عن الحبشة قرابة ألفي كيلو متر أو بالأحرى جنوب غربي الجزيرة العربية المجاورة للحبشة؟

ومن الآثار اليهودية الأخرى في الحبشة التي تقع عسير قبالتها، نرى نجاشي الحبشة وقياصرتها حتى هيلاسيلاسي ينعتون أنفسهم بلقب (أسد يهوذا) وينسبون أنفسهم إلى سليمان، وأن شعار الخطوط الجوية الأثيوبية اليوم هو الأسد التوراتي . وقد فسر عالم الساميات الألماني (**فولف ليسلاو**) هذه الظاهرة في بحث نشره عام ١٩٦٢ في مجلة الاستشراق الألمانية، فبين أن جماعات من سكان جنوب غربي الجزيرة العربية هاجروا إلى الحبشة في الألف الأول قبل الميلاد، وهذه هي الفترة التي تقوم عليها نظرية كمال الصليبي .

يفسر كمال الصليبي غياب الماضي التوراتي غياباً كاملاً من ذاكرة يهود مابعد السبي وأهل عسير بأسباب لغوية، ففي نحو ٥٠ ق.م كانت العبرية لغة شبه ميتة إذ حلت مكانها الأرامية حتى مطلع الميلاد، ثم جاءت العربية لتسود كلياً . وعندما توقفت العبرية عن أن تكون لغة حية واجه اليهود مشكلة في قراءة النص التوراتي ، ويتصور كمال الصليبي الأمر كالتالي: كانت نصوص التوراة المتوارثة مليئة بأسماء مواقع وبلدان لم تكن مألوفة لدى يهود إسرائيل ، لأن تلك الأسماء كانت تخص مواقع وبلدان في غربي الجزيرة العربية، وبعد ٥٠٠ ق.م تقلص عدد اليهود في غربي الجزيرة العربية تقلصاً شديداً بحيث لم يبق منهم إلا أقلية ضئيلة ، ويبدو أنه لم يعد بين صفوف هؤلاء علماء يتمكنون من مساعدة إخوانهم في الدين في فلسطين وبابل في فك طلاسم المواقع والبلدان وتصحيح لفظها لهم . يعتقد كمال الصليبي أن عوامل سياسية أيضاً فعلت فعلها في محو ذكريات اليهود بعسير، ففي جنوب غربي الجزيرة العربية صعدت جماعات جديد مثل المعينيين، وفي ظل هؤلاء فقد اليهود تماسكهم، وقد يمكن أن يكون وصولهم إلى البلد الجديد فلسطين ومن ثم صعودهم فيما بعد قد محا ذكرياتهم القديمة عن عسير .

إذا أراد الصليبي أن تتعزز أسس نظريته فلابد لعلماء التوراة أن يَسْتَعِدُّوا للإجابة على سلسلة من الأسئلة . وعلى الرغم من أن المسائل الدينية في التوراة لن

تتبدل لأن المؤمن الديني سِيَّانِ لديه إذا كانت الوصايا العشر قد نزلت على موسى في هذا المكان أو ذاك ، ففي نهاية المطاف ستبقى التوراة توراةً، وسِيَّان مكان نزولها، هكذا يقول كمال الصليبي . غير أنه من المؤكد أيضاً أن هناك الكثير من الناس ممن يرون في نظريته عدواناً على هويتهم الدينية والإجتماعية أو السياسية .

لكن حتى العرب المتصلين قد يجدون في نظرية كمال الصليبي نوعاً من الإساءة إليهم، فالسورة (٢١) والسورة (٧١) في القرآن الكريم تعتبر أن فلسطين الأرض التي جعلناها مباركة للناس أجمعين . ومنذ فتح المسلمين لفلسطين في القرن السابع الميلادي صاروا يطالبون بفلسطين الجغرافية، وصارت القدس ثالث الحرمين بين مكة والمدينة وذلك بسبب احداثها التوراتية بالذات، والتي جاء كمال الصليبي الآن لينقل مسرحها من القدس إلى العربية السعودية .

غير أن المسيحيين هم أقل الأطراف انزعاجاً من نظرية كمال الصليبي . فالنظرية لا تمس المسيح والعهد الجديد ، لاسيما وأن المفسرين في السنوات الخمسين الأخيرة قد أشبعوهما دراسة . أما التوراة ككتاب فقد عززت مكانته نظرية كمال صليبي، ولابد أن العديد من أسماء المواقع والبلدان التي كانت مسرحاً للأحداث التوراتية والتي لم يتمكن العلم من تحديد مكانها الجغرافي حتى الآن ، أصبحت أماكنها معروفة بدقة أكثر بفضل هذه النظرية .

لكن ماذا في نظرية الصليبي من خروج عن المألوف، هل الإكتشافات اللغوية (أسماء البلدان والمواقع التوراتية في خارطة عسير) واستنتاجات المراقب الحيادي مجرد مصادفات ولعب بالكلمات وخواطر جريئة . ان مثل هذه الأمور لا تتبدى إلا بعد المناقشة الجدية للنظرية . وحتى إذا تبين بأن نظرية الصليبي لا تستند إلى أسس صحيحة كلياً أو جزئياً، فإنه سيبقى له الفضل في وضع إشارة استفهام جديدة أمام عدد من التفسيرات الدارجة للأحداث التوراتية .

كان حكم علماء الآثار التوراتية ممن قرأ الكتاب رافضاً للنظرية، وذلك مثل البروفيسور (أوسفالد لوريتس) الأستاذ في العهد القديم والعلوم (الأوغاريتية) في قسم اللاهوت الكاثوليكي بجامعة (مونستر) بألمانيا الإتحادية منذ ١٩٦٧ . فهو

من المختصين في الدراسات (الأوغاريتية)، و(أوغاريت) موقع أثري في شمالي سورية وقد تم العثور فيه منذ ١٩٢٩ على نصوص مسمارية سومرية وأكادية وحورّية وأوغاريتية . وحكم البروفيسور (لوريتس) على نظرية الصليبي هو التالي :

إن عملية نقل أحداث التوراة إلى مسرح عَسِير تُهْمِلُ الأدلةَ غير التوراتية التي يؤكد جزء منها على أن فلسطين الحالية هي نفسها فلسطين يشوع وسليمان، وبالتالي لابد أن تكون أرض كنعان في منطقة فلسطين الحالية وذالك وفقاً للوثائق الأوغاريتية والفنيقية والآشورية والبابلية والمصرية، وإلا لن يكون لتلك الوثائق أي مغزى . كما أن منهج كمال صليبي في البحث عن الاسم البلداني العربي المناسب للاسم البلداني التوراتي يستند كلياً إلى لَعِب قسرى باللغتين العربية والعبرية، ولا يظهر إلا عملية لعب بالكلمات. وعلى أساس مثل هذا المنهج يمكن لأي إنسان أن يبرهن على وجود فلسطين في أي بقعة يختارها من بقاع العالم العربي، كذالك يكرر الصليبي على الطريقة العربية الفرضية القديمة المتعلقة بهجرة إسرائيل إلى كنعان ، فهو ينقل الهجرة إلى الجزيرة العربية ويفعل ذالك وفق الطريقة المتميزة في التفكير العربي، إذا يهمل نتائج التحريات العلمية الحديثة اهمالاً تاماً . تلك التحريات التي أقرت بنشوء إسرائيل في أرض كنعان .

وممن يقفون موقف الرافض من نظرية صليبي في الجانب البروتستانتي نذكر البروفيسور (فولكمار فريتس) أستاذ العهد القديم والآثار التوراتية والمنقب في عدد من التنقيبات الأثرية في فلسطين ، وهو يقوم منذ ١٩٨٢ بالتنقيب الأثري في تل العريمي (كينيريت التوراتية) قرب بحيرة طبرية. وعلى الرغم من أن البروفيسور (فريتس) يعترف بأن نتائج التحريات الأثرية في فلسطين ضحلة فيما يتصل بالفترة الواقعة بين ١٥٠٠ ـ ٥٠٠ ق.م، لكن إذا جمعنا المأثورات والوثائق غير التوراتية مع ماتم اكتشافه حتى الآن نجد أن الحصيلة تؤيد فلسطين أكثر مما تؤيد لعبة الصليبي بالألفاظ بالقياس إلى عسير . فقد تحقق مثلاً وجود قرابة ثلث الأسماء البلدانية الوارد ذكرها ، وسدس آخر نجد الدليل على صحة موقعه في فلسطين في

مصادر غير توراتية ، مثل النصوص المصرية من الألف الثاني قبل الميلاد . ويخلص البروفيسور (فريتس) إلى النتيجة التالية :

إذا أراد أيُّ زميلٍ لنا أن يتصدى للتاريخ بأجمعه وأن يقلب الآراء المتعارف عليها رأساً على عقب فلابد له أن يتقدم بحجج ممتازة، وعليه أن يبرهن بأنه على حق . وما من شك أن المادة التي يطرحها الصليبي طريفة للغاية إلا أنها لا تحمل النظرية التي تقوم عليها . فهو يهمل الأدلة التاريخية والجغرافية والأثرية .

لذلك لا غرابة إذا كان الاختصاصيون الإسرائيليون قد نظروا إلى نظرية الصليبي نظرة شك منذ البداية وقبل أن يقرأوا كتابه . فالبروفيسور (**إبراهام مالامات**) أستاذ التاريخ التوراتي في الجامعة العبرية بالقدس يعتبرها (فكرة متمادية) وخرقاء . أما (**موشيه كوحاوي**) و(**دافيد أوسيشكين**)، وهما عالما آثار مرموقان في جامعة تل أبيب ، فيعتبرانها (طائشة) و(مضحكة) و(سياسية الغرض من ألفها إلى يائها) .

يقوم (كوحاوي) بالتنقيب الأثري في موقع آفق/ انتياتريس منذ ١٩٧٢، وأوسيشكين في موقع لاخيش منذ ١٩٧٣ . وهما لايعترضان على احتمال الوجود اليهودي في عسير قديماً لكن ذالك الوجود ــ برأيهما ــ جاء نتيجة لهجرة يهودية من فلسطين إلى هناك ، وذلك في أعقاب الفتح الآشوري والبابلي لفلسطين بين القرن التاسع والقرن السادس قبل الميلاد .

إن الوحيد الذي أبدى موقفاً إيجابياً من نظرية الصليبي عندما سئل ، هو عالم الآثار التوراتية البريطاني (جون جيبسون) فهو يعترف بأن أجزاء من كتاب صليبي قد (سلبت البابه). غير أن علماء اللسانيات تناولوا النظرية بالنقد أيضاً فالبروفيسور (فيرنر ديم) أستاذ فقه اللغة العربية في جامعة كولونيا بألمانيا الإتحادية يرى بأن صليبي يفتقر كلياً إلى المنهجية في معالجته للأمور، وطريقته في التوفيق اللفظي بين الأسماء العربية والأسماء العبرية ضرب من ضروب الهوى والغيِّ ، كما أن الريبة تكتنف كل حلقة في سلسلة البراهين التي يسوقها .

أما البروفيسور (**يوشع بلاو**) أستاذ الساميات في الجامعة العبرية بالقدس،

ومن ألمع الإختصاصيين في هذا المجال ، فإنه لا يريد أن يدلي بحكمه على النظرية إلا بعد أن تكون الأسماء قد صنفت تصنيفاً دقيقاً وفق توافق مقارناتها وتم تقييمها تقييماً احصائياً، عندئذ سنرى ماإذا كانت ستصمد من الناحية اللسانية .

غير أن أستاذ الفقه العربي والتاريخ الإسلامي في جامعة هامبورغ البروفيسور (البريشت نوت) يقف موقفاً أقل تحفظاً من غيره من نظرية الصليبي، إذ يقول: فعلاً ثمة أسماء بلدانية كثيرة العدد في عَسير تكشف عن وجود قرابة ظاهرة مع أسماء بلدانية في أماكن مختلفة من صفحات العهد القديم ، كما أن عملية الصليبي المعقدة للتوفيق بين المجموعتين العسيرية والتوراتية مقبول عادة من الناحية اللسانية ومن ناحية تاريخ اللغات، لاسيما وأنه قد تبين عدم صحة الحجة المضادة بأنه من الممكن اكتشاف تشابه بين الأسماء البلدانية التوراتية من جهة وبين أسماء بلدانية في أي بلد عربي من جهة ثانية . لذلك فإنه من المحتمل جداً الإفتراض بوجود علاقة (مهما كان نوعها) بين الأسماء البلدانية التوراتية والعسيرية . وسيكون من واجب الباحثين في المستقبل تفسير أسباب ذالك التشابه في الأسماء . ويرشدنا البروفيسور (نوت) إلى الطريقة التالية: من الممكن التفكير مثلاً بوجود بقايا صُوَرٍ عسيرية تسللت إلى التراث التوراتي عن طريق فئة أو طبقة معينة من الإسرائيليين المتأخرين الذين كانوا يشكلون خليطاً غير متجانس ، ومع هذا قد تظهر معادلات تأويلية أخرى لا تخطر على بال أو على خاطر .

أكد البروفسور (أوتو ياسترو) ، أستاذ الساميات وفقه اللغة العربية في جامعة أرلانغن بألمانيا الإتحادية على أن اكتشافات الصليبي للأسماء البلدانية تستحق الدراسة والبحث، فهو أيضاً يرى أن التشابه اللفظي الموجود بين الأسماء البلدانية العسيرية والتوراتية العبرية واضح بشكل كاف ومنتظم بحيث يبدو التوافق بينهما محتملاً جداً .

غير أن الأسماء البلدانية العسيرية ليست عبرية بل تحتفظ ــ مع تعديل طفيف ــ بشكل لفظي سامي، أقدم عهداً من العبرية، وهي من الناحية اللغوية أقدم عهداً من الأسماء التوراتية ، لذلك فإنه يجوز لنا الإعتقاد بأن العبرانيين قد جلبوا

تلك الأسماء البلدانية كجزء من تراثهم اللغوي من عسير إلى فلسطين ، ثم شهدت تلك الأسماء التطور الذي شهدته العبرية .

غير أن المستبعد في الأمر أن تكون الأسماء البلدانية الحالية في عسير لفظاً عربياً للأسماء التوراتية ، أي أن تكون تلك الأسماء قد وصلت إلى عسير من فلسطين ، لأن الصيغة اللغوية الأَحْدَثَ عهداً لا يمكن أن تتحول إلى صيغة أقدم عهداً . وإذا قُيِّضَ لأسماء بلدانية النبات في غير مكانها الأصلي فإنه لا يمكن أن يحدث ذالك إلا بانتقالها من عسير إلى فلسطين، ولعل ذالك تم بوساطة يهود عسير الذين أسسوا مواطن لهم في فلسطين ، وأطلقوا أسماء مواطنهم السابقة على مواطنهم الجديدة من باب الإحتفاظ بذكريات الوطن الأصلي . وإن مثل هذا الإفتراض يتفق مع نظرية الصليبي والقائلة بأن يهوداً من عسير هاجروا في حوالي /١٠٠٠/ ق.م باتجاه الشمال واستقروا في فلسطين .

وثمة مشكلة لغوية أخرى في نظرية الصليبي لم تجد لها حـلاً حتى الآن . فإذا كانت الأحداث التوراتية بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠ ق.م قد جرت في عسير السعودية فلابُدَّ أن تكون اللغة العبرية دارجة هناك ، إلى جانب مايسمى باللغات الحجازية . وفي حين يعتقد الصليبي بذالك نجد البروفيسور (باسترو) يفترض بأن الأشكال البدائية للعبرية التوراتية كانت دارجة في عسير في كل الأحوال ، وبعد ذالك بعدة قرون جرى تدوين الأحداث التوراتية باللغة العبرية التوراتية المتأخرة ، غير أن مايبدو أكيداً في تحليل البروفيسور (باسترو) أن الصورة العلمية اللغوية لذلك الزمان وان كانت معالم حدودها غير واضحة جداً ، لا تتعارض مع نظرية الصليبي .

لعل علماء اللغات من أشدِّ الذين يشقون الطريق لنظرية الصليبي فهم ــ خلافاً لعلماء اللاهوت ــ يتحررون في غالبيتهم من مشاق التغلب على الأحكام المسبقة من الناحيتين الدينية والقومية .

وثمة عقبة أخرى تعترض طريق الأكثرية من علماء التوراة وهي عدم درايتهم دراية كافية باللغات القديمة فالغالبية منهم تعرف اللغة العبرية، ويدعون أنهم

بين (أبهـا) و(عيفـة)

أبها هي المدينة المعروفة التي هي قاعدة بلاد عسير، و(عيفة) اسم ورد في أحد أسفار «التوراة» وحاول أحد الغربيين أن يوجد صلة بينه وبين اسم المدينة المذكورة للتقارب بين الاسمين نطقاً ورسماً (ABHA) و (AEFA) .

وللأستاذ الكريم محمد بن عبدالله بن حميد رئيس النادي الأدبي في أبها الفضلُ في لفت نظري إلى ذالك ، إذْ أكرمني بتوجيه سؤال إلى من توسم فيهم المعرفة وخص اسمي بين هاؤلاء في كلمة نشرتها «المجلة العربية» ــ الجزء الـ ١٢٦ رجب ١٤٠٨ ص ١١٥ ــ جاء فيها ذكر سليمان في القدس وملكة سبأ وما قدمته من هدايا . ثم سياق جملة وردت في «سفر اشعيا» أحد أسفار «العهد القديم» . نقل كل ذالك ويندل فيلبس في كتابه عن مدينة سبأ «كنوز مدينة بلقيس». ومما نقله هذا الكاتب الغربي ونسبه إلى «سفر اشعيا»: أن الهجن من مدين وإيفا (أبها) ستأتي جميعها من سبإ وستجلب الذهب والبخور . إلى آخر ماذكر ص ١٢٢ إلى ١٢٣ من كتابه المذكور .

متمكنون منها، كما يقول الأستاذ (لوريتس) .

يتوقع كمال صليبي بأن يعاني زملاؤه من حدود إمكاناتهم مثلما يعاني من حدود امكاناته، ففي البدء سيحاول هؤلاء ــ والكلام للصليبي ــ تجاهل نظريتي بكل بساطة، وإذا لم يتحقق لهم ذلك فسيحاولون للسخرية منها، وإذا لم يتحقق لهم ذالك أيضاً فإنهم سيناقشوها ، وهذا ما أرمي إليه .

لا نعرف بعد نتائج مثل تلك المناقشة، طالما أنَّ علماء اللغات وعلماء الآثار لم يقوموا بتحريات واسعة في عسير . وحتى عالم الآثار التوراتي (فريتس) الذي يتخذ موقف المتشكك من النظرية ، يعترف بأنه قد يوجد في عسير آثار لم تكتشف حتى الآن والتي قد تكون ذات دلالة للتاريخ التوراتي .

والواقع أنني ليس لديَّ من الإلمام بما ورد في أسفار «العهد القديم» من أخبار ، ولكنني أدرك ــ كما يدرك غيري ــ مااعتراها من التحريف والتغيير والتبديل ، بدرجة تضعف الاعتماد على كل النصوص التي وصلت إلينا منها . وإضافة إلى هذا فقد شاهدتُ في النص اضطراباً في المعنى ، دفعني إلى الاستقصاء باطلاع على ماورد في ذالك السفر ، ولأنني أُدرك أَنَّ مُعَرِّبَ كتاب ويندل فيلبس ليس دقيقاً في تعريبه ، على مااتضح لي من أعماله في مؤلفَينِ من مؤلفات فلبي ، أحدهما عن تاريخ المملكة ، والثاني عن أرض مَدْيَن ــ بحيث لم يسلم اسما الكتابين من التغيير ، فأصبحا لا يدلاَّن على ماأراده المؤلف بهما .

وقد صح ماتوقعته بعد مطالعة النص الوارد في «سفر اشعيا» واتضح لي تحريف النص من ناحيتين :

الأولى: تغيير هجاء الاسم ، فهو في الترجمة العربية القديمة لذالك السفر (عيفة)، لاكما ورد في ترجمة كتاب ويندل فيلبس (إيفا) .

الثانية: أن النص كما قرأه عليَّ أخي الأستاذ الدكتور عبدالله الوهيبي هو: تغطيك كثرة الجمال ــ بُكْرَان ــ مديان وعيفة، كلها تأتي من شبا تحمل ذهباً ولُبَاناً .

ومن هذا النص يتضح أن (عيفة) هذه تقع في بلاد مدين أو جهتها ــ على ماسيأتي ايضاحه ــ وإذا نظر الباحث إلى الموضوع نظرة أشمل ، أدرك أن مدينة أبها لا تقع على أحد الطرق القديمة المعروفة التي اعتادت القوافل المرور بها ، لأنَّ البلدة مرتفعة في سفوح السراة، والوصول إليها من الناحية الغربية الموالية لبلاد سبأ تَعْتَرِضُهُ عقاب شاقة، وجبال شاهقة، وقد لا يجد الباحث فيما هو معروف من الكتب ذكْراً لهذه البلدة باعتبارها واقعة على طريق القوافل، ولو كانت بهذه الصفة لما فات كثير من المعنيين بتحديد المواقع العربية ذكرها، وهذا لا ينفي كونها قديمة، فقد ذكرها الهمداني المولود سنة ٢٨٠هـ في موضعين من كتابه «صفة جزيرة العرب» وذكر أنه عُثِرَ على قبر ذي القرنين ــ فيما يقال ــ بقربها على رأس ٣٠٠ سنة من الهجرة، ولكن لم يذكر هو ولا غيره أنها واقعة على طريق مسلوك للقوافل،

مع شدة اعتناء الهمداني بما يتعلق ببلاد جنوب الجزيرة من تحديد مواضع، وذكر مسالك، وإيضاح طرق .

وإذا رجعنا إلى مؤلفاته ومؤلفات غيره ممن كتب عن الطرق القديمة اتضح لنا أن أشهر الطرق التي كانت مسلوكة في القديم هي التي عُرِفَتْ فيما بعد طرقاً للحج ، ولاشك أن قوافل التجارة وممرات الجيوش الغازية في القديم كانت تسير في تلك الطرق .

وأشهر طرق اليمن على ماأوضح الهمداني وغيره طريقان: الطريق المارُّ بأسافل بلاد عسير وأشهر منازله بعد صنعاء: ريدة، وصعدة، وطلحة المَلِك، وكُتْنَة، وبِيْشَة، وتُرَبَة، وشَرِب أسفل الطائف، ثم قرن المنازل فنخلة فمكة المكرمة .

هذا الطريق يمرُّ شرق بلدة أبها جاعلاً سلسلة الجبال يمينه، سائراً في سفوحها تفادياً لوعورة الطريق، وتجنُّباً لما في تلك السلسلة من عقبات، فهو يمر بكُتْنَه على مقربة من مدينة جَرَش، التي عرضها وعرض كتنة واحد لأنهما على خط طول واحد من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم كما ذكر الهمداني .

أما الطريق الثاني فهو يمر بتهامة نازلاً من صنعاء وما حولها من البلاد على وادي مَوْر، ومارّاً بالمنازل المعروفة التي من أشهرها ضنكان وحَلْي ودَوْقَة والليث ويلملم ومكة المكرمة[1]، أي في سفوح الجبال من الناحية الغربية مما يلي البحر .

أما طريق شرقي اليمن بما فيه مأرب البلاد التي ورد اسم أَبْها في سياق الحديث عن اكتشاف آثارها ، فإن طريقه يجتمع مع طريق حضرموت، وطريق حضرموت[2] يمر بالعبر، ثم بالجوف (جوف مراد) ثم بصعدة ويلتقي في صعدة بطريق صنعاء ، ويستمر إلى كتنة بقرب جرش ثم ببيشة ومابعدها من منازل .

وهناك طريق ثالث لليمن إلى العراق وغيره، ذكره الهمداني في كلامه على قرية المعدن (معدن الرضراض) إذ قال في وصف تلك القرية[3]: كان الجهاز يرد إليها من البصرة والقطرات إليها ومنها ، على طريق العقيق والفلج واليمامة والبحرين إلى البصرة، وكذا كانت الرفاق تسلك من صنعاء إلى البصرة، ومن البصرة إلى

صنعاء، وطريق اليمامة، وقد سلكها أصحابنا. انتهى. وتلك القرية تقع بقرب (مأرب).

ولا أستبعد أن يكون طريق مأرب (سبأ) إلى بلاد الشام، أو مَدْيَنَ في شمال الحجاز كان يمر بهذا الطريق الذي يتجه شمالاً قَصْداً حتى العَقِيق (وادي الدواسر) ولايأخذ ذات اليمين إلى الفَلَجِ (الأفلاج) بل يتجه نحو الشمال حتى يجتاز اليمامة ويستمر نحو القصيم، حتى يصل إلى ملتقى للطرق معروف منذ القدم في مكان عرف قديماً باسم (أَبْوَا) وبعد ذالك باسم (القريتين).

ويحسن الوقوف عند هذا الموضع لبيان أهميته باعتباره موقع اتصال من وسط الجزيرة إلى جميع الجهات.

لقد كانت بلاد القصيم من مواطن الحضارة القديمة التي لانزال نجهل تاريخها، فقد كان هذا البلد من أخصب أقاليم الجزيرة أرضاً، وأغزرها مياهاً، مع جهل تاريخه القديم، ولكثرة مياهه كانت تنتشر فيه الْحُمَّى حتى قضت على أهله، ومن ثمَّ قيل:

إنَّ الْقَصِيمَ بَلَدٌ مَحَمَّهْ أَنْكَدَ، أَفْنَى أُمَّةً فَأُمَّهْ[٤]

ومن أشهر قراه وأقدمها (أَبْوَا)[٥] ـ بعد الألف المفتوحة باء موحدة ساكنة، ثم واو مفتوحة فألف مقصورة ـ وهو اسم يطلق على قريتين تقعان في بطن وادي الرُّمَةِ على مقربة من عُنيزة، كانتا لِطَسْمٍ وجَدِيس، وعرفتا في صدر الإسلام باعتبارهما من منازل طريق الحج الكوفي ـ فيما بين النبَاجِ (الأسياح) شرقاً، ورامة غَرْباً، وقد عُثِر في (أبوا) في القرن الثاني الهجري على نقود من عهد طسم وجديس[٦].

وقد عرفتْ (أبوا) هذه في صدر الإسلام باسم (القريتين)، وحازتْ شهرةً واسعة في المؤلفات التي تعرضت لوصف مسالك الجزيرة وطرقها، لأنها تقع في ملتقى أهم الطرق التي تعبر الجزيرة من شرقها إلى غربها، ومن جنوبها إلى شمالها، فكان لابُدَّ للقوافل المتجهة إلى الشام القادمة من اليمن، أو الذاهبة إلى العراق من

الحجاز أو تِهَامة من المرور بتلك البلدة، والقوافل من شرق اليمن (مأرب وحضرموت وماحولهما) كانت في اتجاهها إلى شرق الجزيرة تسلك طريق ٱلْفَلَجِ (الأفلاج) إذا اتجهت صوب العراق، وإذا اتجهت صوب الشام مَرَّتْ بٱلْعَقِيق (وادي الدواسر) ولابُدَّ لها من العبور بِأَبْوَا (القريتين) ثم سلوك الطريق المارة بغرب الجبلين إلى الطريق الجوشية (المارة بِجَوْشَ وٱلْعَلَمِ) فبلاد مَدْيَنَ، ثم ازدادت شهرتها بعد أن أصبحت ملتقى قوافل الحجاج في صدر الإسلام .

هي خاطرة عبرت في ذهني قد لاتكون صحيحة، وأراها جديرة بمزيد من التمعن .

وأعود إلى البحث في النص الذي أثار هذا الموضوع .

لعل المستشرق التشيكوسلوفاكي (الويس موزل) هو أوفى من تناول اسم (عيفة) بالبحث في كتابه «شمال الحجاز» وفي القسم الذي نقله إلى العربية الدكتور عبدالمحسن الحسيني ــ رحمه الله ــ، فقد عد (عيفة) من أبناء مَدْيَنَ ونقل عن «سفر اشعيا» (٦٠ــ٦) أنه بشر صهيون بأن الجمال ستأتي إليها من مدين وعيفة تحمل ذهب التجار السبئيين . كما أشار إلى أن (عيفة) هذه كانت تقع في مكان قريب من واحة تيماء ، وأنها هي الواردة في الكتابات الآشورية باسم (خايابا) من ولد إبراهيم، وتكون الفرع الأول من قبيلة مدين، ولم يقف الأستاذ موزل عند هذا الحد، بل أضاف[٧]: واسم عيفة لازال باقياً محفوظاً في التسمية التي تطلق على الأطلال القديمة لمعبد الغوافة، كما تنطقه بعض بطون بني عطية، وإن كانت البطون الأخرى مثل حويطات التَّهَم تنطقه روافة. ثم أضاف: إبدال الغين والعين راءاً أمرٌ شائع دائماً ــ ثم أورد أمثلة من ذالك ــ يحسن الرجوع إليها لمن أراد التوسع في البحث .

ولعل الذي يَعْنِي من يهتم بالدراسات الجغرافية مما يتعلق بهذه الملاحظة التي أوردها الأستاذ الكريم محمد بن عبدالله الحميد هو إيضاح خطأ من حاول تطبيق اسم (عيفة) على (أبها) إذْ قد اتضح من النص القديم أن ذالك الاسم يُقْصد به أحد أبناء مَدْيَنَ، وموقع بلاد مَدْيَنَ لا يحتاج إلى إيضاح .

لغـة الاعـلام

[نشرت «العرب» س ٢٣ ص ٣٧٣ بحثاً وافياً للدكتور منير البعلبكي القي أثناء انعقاد الدورة الأخيرة لمؤتمر مجمع اللغة العربية عن الاعلام وهاهو بحث آخر ألقاه الأستاذ حسن عبدالله القرشي في تلك الدورة] .

كان الاعلام ، ومتفرعاته ــ ومازال ــ أحد العوامل المهمة التي ترتكز عليها الأمم في إظهار الوجه الحسن لتراث الأمة ، ورصد مراحل تطورها وإبراز ماهي عليه من عزة ومنعة ، وما تتمتع به من حاضر مرموق ، وما ينتظرها من مستقبل باهر .

وخلال الحروب الباردة والساخنة معاً كان الإعلام هو المعوان لصد أطماع الأعداء ، والايماء إلى القوى الكامنة والمدخرة لدى الشعوب .

وقد أصبح للإعلام خبراء ، ومستشارون وكليات جامعية متخصصة ، ووزارات تُرصد لها الأموال الكثيرة . وشركات ومؤسسات كبرى تُستثمر فيها الملايين من الدولارات ويعمل بها مئات الآلاف من الفنيين والمختصين في مختلف الحقول ، وأصبحت ركائزه من صحافة ، واذاعة ، ومكتبات ، وتلفزة ، وأدوات نشر مؤسسات ضخمة مؤثرة تضم الآلاف من ذوي التخصصات الراقية في

ولا أريد أن أذهب بالقارئ بعيداً لأشير إلى الاختلاف في موقع سبإ المذكور في القرآن الكريم بدون تحديد مكانه، ولهذا وقع بين كثير من علماء الآثار اختلافٌ في تحديد الموقع، وعلى رأي من ينفي كونه في اليمن تصبح الجملة التي استدل بها ويندل فيلبس غير ذاتِ مدلول على ماأراد .

حمـد الجاسـر

الحواشي :

١ ــ «صفة جزيرة العرب» ٣٠٣ وكتاب «المناسك» ٦٤٧ .
٢ ــ «صفة جزيرة العرب» ٣٠٤ .
٣ ــ «الجوهرتين» ٩٠ . ٤ ــ «معجم البلدان» رسم القصيم .
٥ ــ آثرت كتابة الكلمة كما تنطق دفعاً للالتباس، لاكما ورد في المؤلفات القديمة (أبوى) .
٦ ــ «المناسك» ٥٨٨ و«معجم البلدان» رسم (أبوا) و«معجم مااستعجم» رسم (أبواب).
٧ ــ «شمال الحجاز» ٨٩ .

مجالات الثقافة ، والفكر ، والاجتماع ، والاقتصاد ، يسخرون أفكارهم وأقلامهم لمسيرة هذا المرفق الحيوي الهام الذي هو مرفق الإعلام .

لذالك فليس غريباً أن يتجه الحديث إلى (لغة الإعلام) ومناهج القول فيها مما عناه بتخصيص مجمعنا اللغوي العريق .

وإذا كانت اللغة هي أهم أسباب نجاح الإعلام على الاطلاق فما هو النهج الأصوب الذي يجب أن تسير عليه لغة الإعلام ؟

لاشك أن اللغة الإعلامية ينبغي أن تنقسم قسمين :

القسم الأول : اللغة التي نستخدمها في الوسائل المطبوعة (من كتب وصحف ومجلات وروايات ، وقصص) فهذه يتعين أن تكون اللغة الفصحى .

ولا يغرب عن البال أن الفصحى قد أصيبت بالكثير من أدواء العجمة نتيجة التقهقر الذي عرا تدريس هذه اللغة في المدارس ، والمعاهد ، والجامعات ، والتدني في مستويات التحصيل ، مما يتطلب تلمس العلاج الناجح لذالك .

ورغم ما توافرت المجامع اللغوية على تسهيله واشتقاقه من عبارات . . وما استحدثته من مصطلحات للتمشي مع روح هذا العصر المعجل فإن الضعف مايزال سمة ملازمة للغة الفصحى في الإعلام .

أما القسم الثاني : فنظراً لأن الإذاعة والتلفزة بخاصة تخاطبان جميع الطبقات التي تتكون من متعلمين وأميين فان الطريقة المثلى ــ في رأيي ــ هي أن تكون لبعض موادهما لغة مبسطة بعيدة عن التعقيد تكون مفهومة للمتعلم وغيره على السواء ، رغم ما جنحت إليه بعض أجهزة الإذاعة المرئية والمسموعة من تخصيص ما يسمى بالبرنامج الثاني لفئة الطبقات المتعلمة .

ولا أقصد بتبسيط اللغة بالنسبة لغير المتعلم هو الهبوط بمستواها ، ولكنني أقصد أن تكون لغة ميسرة سهلة مشتقة من الفصحى ذاتها هدفها الارتقاء بالمفهوم العادي وصقله ، ويمكن أن تقدم بها المواد الترفيهية ، وما يماثلها . . وربما اندرج تحت هذا المفهوم اللغة التي يجب أن نخاطب بها الطفل في وسائل الإعلام .

وإذا كانت اللغة هي الوسيلة للإعلام فان مضمون الإعلام ذاته يجب أن يكون مضموناً صادقاً ، فلا ينبغي أن يكون مثلا أداة طيعة للأهواء أو تزييف حقيقة والدعوة لمبدأ هدام ، أو الترويج لسلعة تافهة .

ان من آفات بعض صنوف الإعلام الجنوح إلى اصطناع منهج الكذب أو التدجيل ، والباس الباطل ثوب الحق ، وخداع القارئ أو السامع أو المشاهد وكل أولئك أردية خلقة سرعان ما تتكشف للناس ، ويبدو زيفها وخواؤها مما يؤثر تأثيراً بالغاً على سمعة إعلام الدولة وتخلخل الثقة به ، وانعدام مصداقيته .

ونحن نعرف مثلا أن هناك محطات للاذاعة يؤثر السامع سماع انبائها على أنباء سواها ــ وما ذالك إلا لأنها انتهجت تحري الصدق في بث الأنباء حتى أصبح ذالك تقليداً لها في هذا المضمار .

فتحرِّي الحقائق المجردة ، ورصد الوقائع الثابتة هما الأداء الصحيح للإعلام الناجح ؟ ومهما ضاعفنا من جهود في هذا السبيل فانها الجهود التي تُؤتي ثمارها ، وتصيب أهدافها .

وهناك اقتراح يمكن ايلاؤه عناية خاصة ويتلخص في حث المسئولين في وزارات الإعلام في الدول العربية على ضرورة استخدام اللغة العربية الفصحى في نشرات الاخبار وابعاد الكلمات العامية والحوشية منها نهائيا فيما يقدم من مواد اعلامية عبر الإذاعتين المرئية والمسموعة كي تكون هذه النشرات واجهة حية للغتنا العربية .

وبعد : فإن هذا البحث وهو لغة الإعلام ــ والذي آثرت أن أوجز القول فيه خشية الاطالة والإملال ــ ورغبة في اتاحة الفرصة الزمنية لأكارم الزملاء ــ هو جديد الموضوع بكل تفاصيله إذ أننا نبحث عن أمثل الطرق للوصول إلى القارىء ، والسامع ، والمشاهد ، وفي نفس الوقت يجب ألا ننسى ولو للحظة واحدة أن تراثنا هو لغتنا العربية لغة القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى وتعهد بحفظه ، وحديث المصطفى ﷺ ، ومن الأنسب دائماً أن نبحث في هذا العصر ما يعزز مكانة هذه اللغة ، وقيمها ويزيد من رقعة انتشارها ورفع مكانتها .

تعليقات على :

كتاب الشيخ محمد أمين الشنقيطي
لعبداللطيف الدليشي الخالدي

نشرت مجلة « العرب » ج ١١ ــ ١٢ الجماديان سنة ١٤٠٧هـ ، عرضاً مفيداً لكتاب الشيخ محمد أمين الشنقيطي للمؤلف العراقي الأستاذ عبداللطيف الدليشي الخالدي ، وقد طبعتْ هذا الكتاب وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية ، وكان الحلقة العشرين من سلسلة الكتب الحديثة ، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) .

وللكتاب حسنتان بارزتان ، إحداهما منهجية : فالأستاذ الدليشي الخالدي اعتمد في هذا المؤلف أسلوب العالم الرصين ، متتبعاً بخطى ثابتة حياة المُصْلِح الشيخ الشنقيطي ، وسائقاً مختلف المعلومات التي من شأنها أن تُضيء حياة هذا الشيخ ، ولم يكتف الأستاذ المؤلف بالعودة إلى المراجع المتعلقة بالعراق والكويت وتاريخهما في بداية هذا القرن للوقوف على الظروف السياسية والاجتماعية التي اكتنفت حياة الشيخ الشنقيطي ، وقام فيها بدور إصلاحي متميز ، بل عاد إلى المراجع القليلة المتعلقة بشنقيط ، والأدب الشنقيطي ، لِيُكْمِلَ بها ترجمة هذا المصلح في مختلف أبعادها .

ولعل من بوادر الخير ما أصبحنا نلاحظه في المؤتمرات الدولية والمحافل العالمية من التزام مندوبي الدول العربية وبعض الدول الاسلامية الحديث باللغة العربية بهدف ترسيخها والتعريف بجمالها وأصالتها وجرسها المحبب وفرضها على مجتمعات العالم ، ما أمكن ذالك .

وأكرر تقديري للزملاء الصفوة الفضلاء على تلطفهم بحسن الاصغاء وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

حسن عبدالله القرشي

ولاشكَّ أنَّ الأستاذ عبداللطيف مطالبٌ عِلْماً وعَمَلاً بهذا المنهج ، فمقتضيات البحث تفرِض عليه الرجوع إلى كل ما من شأنه أن ينير طريق بحثه ، ويفتح مستغلقاته ، غير أنه ولله الحمد قد أعطى للبحث العلمي حقه ، فتقصَّى كل التقصي ، ونقَّب كل التنقيب ، وتوخَّى الحقيقة ، وسعى لها سعيها ، وكان سعيا مشكورا .

وحسنةُ هذا الكتاب الثانية تعود إلى مضمونه ، ولن أُطيل هنا ، بل أكتفي بإشارة مجلة « العرب » الموجزة الدالة ، فالكتاب (من المؤلفات التي لا يسع المعنيون بدراسة تاريخ رجال الاصلاح في عصرنا الحديث الاستغناء عنه) .

هاتان ملاحظتان سقتهما تنويها واعجابا بهذا الكتاب المفيد باسمي قارئا عربيا ، أما وأني موريتاني فلي على هذا الكتاب المتعلق باحد ابناء موريتانيا ملاحظات :

منها شكري للأستاذ عبداللطيف على تعريفه بهذاالعالم المصلح الشنقيطي ، وعلى إيراده لبعض مظاهر الأدب الموريتاني الذي مازال مجهولا في الساحة العربية ، فالأستاذ عبداللطيف قدم خدمة جليلة للأدب الموريتاني بكتابه هذا .

بيد أن انعدام الدراسات العلمية المتعلقة بالأدب الموريتاني ، والتاريخ الموريتاني ، سواء كانت تحقيقا للنصوص أو تأليفا تكاد تكون معدومة في المكتبة العربية ، وهذا مايجعل أي تأليف يتناول موريتانيا عرضة للوقوع في بعض الأخطاء .

وحرصا على تكميل ماقام به الأستاذ عبداللطيف في تأليفه استسمحه في تصويب بعض الأخطاء الواردة في هذا الكتاب والمتعلقة بالأدب والتاريخ الموريتانيين .

١ ــ ففي الصفحة ١٢ جاء في الهامش (٢) عند ذكر عبدالله بن حَمِّينْ الكريمي قول المؤلف : (هكذا ورد في مذكراته الخطية إلا أن صاحب « الوسيط » اثبته بلفظ (ابن حَامَّنَّ) بتشديد الميم والنون المفتوحتين ، وهو من قبيلة الاغلال البكرية ص ٩١) . انتهى هامش المؤلف .

والصحيح أن عبدالله بن حَمِّينْ شيخَ محمد أمين الشنقيطي ، غير الشيخ بن حَامَّنٍّ الذي ذكره صاحب « الوسيط » . فعبدالله بن حمين حسني وهو ابن عم الشيخ محمد أمين الشنقيطي وشيخه ، أما الشيخ بن حَامَّنٍّ فهو من علماء مدينة شنقيط وأشتهر بتآليفه الفقهية والقرآنية (ت ١٣١٨هـ) .

ولعل مرد خلط المؤلف بين العلمين يعود إلى تقاربهما في اللفظ ، فاحدهما ابن حَمِّينْ والآخر ابن حَامَّنٍّ .

٢ ــ وقد ورد ما يشبه اللبس السابق في الصفحة (١٥) في الهامش (١) فقد نقل المؤلف عن كتاب « الوسيط » عندما أراد الترجمة للشاعر الشنقيطي محمد بن حنبل ان أصله من تاكْنيت . وعندما أراد المؤلف أن يعرف القارىء بتاكْنيت قال : (وأما تاكْنيت أو تكْانت فمعناها الغابة) .

والصحيح أن تاكْنيت غير تكْانت ، فاللفظة الأولى علم على قبيلة من قبائل موريتانيا ، تسكن في جنوب البلاد قرب مدينة أبي تليت . وقد ترجم لهذه القبيلة أَحَدُ أعلامها وأشياخِها المؤرخ المختار بن حامدن في ج ٨ من موسوعته التاريخية التي مازالت مخطوطة في المعهد الموريتاني للبحث العلمي .

أما تكْانت فهي منطقة جبلية تقع وسط موريتانيا شرقي آدرار . فتقارب تاكْيت (القبيلة) وتكانت (المنطقة) في اللفظ أحدث هذا الالتباس .

٣ ــ ذكر المؤلف في ص ٢٢ الهامش (٢) ان صاحب عمود النسب هو أحمد البدوي المجلسي الذي نظم انساب القبائل في شنقيط ، كما نظم غزوات النبي ﷺ ، ــ « الوسيط » ، ص ٣٥٠ ــ . انتهى كلام المؤلف .

وإذا رجعنا إلى « الوسيط » في الصفحة المذكورة لا نجد ذكراً لمؤلَّف حول انساب القبائل في شنقيط ، فصاحب « الوسيط » يقول : (وهو ــ أي أحمد البدوي ــ الذي أحيى انساب العرب بنظمه عمود النسب) « الوسيط » ص ٣٥١ .

والمعروف أن أحمد البدوي ألف نظما في أنساب العرب سماه « عمود النسب » بدأه بقوله :

حمداً لمنْ رَفَعَ صيتَ العَرَبِ وخصَّهُم بينَ الأنامِ بالنَّبي
وَعَمَّهم إنْعَامَهُ بِنِسْبَتِهْ فَدَخَلُوا بَيْنَ الْوَرَى فِي زُمْرَتِهْ

وقد شرح حماد المجلسي وهو من أسرة أحمد البدوي ، نظم « عمود النسب » شرحا طبع مؤخرا في دولة الإمارات العربية المتحدة . وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر في كتابه « رحلات » (١) ص ٢١٣ عند حديثه عن الشيخ أمين بن حسن الحلواني انه (كان ينزل في المدينة في دار مطلة على (الحديقة العينية) كما يدل على ذالك ما جاء في طرة المخطوطة رقم ٢٢ ش (تاريخ) من كتاب « عمود النسب » المخطوطة بدار الكتب المصرية ، وهو بخط الشيخ الحلواني نفسه وهذا نصه : قرأت هذا الكتاب « عمود النسب » للفهامة أحمد البدوي قراءة ضبط وتحرير ودراية ورواية فأوضحت مشكله ، وأعربت مغلقه ، وبينت مبهمه ، وفصلت مجمله ، على شيخنا واستاذنا علامة فن اللغة والأنساب ، وفهامة علم سيرة النبي والاصحاب ، إمام الحرمين بلا مدافع ، سيدنا النسابة الشيخ محمد محمود الشنقيطي . . .) . .

٤ ــ وفي الصفحة ٢٥ إشارة إلى انتساب الحسنيين ــ أو أد أبلحسن ــ إلى قبائل بني معقل والواقع انه لا علاقة بينهما . فأد أبلحسن كما في الجزء ٢١ من موسوعةالمختار بن حامدن التاريخية إحدى قبائل الزوايا المشهورة بكثرة علمائها وشعرائها ، ومنهم صاحب الترجمة الشيخ محمد أمين الشنقيطي . والقبيلة كما في الموسوعة بطون كالآتي : أولاد اخطيرة ، أولاد بوالمختار ، أولاد اعمر أكداش ، أولاد أحمد بن يوسف ، أداشغرة ، ادوكدشله ، وأولاد بانعمر .

أما بنو معقل أو بنو حسان فقد خصص لهم المؤرخ المختار بن حامدن الجزء ٢٦ من موسوعته . والمعروف ان بني حسان إحدى فصائل قبائل بني هلال وبني سليم الذين جاؤوا إلى المغرب العربي في هجرتهم المشهورة في عهد الدولة الفاطمية بمصر . وقد جاؤوا إلى بلاد شنقيط دفعات منذ القرن الثامن الهجري ، ومن

قبائلهم بموريتانيا التارزة والبراكنة وأولاد يحيى بن عثمان وأولاد الناصر وأولاد رزق وأولاد اداليم وأولاد امبارك . . . الخ .

٥ ــ وفي ص ٢٦ ذكر المؤلف فئة من المجتمع الموريتاني القديم معروفة اصطلاحاً باللَّحْمَةِ أو الزَّنَاكة . وذهب إلى ان هذه اللفظة محرفة من الزنج . . الخ ، والمتعارف عليه عند الموريتانيين ان الزناكة ليسوا زنوجا بل هم من الجنس الأبيض ، وان الكلمة تحريف لصنهاجة ، وصنهاجة كما هو معروف في التاريخ عرب عند أغلب النسابة والمؤرخين ، بربر عند ابن حزم وابن خلدون .

٦ ــ وفي ص ٢٩ وقع خلط بين ابناء بانعمر وابناء اعمر اكداش وهما بطنان منفصلان من ادابلحسن وليسا علما على حقيقة واحدة .

٧ ــ وفي ص ٣٠ وقع خطأ في تعريف محمد محمود التندغي حيث ذكر المؤلف ان قبيلة تَنْدْغَ يقال لهم العلويين أو إدَوَعْلِ ، والصحيح أن تندغ غير إدَوَعْلِ ، كما حدد صاحب « الوسيط » في تراجم أدباء شنقيط ذالك عند تعرضه لشعراء ادوعل وشعراء تندغ ، وقد خصص ابن حامدن الجزء (٧) من موسوعته لتندغ كما خصص الجزء (٢٠) لإدوعل .

٨ ــ وفي ص ٦٧ ذكرالمؤلف في الهامش (١) عدم استقامة وزن البيت :

مَاالرَّأْيُ عِنْدَكَ فِي فَتًى تَبَاعَدَ عَنْ أَوْطَانِه لِمَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ فَتَى ؟

ويعود تكسير وزنه في نظر المؤلف إلى انه انتابته الزيادة أو النقصان بالتحريف وربما ــ والكلام دائماً للمؤلف ــ كان هذا من مخبون البسيط أو مجزوئه .

والواقع أنه لا وجود لبحر يسمى مخبون البسيط ، وإخال أن المؤلف معي في ذالك ــ ثم إن البيت مستقيم الوزن لم تنتبه زيادة ولا نقصان يفسدان إيقاعه . وقد دخله زحاف الخبن ثلاث مرات : مرتان في الصدر ومرة في العجز ، والخبن من الجوازات العروضية التي لا تفسد الوزن ولا تُحَول البسيط التام إلى مجزوء البسيط . مع ان طريقة كتابة هذا البيت لم تراع المعهود في كتابة الشعر العمودي حيث لم يفصل بين شطريه فجاءا متصلين .

٩ ــ وفي هامش الصفحة الـ ٦٨ عرف المؤلف باللغوي الشنقيطي الشهير

الحُـــدَيْبِيَةُ
بعضها في الحل وبعضها في الحرم

. . . لقد كانت رغبتكم مني أن أذكر نتيجة ما توصلنا إليه في جولتنا حول حدود الحرم بمعناه الواسع فيما يتعلق بالحديبية ــ الشميسي ــ هل هي حرم أم حل أم ان بعضها حل وبعضها حرم .

لقد قمنا بجولة دائرية حول محيط الحرم ، واطلعنا على مجموعة من آثار أعلام

← محمد محمود بن التلاميذ التركزي ورسم اسمه خطأ محمد بن محمود بن التلاميذ كما ذكر انه مر بابن بلعمش الجكني بتندّون (وهي بشنقيط) والصحيح انه مر بتندوف وهي مدينة جزائرية .

١٠ ــ وفي الهامش (١) من الصفحة ٨٠ وقع لبس عند قول المؤلف : (الديماني نسبة إلى ابناء احمد بن دامان من قبائل بني حسان) .

والواقع ان الديماني نسبة إلى ابناء ديمان وهم إحدى قبائل الزوايا وقد خصص لهم ابن حامدن في موسوعته الجزء (١٦) . أما ابناء أحمد بن دامان فهم إحدى قبائل الترارزة من بني حسان وقد مر بنا ذكرهم في الملاحظة (٤) . وقد يكون تقارب اللفظين ديمان ودامان سببا في الخلط بينهما .

١١ ــ وفي ص ٨٣ في الهامش (١) وقع التباس بين عَلَمَيْنِ متقاربين جداً ، فهنالك علم شنقيطي شهير يعرف بالشيخ سِيدِىَ بن المختار بن الهيبة وهو من مشائخ الطريقة الصوفية القادرية (ت ١٢٨٤هـ) ، ولهذا الشيخ حفيد يسمى كذالك الشيخ سيدي بن الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيدي ويعرف الحفيد بلقب باب . وقد وقع خلط بين الجد والحفيد ، فجعلا علما لشخص واحد ونسب لهذا مالذالك والحال أنهما شخصان والله الموفق .

نواكشوط : سيد أحمد بن أحمد سالم
أستاذ الأدب العربي بالمدرسة
العليا لتكوين الأساتذة

على خط هذا المحيط الدائري ، وأذكر ما شاهدناه ابتداء من التنعيم إلى الأعلام التي على طريق جدة القديم ، وما سجلناه وهذا نصه :

ثم يتجه المحيط من أعلام التنعيم إلى الجهة الشمالية الغربية ليتصل بشرفة الشيق ، وقد وجدنا فيه علمين أحدهما فوق مرتفع صغير ، يبعد عن أعلام التَّنْعِيْم بقرابة ثلاثة أكيال ، ثم يتجه المحيط جنوباً بمسافة نصف كيل ويوجد في نهايتها العلم الثاني ، وهما عبارة عن آثار أعلام ، ثم يتجه المحيط إلى الشمال الغربي ليتصل بِثَنِيَّةِ ذاتِ الحنظل ، وفي هذه الثنية وجدنا على وجه الأرض أساسَ عَلَمٍ يبعد عن شرفة الشيق قرابة كِيْلَيْنِ ، ثم يتجه المحيط غرباً ليتصل بالرحا ، وهي عبارة عن مدخل بين سلسلة جبال قائمة شرقاً وغرباً وجدنا في السلسلة الشرقية آثار أعلامٍ أحصيناها عشرة ، وتبعد عن ذات الحنظل بقرابة كيل واحد ، وفي السلسلة الغربية مجموعة آثار أعلام أحصيناها أربعة عشر علماً ، وهذا المدخل من الداخل إلى مكة المكرمة من وادي فاطمة ويسمى (الْمَصَانع) .

ثم يتجه المحيط من الرحا ــ طريق المصانع ــ نحو الجنوب الغربي في شكل سلسلة جبال ، وُجِدَ فى أعلى قمة منها مجموعةُ أعلامٍ متقاربة بلغ ما أحصيناه سبعة عشر علماً ، وهي مهدمة وتسمى هذه القمة ملحة ، ثم يتجه المحيط إلى الجهة الغربية حتى يتصل بِرِيعِ الْمُرَيْرِ في جانبه الغربي علم ، ثم يتجه المحيط غرباً بِمَيْلٍ يَسِيرٍ نحو الجنوب في سلسلة جبال وجدنا فيها تسعة أعلام ، مابين كل علم وآخر قرابة خمسين متراً ، وآخر علم يبعد عن رِيعِ الْمُرَيْرِ قرابة نصف كيل ، ومابين الرحا ورِيْعِ الْمُرَيْرِ مسافة تقدر بقرابة ستة أكيال ، ثم يتجه المحيط من رِيْعِ الْمُرَيْرِ إلى الجهة الجنوبية الغربية إلى أرض واسعة تسمى (العشاش) حتى يتصل الحد بأعلام (الشُّمَيْسِي) ومابين رِيْعِ الْمُرَيْرِ وأعلامِ (الشُّمَيْسي) مسافة تقدر بخمسة أكيال ، والشُّمَيْسي هو الحديبية .

ويحسن أن أذكر ماذكره الأزرقي عن المسميات التي جرى ذكرها في هذا الاستعراض :

١ ــ شرفة الشيق : الشيق طرف بَلْدَحَ الذي يُسْلَك منه إلى ذات الحنظل ،

عن يمين طريق جدة ، قد عمل الدَّوْرَقي حائطاً وعينا بِفُوهَةِ ذالك الشعب ، وذات الحنظل ثنيةٌ في مؤخر هذا الشعب يفرع على بلدح .

٢ ــ ذات الحنظل : هو الفجُّ الذي من عين الدَّوْرَقِي إلى ثنية الْحَرَم .

٣ ــ ملحة الغراب : شعب في بَلْدَح يفرع على حائط الطائفي .

٤ ــ الرحا : رحا في الحرم وهو مابين أنصاب المصانيع إلى ذات الجيش ورحا هي ردهة الراحة .

٥ ــ الراحة : هي دون الحُدَيْبِية على يسار الذاهب إلى جدة .

ومما ذكره بعضُ أهل العلم في الحُديبية ورِيْعِ الْمُرَار :

١ ــ قال ابن هشام في « السيرة النبوية » ج ٢ ص ٣٥٧ : فقال ﷺ : « اسلكوا ذات اليمين » بين ظهري الحمض في طريق تخرجهم على ثنية المرار .

٢ ــ زاد الطبري في تاريخه على ماذكر ابن هشام بقوله : في طرق تخرجهم على ثنية الْمُرَارِ على مهبط الحُدَيْبِيَةِ من أسفل مكة .

٣ ــ وقال ابن فهد في « إتحاف الورى في أخبار أم القرى » ج ١ ص ٤٥٨ : فلما أمسى النبيُّ ﷺ قال لأصحابه : « تيامَنُوا في هذا العَصَلِ ــ موضع منعطف في الوادي ــ فإنَّ عُيُونَ قريش بِمَرِّ الظهران ، وضجنان » ثم قال ﷺ : « من يخرج بنا على طريق نخرج به من ظهورهم » ؟ فقال رجل من المسلمين : أنا يارسول الله ، فسلك بهم طريقاً وَعراً بين شعاب ، فلما خرجوا منه أَفْضَوْا إلى أرض سَهْلَةٍ عند منقطع الوادي . . . ويقال إن النبي ﷺ أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض ، على طريق يخرجه على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة . انتهى .

وقال في الحاشية : وفي سيرة النبي لابن هشام (ج ٣ ص ٧٧٥) و «عيون الأثر» (ج ٢ ص ١١٤) و«السيرة الحلبية» (ج ٢ ص ٦٩٢) و«تاريخ الخميس» (ج ٢ ص ١٧) رجل من أسلم ، وفي «مغازي الواقدي» (ج ٢ ص ٥٨٣ ــ ٥٨٤)

و «الإمتاع» (ج ١ ص ٢٨٢) قال بُرَيْدَةُ بن الْحُصَيب الأسلميُّ أنا يارسول الله عالم بها فقال رسول الله ﷺ :«أسلك أماماً» فأخذ بُرَيْدَةُ في الأصل قِبَل جبال سراوع قبل الغرب ، فسار قليلا ، وحار حتى كأنه لم يعرفها قط ، فنزل حمزة بن عمرو الأسلمي فسار قليلاً ثم سقط في خمر الشجر فلا يدري أين يتوجه فنزل عمرو بن عبد فهم الأسلمي فانطلق أمامهم حتى نظر رسول الله ﷺ إلى الثنية فقال : « هذه ثنية ذات الحنظل ؟ » فقال عمرو : نعم . انتهى .

هذه الحاشية كما يتضح منقولة من أصول وفيها ان رسول الله ﷺ أبصر ثنية ذات الحنظل ، وثنية ذات الحنظل واقعة في الجنوب الشرقي من ثنية المرار ولكنَ والله أعلم حتى يمكن الجمع بين هذا النص وبين ماثبت أنه ﷺ دخل من ثنية المرار يظهر أنه ﷺ لم يدخل من ثنية ذات الحنظل ، وإنما أبصرها عن بُعْدٍ ، ثم تيامن إلى ثنية المرار ، وثنية المرار كما يتضح من القول بأنها على مهبط الحديبية من أسفل مكة تفضي إلى أرض حرم ، ولهذا تيامن ﷺ بعد الدخول منها ليخرج من الحرم إلى الحل في الحديبية عند الشجرة .

ويكاد أهل العلم يجمعون على أنَّ الحديبية أرض واسعة غربيها حِلٌّ وشرقيها حرم ، ولابن القيم ــ رحمه الله ــ في كتابه « زاد المَعاد » رَأْيٌ في معرض حديثه عن صلح الحديبية يتلخص في أن الحديبية بعضُها حِلٌّ وبعضُها حَرَمٌ ، وأن رسول الله ﷺ كان يدخل الحرم للصلاة ابتغاءَ مضاعفةِ الأجر ، ثم يخرج إلى الحل بعد فراغ الصلاة .

وفي « معجم البلدان » : الحُدَيْبِيَةُ هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها ، قال الخطابي قي « أماليه » : سميت الحُدَيْبِيَةُ لِشَجَرةٍ جَدْبَاء ، كانت في ذالك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، وفي الحديث أنها بئر ، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم . . . وعند مالك بن أنس أنها جميعها من الحرم . انتهى .

ومما تقدم يمكن أن نستخلص ما يأتي : ←

كتاب «تاريخ التراث العربي»
سجل ممتاز وحافل لتراثنا المكتوب العريق

ـ ١ ـ

التراث في المعجم[1]: (ماينْتَقِل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل). وهذا التراث نوعان: مادِيٌّ يتمثل في الآثار الكبيرة ـ العمارة والتماثيل والمدن ـ وفي الصغيرة ـ التحف المختلفة ـ، وهناك التراث المعنوي الذي يُحْفَظُ مكتوباً على الآثار وفي الرُّقُمِ ، وفوق الورق في الكتب .

وكلا النوعين هام، إلّا أنَّ الثاني يتميز عن الأول بوفرة أنواعه ـ من دين وفلسفة وحكمة وأدب وعلوم ـ، ثم بتأثيره الكبير في مسيرة البشرية على اعتبارِ أنَّ الكتابَ يضم تراثَ الإنسانية الذي ينتقل عبر العصور، والذي لولاه لما كانت حضارة .

---

١ ـ أن ثنية المرار أحد المداخل إلى مكة المكرمة من وادي فاطمة .

٢ ـ انها تدخل بمن يدخل منها مباشرة إلى أرض حرم بعضها أسفل الحديبية مما يلي مكة .

٣ ـ هي الآن تبعد عن أعلام الحرم المقامة حالياً على طريق جدة القديم بقرابة ستة أكيال ، وهي عند الأعلام في الجهة الشمالية الشرقية .

٤ ـ ذات الحنظل واقعة في الشمال الشرقي من ثنية المرار ، وهي على محيط الحرم ويستبعد أن يكون ﷺ دخل منها ، وانما أشار إليها من بُعْدٍ وهو عنها شمالاً ، فاتجه نحو الغرب متيامنا .

٥ ـ مما ذكر ابن القيم وغيره من العلماء يتضح أن الحديبية بعضها حل وبعضها حرم .

مكة المكرمة : عبدالله بن سليمان بن منيع

ولقد كان لوطننا العربي الفَضْلُ الكبيرُ في مجال التراث، فعلى أَرْضِهِ قامتْ أقدمُ المدن، وفيه بدأ الإنسان يعبر عن عواطفه في آثارٍ هامة من جهة، وعن أفكاره ومشاعره أيضاً في تراث مكتوب من جهة ثانية .

وكان لوطننا العربي فضلُ اختراعِ الأبجدية الأولى في تاريخ البشرية، تلك الأبجدية التي كانت أَصْلَ كل الأبجديات، والتي لولاها لم يكن هناك كتابة ولا كتب .

كما كان لوطننا العربي كذلك فَضْلُ احتضانِ أولَى المكتبات في تاريخ الإنسانية، فمكتبات (إيبلا ــ تل مرديخ) و(ماري ــ تل الحريري) وآشور بانيبال ضَمَّتْ كلٌّ منها آلاف الرُّقُمِ التي حفظت تراث العرب قبل الإسلام[٢].

ــ ٢ ــ

أمَّا عرب الجزيرة فكانت لهم أساليبهم الخاصة في تثبيت مآثرهم وتخليد مفاخرهم. فقد بلغ من حبهم الشعر، وتعظيمهم إياه أنهم عَمدوا في العصر الجاهلي إلى أحسن قصائدهم، فكتبوها بماء الذهبِ في القباطِيّ، ثم علقوها في الكعبة التي هي مقدسة لديهم، وموضع حجهم، ثم سموها (المعلَّقات) حيناً ، والمذهَّبات حيناً آخر . وهي سبع عند الزوزوني ، وثمان عند أبي زيد القرشي، وعشر عند التبريزي[٣].

وقد كتبوا على الأحجار والْآجُرِّ ، وسجلوا عليها معلوماتهم، ثم أفادوا من الخشب والرَّقِّ والعظام .

وكان للعرب بعد الإسلام دورٌ كبيرٌ في الكتابة على الرَّقِّ أولاً ، ثم على الورق، وعن طريقهم عرفت أوربا الورق الذي هو اختراع صينيٌّ ، نقله العرب في القرن الرابع الهجري ، وحسنوا صناعته، واستغنوا به عن الرَّقِّ والخشب وغيره[٤].

ولقد ثبت أنَّ أوَّل خزانةِ كتبٍ عربية بعد الإسلام إنما أُنْشِئَتْ في دمشق، وكان الفضل في إنشائها لحكيم آل مروان خالدِ بن يزيد الأمويِّ المتوفي سنة ٨٥هـ . كما ثبت أنَّ (بيت الحكمة) أو (دار الحكمة) كانت المدرسة الأولى التي ضمَّت مكتبة . وقد عرفت في زمن الرشيد والمأمون[٥].

وعنايةُ المأمون بالكتب وبترجمتِها ينبغي أن تُسَجَّلَ . قال أبو الفرج الملطي المعروف بابن العبريّ: لما أفضت الخلافة العباسية إلى الخليفة السابع عبدالله المأمون بن هارون الرشيد، تَمَّمَ مابدأ به جدُّه المنصور، فأقبل على طلب العلم في مواضعه ، وداخل ملوك الروم، وسألهم صلته بما لديهم من الكتب، فبعثوا إليه ماحضرهم، فاستجاد لها التراجم وكلفهم إحكامَ ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن[٦].

إنَّ من يطالع أنباءَ الثقافة والمكتبات في (عصر النهضة العربيةالذهبي)[٧] يحس كأن (هناك مسابقات في مضمار الثقافة ، ومنافسات في تشييد المدارس ، ومضاربات في اقتناء الكتب المفيدة)[٨] فقلما خلا قصر أو بيت من مكتبة كبرى أو صغرى، وكان من الواجب أن يضم كلُّ مسجد من مساجد المدن العربية أو الإسلامية خزانةَ كتب ، يؤمها الناس من كل حَدَبٍ وصَوْبٍ للمطالعة والاستفادة ، وكان من أشهر تلك المساجد: المسجد الحرام بمكة والجامع الأموي بدمشق ، والمسجد الأقصى في القدس الشريف، والجامع الأزهر في القاهرة، والجامع الأعظم في القيروان، وجامع الزيتونة وجامع القرويين بفاس، والجامع الأعظم في النجف[٩]. لذالك كان الكتاب أهمَّ ماقدمه العرب في هذا المجال[١٠]. فلقد دُوِّنَتْ مؤلفاتٌ لا تحصى في كل موضوع، وباللغة العربية التي كانت لغة العلم في الشرق، وفي جميع الأقطار الإسلامية[١١]. ومابقي من التراث العربي، على الرغم من أنَّ كثيراً منه قد ضاع يعد (في مجموعه من أوسع ماعرف في دوائر الأدب)[١٢] مما حدا بأحد المستعربين إلى أن يؤكد أنه قد جُمِع في اللغة العربية من كنوز المؤلفات والوثائق في العلوم والطب والفلسفة مالم يجتمع مثله في سائر اللغات مجتمعة[١٣].

وليس في ذالك أيَّةُ مبالغة، إذ يكفي أن نرجع إلى عناوين المؤلفات التي سجلها ابن النديم، وطاش كبرى زادة، وحاجي خليفة وبروكلمان، وغيرهم حتى نتأكد من صحة هذه المقولة، ولنعرف أنَّ عدد كتب المكتبة العربية ضخم حقاً[١٤].

ـ ٣ ـ

كان هذا التراث العربي المكتوب من الضخامة بحيث استدعى تدوينه في كتب بَدْءاً من أوائل القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي ـ وهو مافعله محمد بن إسحاق بن محمد بن اسحاق، المعروف بابن النديم، المتوفي في عام (٤٣٨هـ ـ ١٠٤٧م) والمعروف بأنه (الوراق، البغدادي، العلم، الأديب المشارك في أنواع العلوم)[١٥] والذي ترك لنا كتابه العظيم «الفهرست» الذي يعتبر سجلاً نادراً وممتازاً للمؤلفات التي كُتِبَتْ في القرون الهجرية الأربعة الأولى، وفي الربع الأول من القرن الخامس، والذي لولاه لضاعت منا عناوين كثير من الكتب، التي فقدت، فعرفنا منه أسماءها، وعناوينها.

ويتلوه في الأهمية أحمد طاشكبري (٩٠١ ـ ٩٦٨هـ ـ ١٤٩٥ ـ ١٥٦١م) وهو أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي المعروف بطاشكبري زادة (عصام الدين أبوالخير) صاحب المؤلف القيم «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم»[١٦]، ومعه أيضاً كتاب البغدادي: «هدية العارفين إلى أسماء الكتب والمؤلفين» .

ويأتي بعدها في الأهمية وضخامة الحجم كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، وصاحبه مصطفى بن عبدالله القسطنطيني، الحنفي، الشهير بكاتب جلبي، وحاجي خليفة، والذي عرف بأنه (الشهير بكاتب جلبي، وحاجي خليفة، وبأنه مؤرخ، وعالم بالكتب ومؤلفيها. . . . ، زار خزائن الكتب الكبرى، وانقطع للتدريس، واهتم بتدوين أسماء الكتب التي كان يجدها عند الوراقين، وفي خزائن الكتب)[١٧] .

وكان عمر رضا كحالة (١٤٠٨/٠٠٠ ـ ١٩٨٨م) آخر من عني من المؤلفين بموضوع تأريخ تراثنا العَربي، وجمع عناوين كتبه، وأسماء مؤلفيه في موسوعته الضخمة التي تقع في ثلاثة عشر مجلداً ، يضاف إليها اثنان للفهارس، والتي نشرها بدمشق في الستينات من هذا القرن . وقد أفاد من أجل تحضير مواده ، من وجوده مدة طويلة ، بين موظفي المجمع العلمي العربي بدمشق، ثم مديراً

للمكتبة الظاهرية فيها ، فأتي عمله أَكْمَلَ عَمَلٍ يؤلفه عربي في هذا الميدان[١٨] .

— ٤ —

وعندما أُتِيح للمستشرقين، بدءاً من أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، الاطلاع على التراث العربي المكتوب، ونقل الكثير من مخطوطاته إلى مكتباتهم الأوربية، أدهشهم بوفرة عدده، وكثرة مؤلفاته، وعمل الكثيرون منهم في تتبعه ، ورصده، والحديث عنه، وكان قمة هذا العمل في مؤلف بروكلمان «تاريخ الأدب العربي» المكتوب بالألمانية والصادر في ليدن[١٩].

مزايا كتاب بروكلمان كثيرة منها أنه سَمَّى من سبقوه في هذا الميدان[٢٠]، وأنه جُهْدُ ستين عاماً أحصى فيها ماتفرق من تراث الفكر العربي في مكتبات العالم وخزائن الكتب، وسبر جهود العلم العربي وتابع خطواته في تأسيس ثقافة العالم الجديد، وتطلع إلى معرفة ماترجم إلى لغات العالم من ذالك التراث الخالد ، واستوعب ماأُثِيرَ حوله من بحوث، وصنف من دراسات قدمت خطى العلم والأدب، ودفعتهما إلى الأمام في الشرق والغرب[٢١].

ليس هنا مجال التعريف بكتاب بروكلمان وقيمته ومزاياه، فلقد فعلنا ذالك في مكان آخر[٢٢]، حسبنا أن نشير إلى أنَّ كتاب بروكلمان قد غَدَا قديماً ، وأنه أصبح من الأهمية بمكان إكماله واستدراك مافات مؤلفه في حياته . . . وهذا مانهد نفسه له الأستاذ الدكتور فؤاد سِزْكين ، في مؤلفه الهام «تاريخ التراث العربي» .

— ٥ —

يفهم من المقدمة التي كتبها فؤاد سِزْكين لترجمة «تاريخ التراث العربي» إلى اللغة العربية أنه عمل خمسة عشر عاماً في كتابة مؤلفه ليكون: (ملحقاً لكتاب «تاريخ الأدب العربي» للمستشرق الألماني كارل بروكلمان) بالاستناد إلى المخطوطات المحفوظة في مكتبات استانبول[٢٣]، وبعد أن مضى في العمل تبيَّن له أنَّ من المناسب (جمع كل مايمكن جمعه من فهارس المواد والدراسات التي ظهرت بعد كتاب بروكلمان، وكذالك دراساته الخاصة للكتب المطبوعة). وظهر بعد مدة ، وبعد الانتهاء من إعداد المجلدين الأول والثاني للطبع ، أنهما في الحقيقة، عمل

جديد مستقل عن كتاب بروكلمان. . . إنَّ فيه دراسة للمواد المتاحة وتحقيقها، ومراجعة كل ماذكره بروكلمان، مع إضافة معلومات جديدة مكملة له، مثل تاريخ المخطوطات، وعدد أوراقها، أو صفحاتها، وكذالك عدد أجزائها[٢٤] .

وهكذا كان عمل سيزكين مؤلفاً جديداً، مرتبطاً إلى حَـدٍّ مَّا ، بكتاب بروكلمان «تاريخ الأدب العربي»، ولكنه عمل جديد من حيث المنهج والكمية. . . فإذا ماكان كتاب بروكلمان في خمسة مجلدات، فإنَّ قسماً من مؤلف سيزكين قد صدر في ثمانية مجلدات، ستتبعها أخرى .

وهكذا كان تاريخ التراث العربي عملاً مُنْشـأً إنْشاءً جديداً ، جعل منه سجلاً للثقافة العربية والإسلامية ، يضم بين دفتيه أعلامها ومؤلفاتهم، وديواناً للعلوم والمعارف يسجل نشأتها ومراحل تدوينها وتطورها، وينير قضاياها، ويناقش مادار في فلك تاريخها، فاستحق شكر الباحثين وثناءهم، وتكريم مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، حيث كان أول فائز بجائزتها[٢٥].

ـ ٦ ـ

صدر من الكتاب حتى الآن ثمانية مجلدات باللغة الألمانية موزعة كمايلي :

يتضمن المجلد الأول علوم القرآن والحديث ، ومعه التدوين التاريخي ، وقد كانت ترجمته العربية في أربعة أجزاء : الأول : في علوم القرآن والحديث ، والثاني في التدوين التاريخي ، والثالث في الفقه ، والرابع في العقائد والتصرف[٢٦] .

والمجلد الثاني يتضمن موضوع الشعر . وقد جاءت ترجمته العربية في خمسة أجزاء : الأول مقدمة ودراسات، والثاني يتناول (العصر الجاهلي)، والثالث (عصر صدر الإسلام وبني أمية والمخضرمين) والرابع الشعر حتى حوالي عام ٤٣٠هـ ـ العصر العباسي) والخامس (بقية العصر العباسي، مصر والمغرب والأندلس، مع فهارس المجلد الثاني)[٢٧] .

كما كان قد صدر قبل ذلك جزءٌ خاصٌّ بمجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم .

واشتمل المجلد الثالث على موضوع الطب ، والرابع على موضوع الكيمياء وعلم النبات والزراعة ، والخامس على الرياضيات، والسادس على علم الفلك ، والسابع على علم أحكام النجوم والآثار العلوية ، وهناك أجزاء أخرى لم تُتَحْ له معرفة موضوعاتها بعد .

ـ ٧ ـ

والحق أنَّ مراجعة ترجمة المجلدين اللذين صدرا باللغة العربية لكتاب الدكتور فؤاد سِـزْكين «تاريخ التراث العربي»، ومعهما الجزء الخاص بمجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم، يلاحظ الجهد الكبير الذي بذله هذا العالم العلامة، والصبر الصابر الذي تحلى به حتى جاء كتابه لا تكملة لكتاب بروكلمان فحسب، بل عملاً جديداً تماماً فيه إضافات وتصحيحات هامة جداً .

ففي مؤلف سِـزْكين مقدمات غنية سبقت كل واحدة منها الجزء الخاص بها . إن قضية التدوين التاريخي التي شغلت خمساً وعشرين صفحة من الجزء الثاني (من المجلد الأول[٢٩]) تتناول قضية هامة جـدّاً ثبت بمقتضاها أنَّ العرب قد عرفوا التدوين في عهد مبكر بدأ ، على نحو ما ، قبل الإسلام، ثم نما نمواً كبيراً بعد ظهور الدعوة الإسلامية .

كذلك شغلت مقدمة المجلد الثاني الخاص بالشعر خمسين صفحة من جزئه الأول ، فكانت بحثاً تناول أعمال المستشرقين في جمع مخطوطات الشعر العربي، ونشرها وترجمة أقسام منها بدأ مع العالم يعقوب جوليوس (المتوفي في عام (١٦٦٧)، واستمرت بعد هذا عبر القرون حتى نهاية الربع الثاني من القرن العشرين، بحيث كانت سجلاً أميناً لما قدمه الدارسون في المجالات المختلفة سجلاً لم يقتصر على ماكتبه المستشرقون والمستعربون بل تعداهم إلى ماكتب العرب والمسلمون في ميدان الشعر حتى عام ١٩٦٦ .

ننقل من الكتاب ماسجله مراجع عن تاريخ رواية المعلقات، والموضوعات المتصلة بها[٣٠].

ـ كتب روبسون عن معنى كلمة المعلقات في المجلة الآسيوية في عام ١٩٣٦ .

ـ وكتب عنها بلاشير في تاريخ الأدب العربي الصادر في الستينات (ص ١٤٣ ـ ١٤٨) .

ـ وكتب آربري عن المعلقات السبع كتاباً صدر في عام ١٩٥٧ .

ـ وكتب سالم حنا ملاحظات عن تاريخ تدوين القصائد الجاهلية في مجلة (دراسات إسلامية) عام ١٩٦٦ ص ٣٠٥ ـ ٣١٣ .

ـ وكتب محمد باقر علوان عن حماد، وقضية جمعه للمعلقات، مقالة باللغة الإنكليزية في مجلة الثقافة الإسلامية (العـدد ٤٥ من عام ١٩٦٧ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥) .

ـ كما كتب جواد علي مقالة عن (تدوين الشعر الجاهلي) في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الرابع من عام ١٩٥٦، ص ٥٢٦ ـ ٥٤١، ثم يأتي حديث مطول عن المخطوطات المتعلقة بالمعلقات يتناول صفحات عديدة .

ـ ٨ ـ

إنَّ ماصدر من «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سيزكين باللغة الألمانية، ومانقل منه إلى العربية حتى الآن ـ وهو لايتعدى مجلدين ـ، يدل على حقائق كثيرة أبرزها ضخامة هذا التراث الذي تزخر بمخطوطاته مكتبات الشرق والغرب، ثم تناوله قضايا الثقافة الإنسانية البارزة التي عالجها، والتأثير البالغ الذي كان له في تاريخ الحضارة الإنسانية، والعبء الكبير الذي لا يزال ملقى على أكتافنا نحن العرب، ومن يُعْنَى بشؤون تراثنا من غير العرب، في تحقيقه ونشره ووضعه بين أيدي القراء والدارسين، حتى يصبح بالإمكان إصدار تقويم دقيق وصحيح لهذا التراث العربي من جهة، وللدور الهام والبارز الذي قام به في مسيرة الثقافة البشرية من جهة ثانية .

حلب الشهباء : فريد جُـحا

الهوامش :

(١) المعجم الرائد ص ٣٨٢ .

(٢) ينظر البحث الذي نشرناه بمجلة المعلم العربي، المجلد الثامن والثلاثون لسنة ١٩٨٥ حول تاريخ المكتبة العربية، وكذالك كتابنا الذي سيصدر قريباً بدمشق عن دار الأهالي بعنوان: «الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر الميلادي» .

(٣) طرازي، خزائن الكتب في العالمين جـ ١ ص ٨٦ .

(٤) خطط الشام لكرد علي جـ٦ ص١٨٨ .
(٥) خطط الشام لكرد علي جـ٦ ص١٩٠ .
(٦) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
(٧) لقب أطلقه طرازي على العصر الذهبي للثقافة في العصر العباسي .
(٨) طرازي، المصدر السابق جـ١ ص٧١ ، نقلاً عن محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١ ص٢٦٥ .
(٩) طرازي المصدر السابق جـ١ ص٧١ .
(١٠) فريد جحا ، «كتب أنصفت حضارتنا»، دمشق ١٩٧٨، ص٢٤٧ .
(١١) سيديو، «تاريخ العرب العام»، ترجمة زعيتر، القاهرة ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م ص٣٨٤ .
(١٢) المصدر السابق ص٣٨٥ .
(١٣) جاك ريسلر، «الحضارة العربية»، النسخة الفرنسية ص١٩٥، وينظر مؤلفنا السابق ص١٨٨ ومابعد .
(١٤) فريد جحا، المصدر السابق ص٢٤٧ .
(١٥) عمر رضا كحالة «معجم المؤلفين»، دمشق ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠ جـ٩ ص٤١ ومصادر ترجمته في ياقوت جـ١٨ ص١٧ ، وفي الصفدى ١٩٧ ، وفي «كشف الظنون» جـ٣ ص١٠٣٠ ، وفي «الاعلام» جـ٦ ص٢٥٣ ، وفي «هدية العارفين» جـ١ ص٥٥ .
(١٦) كحالة ، المصدر السابق جـ١٢ ص١٧٧ .
(١٧) كحالة، المصدر السابق جـ٢ ص٢٦٢ ـ ٢٦٣ وينظر بصدده البحث القيم الذي كتبه راغب الطباخ في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ١٩ص١٧٤ .
(١٨) من أجل سيرته ينظر الكلمة التي نشرها في (المستدرك على المعجم)، والمقالة التي نشرناها رثاء له ، وتعريفاً بمؤلفه، في العدد/ ٧٥٩٠/ من صحيفة الثورة الدمشقية .
(١٩) الطبعة التي بين أيدينا هي الثانية من الكتاب وتقع في خمسة مجلدات ، الأول في ٦٧٦ ص وله ملحق يقع في ٧٩٣ . والثاني في ٦٨٦ ص وله ملحق يقع في ١٠٤٥ ص .
والثالث يقع في ١٣٢٦ ص، وقد صدر عام ١٩٤٢ .
(٢٠) جـ١ من الترجمة العربية ص٣٢ و٣٣ و٣٤ و٣٥ .
(٢١) مقدمة الدكتور عبدالحليم النجار، معرب الأجزاء الثلاثة الأولى من الترجمة العربية جـ١ ص٩، وينظر من أجل بروكلمان، مقالة مصطفى الشهابي، الهلال القاهرية عدد شهر يناير من عام ١٩٧٦ ص٧٨ ومابعد .
(٢٢) ينظر كتابنا «كتب أنصفت حضارتنا» ص٨٣ ومابعد .
(٢٣) مقدمة الجزء الأول من المجلد الأول ص٧ وص١١ .
(٢٤) مقدمة الجزء الأول من المجلد الأول ص١٢ .
(٢٥) مقدمة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
(٢٦) نقل المجلد الأول إلى اللغة العربية د . محمود فهمي حجازي وراجعه د. عرفة مصطفى ود. سعيد عبدالرحيم ، وقد صدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
(٢٧) قام بنقل الأجزاء الثلاثة الأول د. محمود فهمي حجازي ، وراجعه عرفة مصطفى وعبدالرحيم وترجم الجزءان الرابع والخامس د. مصطفى عرفة، وراجعه زميلاه . وقد صدرت في العام نفسه .
(٢٨) نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي ، وراجعه عرفه مصطفى وكان قد صدر في عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
(٢٩) من ص١ إلى ص٢٥ . (٣٠) المصدر السابق ص٧٢ و٧٣ .

أبو حيان التوحيدي: في حياته تاريخ عصره

القرن الرابع الهجريُّ هو القرن الذي نضجت فيه العلوم، وتعددت المعارف، وبلغت الحضارة الإسلامية أَوْجَهَا، رغم انقسام الدولة العباسية إلى دُويلات كدولة الديلم التي حكمت العراق وفارس، ودولة بني حمدان التي حكمت شمال العراق وبلاد الشام، والدولة الفاطمية التي حكمت المغرب ومصر، والأندلُس التي بني فيها بنو أمية دولتهم الثانية، ولكن هذا الضّعف السياسيَّ لم يؤثر على العلم والأدب، بل زاده قوة إلى قوته، فظهر في هذا العصر جماعة كبيرة من الشعراء والأدباء، والفلاسفة والعلماء، معظمهم في بغداد وماحولها في دولة البُوَيْهِيين الديلميين. الذين كان وزراؤهم ومُدَبِّرُو مملكتهم من الأدباء الذين كانوا ــ ومازالوا ــ يُعْتَبَرون سادة الأدب والبلاغة كابن العميد، والصاحب بن عبَّاد، والمهلَّبِي وغيرهم، وفي زمن هؤلاء وفي ظل تلك الدولة ظهر أبو حيان التَّوْحِيدِيُّ الذي يقول عنه ياقوت الحموي: فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنةً وفصاحة ومُكْنَةً، ويقول المستشرق آدم مِتْز ــ عن أدبه: ربما كان التوحيديُّ أعظم كُتَّاب النثر العربي على الإطلاق، ولكن الجمهور كان يميل إلى طريقة الآخرين في البديع فيجري عليها ويعظم أصحابها.

ولد أبو حيان سنة ٣١٠ وتوفي سنة ٤١٤هـ وأخذ العلم عن أشهر علماء عصره كأبي سعيد السيرافيِّ والسِّجِسْتَانِي وعلي بن عيسى الرُّمَّاني وغيرهم، وحضر مجالس العلماء والأدباء والصوفية، فحفظ كثيراً مما سمع منهم، وألف كتباً بلغت عشرين كتاباً وبرغم ذالك عاش حياته فقيراً فَقْراً مُدْقِعاً، ولكنه كان نشيطاً، فنجد في تاريخ حياته تاريخاً للقرن الرابع الهجري في بغداد وفارس والحجاز كما سطرها في كتبه:

١ ــ أبو حيان الصوفي:

روى أبو حيان في كتابه «الإمتَاع والمؤانسة» عن يحيى بن معاذ أنه قال: من تعلم علم أبي حنيفة فقد تعرض للسلطان، ومن تعلم علم النَّحْو والعربية دلَّهَ

بين الصبيان ، ومن علم علم الزهاد بلغ إلى العرش . وبدأ أبو حيان حياتَهُ صوفياً يلبس المرقَّعَة ويَنْتَعلُ التاسومة ، ويجالس رجالهم ، وينقل في كتبه أقوالهم ، فهو يقول : وقلت لابن الجلاء الزاهد بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة : ما صِفَةُ هذا الغريب؟ ويقصد ماورد في حديث رسول الله ﷺ : «فطوبى للغرباء من أمتي » ، فقال لي : يابُنَيَّ هو الذي يفر من مدينة إلى مدينة ومن قُلَّةٍ إلى قُلَّة ، ومن بلد إلى بلد ، ومن بر إلى بحر ، ومن بحر إلى بر ، حتى يَسْلَمَ ، وأنَّى له بالسلامة مع هذه النيران التي قد طافت بالشرق والغرب؟ الخ ، كما يتحدث عن شِدَّةٍ لَحِقَتْهُ مع جماعة من الصوفية فيقول : وكنت في البادية في صفر سنة أربع وخمسين منصرفاً من الحج ، ومعي جماعة من الصوفية ، فلحقنا جهدٌ من عَوَزِ الْقُوتِ وتعذَّرَ مايُمْسِك الروح ــ في حديث طويل ــ إلا أنا وصلنا من (زبالة) ــ بالحيلة اللطيفة منا ، والصنع الجميل من الله تعالى ــ إلى شيء من الدقيق، فانتعشت أنفسنا به وغنمناه ، ورأيناه نفحة من نفحات الله تعالى الكريم ، فجعلناه زادنا وَسِرْنَا ، فلما بلغنا المنزل قعدنا لنمارس ذالك الدقيق ، ولقطنا البعر ، ودقاق الحطب فلما أجمعنا على العجن والْمَلْك لم نجد الْخُرَّاقَ ــ وكان عندنا أنه معنا وأننا قد استظهرناه ــ فدخلتنا حيرة شديدة ، ورَكِبَنَا هَمٌّ غالب ، وسففنا من ذالك الطحين شيئاً فما ساغ ، ولا قبلته الطبيعة ، وبِتْنَا ليلتنا طاوِينَ ساهرين ، قد علانا الكمد ، ومَلكنَا الوُجُوم والأسف ، فقال بعضنا : هذا لما وجدْنا الدقيق؟ وأصبحنا ورُكَبُنَا قد استرختْ ، وعيوننا قد غارتْ ، واحدنا لا يُحدِّثُ صاحبه غَمًّا وكربا ، وعدنا إلى ماكنا فيه قبل بزيادة حسرة من النظر إلى الدقيق ، وقال صاحب لنا : نرمي بجراب الدقيق؟ حتى نلقي حمله وثقله في طول هذا الطريق ، فقلنا : ليس هذا بصواب ، وما يَضُرُّنَا أن يكون معنا ، فلعلنا أن نرى ركباً أو نلقى حطباً . وكانت الباديَةُ خاليةً في ذالك الوقت ، لِرُعْبٍ لَحِقَ قوماً من بني كلاب من جهة أعدائهم ، فلم يكن يجتاز بها في ذالك الوقتِ غَرِيبٌ ، وبقينا كذالك إلى اليوم الثالث ، ونحن نُلاحق ونجاهد في المشي ، فلما كان العصر من ذالك اليوم كنت أسير أمام القوم أُجَرِّئُهم وأسألهم ، وكنْتُ كالحاطب لهم ، فوجدوا خِرْقَةً ملفوفة فيها خُرَّاقٌ فهللوا وكبروا . ورفعوا أصواتهم ، فقلتُ

كالمتعجب : ماالخبر؟ قالوا : الْبُشْرَى !! قلت : وما ذاك ؟ قالوا : هذه خرقة ملئت حراقاً . فلا تسل عما دهانا من الفرح والاستبشار ، وثاب إلينا من السرور والارتياح ، وزال عنا من الانخزال والانكسار ، وقعدنا في مكاننا ذالك ، ولقطنا البَعْرَ ، وأثرنا الوقود ، وأجَّجْنَا ناراً عظيمة ، وملكنا الدقيق كله مَلْكَةً واحدة ، وكان أربعين رطلاً ، وكان ذالك بلاغنا إلى القادسية . اهـ .

والتصوف في تاريخ المسلمين كان سبَباً في ترك الصناعة ، وهجر التجارة ، والبعد عن الزراعة ، ذالك لأن المتصوفة رضُوا من هذه الدنيا بكسرة يابسة ، وخرقة بالية ، وزاوية من المسجد مع العافية . وقد قال الوزير ابن سعدان لأبي حيَّان : كنت أرَى أن الصوفية لا يرجعون إلى ركن من العلم ونصيب من الحكمة ، وأنهم إنما يَهْذُوْنَ بما لا يعلمون ، وأن بناء أمرهم على اللعب واللهو والمجون .

أبو حيان الوراق :

برغم أن أبا حيان ظل طول حياته يَحِنُّ إلى الصوفية ، ويدافع عنهم ، وينقل أقوالهم ، ويلبس لباسهم فإنه انتقل إلى العمل وهجر السفر في الآفاق ، والنوم في المساجد والجوع في الصحاري ، وعمل في الوراقة وكانت الكتب التي ينسخها تباع بأغلى الأثمان ، لدقة أبي حيان في ضبطه ، وكثرة حفظه ، فحسن حاله ، واستأجر بيتاً في منطقة الكرخ بين السُّورَيْن ، واشترى جارية ، وأخذ يحضر مجالس الطرب والغناء ، وقد تحدث عن المغنيات والولدان المغَنّين ، كما تحدث عمن كان يطرب طرباً شديداً في تلك المجالس ، فيشق ثيابه ، ويسكب دمعه . أو يُلْقِيَ بنفسه على الأرض ويتمرغَّ في التراب ويُرْغِي ويُزْبِدُ ، وإليك مشهداً من عشرات المشاهد التي عرضها قال : ولا طرب (ابن فهم) الصوفي على غناء (نهاية) جارية ابن المغني إذا اندفعت بشدوها :

أَسْتَوْدِعُ الله في بَغْدَادَ لِي قَمَراً ... بِالكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الأَزْرَار مَطْلَعُهُ
وَدَّعْتُــهُ وَبِــوُدِّيْ لَــوْ يُــوَدِّعُنِي ... صَــفْــوَ الحيــاةِ وأنِّي لا أُوَدِّعُــهُ

فإنه إذا سمع هذا منها ضرب بنفسه الأرض ، وتمرغ في التراب ، وهاج وأَزْبَدَ ، وتَعَفَّر شعره ، وهاتِ من رجالك من يضبطه ويمسكه ، ومن يجر على الدنو منه ، فإنه يعض بِنَابِهِ ، ويخمش بظفره ، ويركُلُ برجله ، ويخرق المرقّعة قطعة قطعة ، ويلطم وجهه ألف لطمة ، ويخرج في العباءة كأنه عبدالرزاق المجنون ، صاحب الكيل في جيرانك بباب الطاق .

ويقول : ولو ذكرت هذه الأطراب من المستمعين والأغاني من الرجال والصبيان والجواري والحرائر لطال وأَمَلَّ وزاحمت كل من صنف كتاباً في الأغاني والألحان ، وعهدي بهذا الحديث سنة ستين وثلاث مئة ولكن الروم تهايَجَتْ على المسلمين ، فسارتْ إلى شمال العراق فخاف الناس في الموصل وماحولها وأخذوا في الانحدار على رُعْبٍ قُذِفَ في قلوبهم ، وماج الناس بمدينة السلام واضطربوا ، فوجدت طائفة فرصتها في العيث والفساد ، والنهب والغارة ، وذالك سنة اثنتين وستين وثلاث مئة ، وجاءت النهابة إلى بين السورَيْنِ وشنُّوا الغارة واكتسحوا ماوجدوا في منزله من ذهب وثياب وأثاث ، وماكان ذخره من تراث العمر ، وجَرَّدُوا السكاكين على الجارية في الدار ، يطالبونها بالمال ، فانشقت مرارتُها ، ودُفِنَتْ في يومها ، وأمسى أبو حيان وما يملك مع الشيطان فجرة ، ولامع الغراب نقرة .

أبو حيان التوحيدي مع الوزراء :

مما كتب أبو حيان : إن هذه العاجلة محبوبة ، والرفاهية مطلوبة ، والمكانة عند الوزراء بِكُلٍّ حول قوة مخطوبة ، والدنيا حلوة خَضِرَة ، وعذبة نضرة ، ولا بُدَّ من فتى يعين على الدهر ، ويغني عن كرام الناس ، فضلاً عن لئامهم ، والعزلة محمودة إلا أنها محتاجة إلى الكفاية .

إن جميع الوزراء الذين قصدهم أبو حيان ، وطمع في عطائهم ، كانوا وزراء للبويهيّين ، فبعد النكبة التي ابتلى بها ، حيث سلبه النَّهَّابَةُ كل مايملك من متاع الدنيا ، وفد على بغداد أحد أولئك الوزراء وهو أبو الفتح بن العميد ، الذي دخل بغداد فتكلف واحتفل ، وعقد مجالس مختلفة للفقهاء يوماً ، وللأدباء يوماً ،

وللمتكلمين يوماً ، وللمتفلسفين يوماً ، وفرق أموالاً خطيرة ، وتفقد أباسعيد السيرافي ، وعلي بن عيسى الرُّمَّاني وغيرهما ، وعرض على بعض العلماء السير معه إلى (الري) ، فطمع أبو حيان في عطائه ، وقصده في الري ، وكتب له رسالة يقول فيها : لما رأيتُ شبابي هرماً بالفقر ، عدلت إلى الزمان أطلب إليه مكاني فيه ، وموضعي منه ، فرأيت طرفه عني نابياً ، حتى لاحتْ لي غُرةُ الأستاذ ، فقلتُ : حَـلَّ بي الْوَيْلُ ، وسال بي السَّيْل ، أينَ أنا عن ملك الدنيا؟! أين أنا عن مشرق الخير ومغرب الجميل؟! لم لا أقصد بلاده؟! لم لا أقْتَدِحُ زناده ؟ لم لا أخطب جوده ، وأعصر عوده؟ الخ وهي طويلة ، ولكنها لم تُنِلْهُ ما أمَّلَ ، ولم تقربه مما طمع فيه ، فانصرف عن هذا الوزير الذي جرَّبَ مرارةَ الخيبة على يد والده من قبل ، عازماً على الانتقام منهما .

وفي عام ٣٦٧ قصد أبو حيان وزيراً بُوَيْهِياً آخر هو الصاحب بن عَبَّاد ، فلما وصل إليه سأله الوزير قائلاً : أبو من ؟ فقال : أبو حيان ، قال : بلغني أنك تتأدَّب ، فأجابه : تأدب أهل الزمان ، فقال له : الزم دارنا ، وانَّسْخ لنا هذا الكتاب ، فقال : أنا سامِع مطيع ، ثم قال أبو حيان لبعض من في الدار مسترسلاً : إنما توجهتُ من العراق إلى هذا الباب لأتخلص من حرفة الشؤم ، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة ، فنمي هذا الكلام للوزير ، فَتَنَكَّرَ لأبي حيان .

وأقام أبو حيان في بيت الصاحب ثلاث سنوات ، قضى تسعة شهور منها في النسخ والوراقة ثم أخرج إليه الناظر في خزانة الكتب ثلاثين مجلدة من رسائل الصاحب ، وقال له: يقول لك : مولانا: انسخ هذه!! فأجابه أبو حيان مرتاعاً : هذا طويل ، ولكن لو أذن لي لخرجت منها شذراً لَوْرُقِيَ بها مجنون لأفاق ، ولو نفث على ذي عاهة لبرأ ، لا تُمَلُّ ولا تُسْتَغَثُّ ، فرفع ذالك إليه ، فقال : طعن في رسائلي وعابها ، ورغب عن نسخها ، والله لينكرن مني ماعرف!! ويقول أبوحيان : ماذنبي ياقوم إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة ؟! أي إنسان ينسخ هذا القدر وهو يرجو بعده أن يمتعه الله بِبَصَرِهِ أو ينفعه بيده؟! وجرت أشياء أخر ، وكان عقباها أن أبا حيان فارق بابه سنة سبعين وثلاث مئة راجعاً إلى مدينة

السلام ، بغير زاد ولا راحلة ، ولم يعطه في مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ولا ماقيمته درهم واحد على كلفه بنسخه ، فنشب فيه تسعة أشهر خدمة وتقرباً وطلباً لِلْجَدْوَى منه . وبعد هذا الإخفاق من الصاحب وابن العميد رأى من حقه أن ينتقم لنفسه من الصاحب بن عَبَّادٍ ومن الوزير أبي الفتح بن العميد مضيفاً إليها ــ والد ــ ذي الكفايتين أبي الفتح والده أبا الفضل بن العميد . وقال أبو حيان : عملت رسالة في أخلاقه ــ الصاحب بن عباد ــ وأخلاق بن العميد أَوْدَعْتُهَا نَفَسي الغزير ، ولفظي الطويل والقصير . وهي التي سماها «مثالب الوزيرين» وهو كتاب عُدِمَ نظيره في الأدب العربي ، حيث جاء فيه بما يضحك الثكلى من الصاحب وابني العميد الأب والابن . فقد استشهد بما يحفظ من شعر ونثر لجواز الثأر من ٱلْمُسِيْءِ ، والانتقام من الظالم ، كما قص كثيراً مما دار بينه وبين الصاحب أبان فيه ظلم الصاحب له ، كما نقل عن جلسائه ذَمَّهُمْ له ، ونقمتهم عليه لتكبره وسخفه واستخفافه بالعلماء ، واستكباره بشعره ومحفوظه ، كما ذكر ما شاهد في بيتي ابني العميد من بخل وتقتير ، وظلم واهانة لطالبي فضليهما .

ولما رجع خائباً إلى بغداد لجأ إلى صديقه أبي الوفاء المهندس الذي وصله بالوزير ابن سعدان ، وزير صمصام الدولة البويهي ، فنادمه سبعاً وثلاثين ليلة ، وقد جمع مادار بينه وبين ابن سعدان فيها في كتاب « الإمْتاع والمؤانسة » ، المكون من ثلاثة أجزاء ، وهذا الكتاب خير كتب أبي حيان العشرين التي ألفها ، وقد أهدى هذا الكتاب لأبي الوفاء المهندس لفضله عليه ، واعتنائه بشأنه ، ومساعدته له . وفيه تظهر موهبة أبي حيان الأدبية ، وسعةُ معلوماته ، وكثرة حفظه ، وعلاقته بعلماء زمانه ، وتحليله لشخصيَّاتهم ، وحكمه على أدبهم وعلمهم ، ولم يُعْرَفْ أصحاب رسائل (اخوان الصفاء) إلا عن طريق هذا الكتاب ، فقد كان أبو حيان على علاقة ببعضهم ، وذكر رأي بعض علماء زمانه في تلك الرسائل ، وأحكامهم عليها وعلى أصحابها ، وهم الذين حَاوَلُوا مَزْجَ الشَّريعة بالفلسفة .

أبو حيان يحرق كتبه :

أبو حيان التوحيدي ــ واسمه علي بن محمد بن العباس ــ عاش بائساً فقيراً ،

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

(٥٣)

٢٤٣ ــ بابُ حُبَيٍّ ، وحُنَيٍّ ، وخَبِيٍّ وخُثَّى ، وجُبَّى[١]

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ: بِضَمِّ ٱلْحَاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ثُمَّ يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ ــ: مَوْضِعٌ بِتِهَامَةَ كَانَ دَاراً لِأَسَدٍ وَكِنَانَةَ[٢].

وَأَمَّا ٱلثَّانِي: بَعْدَ ٱلْحَاءِ نُونٌ وَٱلْبَاقِي نَحْوَ ٱلْأَوَّلِ ــ: مَوْضِعٌ عِنْدَ مَكَّةَ ، يُذْكَرُ

كحال معظم علماء عصره لِسُوءِ الحالة الاقتصادية ، وظلم الجنود لأفراد الشعب ، مع أنه كان فيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة ــ كما يقول ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ويقول المستشرق آدم مِتْز: (لا نلاحظ في أسلوبه ذالك التكلف الذي نجده عند غيره من الأدباء . ولم يكتب في النثر العربي بعد أبي حيان ماهو أبسط وأقوى وأشدّ تعبيراً عن مزاج صاحبه مما كتب أبو حيان ، فنّاناً غريباً بين أهل عصره ، وكان يعاني وحشة مَنْ يَرْتفع عن أهل زمانه ، ويتقدم عليهم) اهـ .

وفي شيخوخته عاش في مدينة شيراز فقيراً معدماً ، فأحرق كتبه ، وقال : إني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ، ولعقد الرياسة بينهم ، ولمد الجاه عندهم ، فحرمتُ ذالك كله ، ولقد اضطررت بينهم بعد العشرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق ، وإلى ما لا يحسن بِالْحُرِّ أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الألم .

قال السيوطي : ولعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في حياته ، وخرجت من قبل حرقها .

الكويت : محمد علي العبد

مَعَ ٱلْوَلَجِ[٣].

وأَمَّا الثَّالِثُ: أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ وٱلْيَاءُ مُشَدَّدَةٌ ــ: مَوْضِعٌ بَيْنَ ٱلْكُوفَةِ وَالشَّامِ ، وخَبِيُّ ٱلْوَالِجِ : مَوْضِعٌ آخَرُ[٤].

وأَمَّا الرَّابِعُ: بِضَمِّ ٱلْخَاءِ بَعْدَهَا تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ مَفْتُوحَةٌ مُشَدَّدَةٌ ــ: مِنْ مُدُنِ بَابِ ٱلْأَبْوَابِ[٥].

وأَمَّا ٱلْخَامِسُ: أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ مُشَدَّدَةٌ ــ: نَاحِيَةٌ بِخُوْزِسْتَانَ ، مِنْها أَبُو عَلِيٍّ ٱلْجُبَّائِيُّ ٱلْمُتَكَلِّمُ، أَحَدُ شُيُوْخِ ٱلْمُعْتَزِلَةِ[٦].

---

(١) في كِتَابِ نَصْرٍ: (بَابُ حُبَيٍّ ، وَحَتَّى ، وحَنِيٍّ وحُنَيٍّ وجُبَّى ، وَخَبِيٍّ ، وخُتَّى ، وجِنِّي).

(٢) حُبَيٌّ: عند نَصْرٍ: (مَوْضِعٌ تِهَامٍ كَانَ داراً لِأَسَدٍ وكِنَانَةَ وكَتَعْرِيْف ٱلْحَازِمِيِّ أَوْرَدَ يَاقُوتُ وَزَادَ شاهِداً مِنْ قَوْلِ مُضَرِّسِ بْنِ رِبْعِيٍّ :

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي بِلِوَى حُبَيٍّ لارجي عائِناً حَذِراً أُرُوْحَا

كَذَا وَرَدَ فِي «معجم البُلْدَانِ» إِلَّا أَنَّ ضَبْطَهُ للاسْمِ : (بالضَّمِّ ثم الْفَتْحِ وبَاءٍ مُشَدَّدَةٍ بِلَفْظِ التَّصْغِيرِ) ثُمَّ أَوْرَدَ الشاهِدَ ، وبَعْدَهُ قَالَ: حُبَّى ــ بِالضَّمِّ وتَشْدِيْدِ ٱلْبَاءِ والقَصْرِ: ــ مَوْضِعٌ فِي قَوْلِ الراعِي :

أَبَتْ آيَاتُ حُبَّى أَنْ تُبِيْنَا لَنَا خَبَراً فَأَبْكَيْنَ ٱلْحَزِيْنَا

ولَمْ يَزِدْ ، فَٱلْمَوْضِعُ التِّهَامِيُّ عِنْدَهُ (حُبَيٌّ) بِالتَّصْغِيرِ ، والَّذِي عَنَاهُ ٱلْحَازِمِيُّ ونَصْرٌ اكْتَفَى بِتَحْدِيْدِهِ بِإِيْرَادِ قَوْلِ الرَّاعِي ، وما أَرَاهُ إِلَّا مُضْطَرِبَ ٱلْقَوْلِ فِي الاسْتِدلَالِ بِقَولِ مُضَرِّسٍ ، وَمَاأَرَى الشَّاهِدَ يَنْطَبِقُ عَلَى ٱلْمَوْضِعِ التِّهَامِيِّ ، لِأَنَّ الشاعِرَ ــ وإِنْ كَانَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ــ إِلَّا أَنَّهُ عَاشَ فِي ٱلْعَهْدِ الْأُمَوِيِّ حِينَ كانَتْ بَنُو أَسَدٍ قَدْ انْتَشَرَتْ فِي نَجْدٍ ، بَعْدَ مُغَادَرَةِ تِهَامَةَ بِعُصُورٍ ، كما أَنَّ اسْمَ (حُبَيٍّ) يُسَمَّى بِهِ مَوَاضِعَ ، يَدُلُّ عَلَى هَذَا ما أَوْرَدَهُ ٱلْبَكْرِيُّ فِي رسمه فِي «معجم مااستعجم» فقد أَوْرَدَهُ فِي شِعْرِ لِأَوْسِ بْنِ حَجَرٍ مُسْتَدِلًّا بِه على أَنَّهُ فِي ٱلْعَالِيَةِ ، وفِي شِعْرِ لِلنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ مَقْرُوناً بِوُعَالٍ ، وُوُعَالٌ يُسَمَّى بِهِ أَمْكِنَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ أَشْهَرُهَا فِي شَمالِ نَجْدٍ بطريق الشَّامِ ، لَايَزَالُ مَعْرُوفاً ــ انظره فِي قسم شمال المملكة من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وذكر البكري اسم (حُبَيٍّ) فِي شِعْرٍ لِلنَّابِغَةِ ٱلْجَعْدِيِّ مَعَ أَسْمَاءِ مَوَاضِعَ مِنْهَا كَوْرُ أُثَالٍ الواقع فِي جَنُوبِ نَجْدٍ بِمَنْطَقَةِ رَنْيَةَ .

وَكَلِمة (لِأَسَدٍ) فِي نُسْخَةِ كِتَابِ ٱلْحَازِمِيِّ الثانِيَةِ وَرَدَتْ: (الأزد) خَطَأً ، إِذ بِلَادُ ٱلْأَزْدِ الْيَمَنُ ، لا تِهَامَة .

(٣) حُنَيٌّ: عِنْدَ نَصْرٍ ــ بَعْدَ ذِكْرِ حَنِيٍّ : بِفَتْحِ ٱلْحَاءِ تَلِيْهَا نُونٌ مَكْسُورَةٌ مِنَ ٱلْأَمَاكِنِ النَّجْدِيَّةِ ــ: وبِضَمِّ ٱلْحَاءِ وٱلْبَاقِي مِثْلُهُ ــ: مَوْضِعٌ مِنْ ظَوَاهِرِ مَكَّةَ يُذْكَرُ مَعَ ٱلْوَلَجِ ، ومِثْلُ هذَا التَّعْرِيفِ وَرَدَ فِي «القاموس» وشَرْحِهِ مَنْسُوباً إِلَى نَصْرٍ ، أَمَّا فِي «معجم البلدان» فَقَدْ وَرَدَ الكلامُ المُتَعَلِّقُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ دُوْنَ ذِكْرِ اسْمِهِ ، فَبَعْدَ الكَلَامِ عَلَى حُنَيْنٍ وَرَدَ فِي النُّسَخِ الْمَطْبُوعَةِ مانَصُّه: كَأَنَّهُ تَصْغِيرُ حَنَّ عَلَيْهِ إِذَا أَشْفَقَ ، وهِيَ لُغَةٌ فِي (أَحْنَى) موضِعٌ عِنْدَ مَكَّةَ يُذْكَرُ مَعَ ٱلْوَلَجِ ، وأَوْرَدَ شاهِداً من الشِّعْرِ فيه (نَحِنُّ هَماً) ثُمَّ قال: ٱلْحَنِيُّ ــ بِالْفَتْحِ ثُمَّ الْكَسْرِ وتَشْدِيْدِ الْيَاءِ ــ: مِنَ ٱلْأَمَاكِنِ النَّجْدِيَّةِ عَنْ نَصْرٍ ، ذَكَرَهُ مُقْتَرِناً مَعَ الَّذِي بَعْدَهُ ، وأَضَافَ: ٱلْحِنِيُّ ــ

بِالْكَسْرِ ثُمَّ السُّكُونِ وياءٍ مُعْرَبَةٍ ــ: مَوْضِعٌ بَيْنَ الْعِرَاقِ والشَّامِ بِالسَّمَاوَةِ . انتهى كلام ياقوت ، والأَخِيرُ لَمْ يَرِدْ فِي مَخْطُوطَةِ كِتَابِ نَصْرٍ الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ فِي هذا الْبَابِ ، ولعَلَّ الأَمْرَ اخْتَلَطَ عَلَى يَاقُوت ، وأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ فِي هذِهِ النُّسْخَةِ فرآى الاسْمَ فيهَا غَيْرَ واضِحِ الضَّبْطِ حَيْثُ وَرَدَ : (وأَمَّا بفتح الحاءِ تليها نون ساكنة مكسورة) ثم غُيِّرَتْ (سَا) فَأَصْبَحَتْ (ويآ) وبَقِيتْ (مكسورة) بَعْدَهَا: (من الأماكِنِ النجدية) وَبِضَمِّ الْحَاءِ وَالْبَاقِي مثله: موضع من ظواهر مكة ــ الخ ــ فَلَمَّا لَمْ يَتَّضِحْ لَهُ الضَّبْطُ تَرَكَ مَحَلَّ الاسْمِ خالِياً وأَوْرَدَ التَّعْرِيْفَ ، ولكنَّهُ أَضَافَ إِلَى نَصْرٍ مَالَيْسَ فِي كِتَابِهِ : وقَدْ رجَعتُ إلى (باب الواو) مِنْ كِتَابِ نَصْرٍ فَلَمْ أَرَ فِيهِ ذِكْراً لِلْوَلَجِ ، وَلاَ فِي مَحَلِّهِ من «معجم البلدان». وَمِنَ المواضِعِ الْمَعْرُوفَةِ الآن الْحُنَيُّ شَرْقَ الدَّهْنَاءِ ، كَانَ مَنْهَلاً فأَصْبَحَ قريَةً يَمُرُّ بِهِ طَرِيقُ الظهْران مِنَ الرياض ، والْحُنَيُّ ــ بفتح الحاءِ ــ وَرَدَ فِي شِعْرِ جَرِيْرٍ .

(٤) خَبِيُّ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ يَلِيْهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ وَتَشْدِيْدِ الْيَاءِ ــ: قُرْبَ الشام ، على جَادَّةِ الْكُوفَةِ ، وخَبِيُّ الْوَالِجِ وخَبِيُّ مَعْتُورٍ خَبْرَوَانِ فِي الْمَلْقَى مِنْ جُرَادَ والْمَرُّوت ، لِبَنِي حَنْظَلَةَ مِنْ تَمِيْمٍ ، وَمَوْضِعٌ قَرِيْبٌ مِنْ ذِيْ قَار . انتهى ولَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ على ماوَرَدَ فِي كِتَابِ نَصْرٍ مَنْسُوباً إليه . وكَلِمَةُ (الْمَلْقَى) فِي كِتَابِ نَصْرٍ (الْمُلْتَقَى) عِنْدَ ياقُوت ، وجُمْلَةُ : (قُرْبَ الشام) عنده: (مَوْضِعٌ بَيْنَ الكُوفَةِ والشَّام) ولكنَّ صاحبَ «تاجِ الْعَرُوس» نَسَبَ إِلَى نَصْرٍ: وهُو إِلَى الشَّامِ أَقْرَبُ . وجُرَادُ والْمَرُّوتُ يَقَعَانِ فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ منطقة الْوَشْمِ ، الْأَوَّلُ رَمْلَةٌ تُدْعَى الآن (نَفُود السِّرِّ) والثاني أَرْضٌ واسِعَةٌ مَعْرُوفَةٌ باسْمِهَا الْقَدِيْمِ ، والْخَبِيَّانِ لَيْسَا مَعْرُوفَيْنِ الآنَ ، ولاَ اسْتَبْعِدُ الصِّلَةَ بَيْنَ اسْمَى (الْخَبِيِّ) الْقَدِيْمِ و(الْخَابِيَةِ) الْحَدِيْثِ حَيْثُ يُقْصَدُ بِالْأَخِيرِ مَكَانٌ فِي الرَّوْضَةِ تَجْتَمِعُ فِيهِ مِيَاهُهَا بَعْدَ هُطُولِ الْمَطَرِ فَتَبْقَى مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ تُوْرَدُ ويُسْتَقَى مِنْهَا كَالْخَبْرَاءِ (الْخَبْرَاءِ) والثُّغب ، والْخَوَابِي ــ جَمْعُ خابِيةٍ ــ مَعْرُوفَةٌ فِي الصَّمَّانِ حَيْثُ تَكْثُرُ الْخَبَرَاتُ فِي رِيَاضِهِ .

(٥) خُتَّى : هُوَ نَصُّ تَعْرِيفِ نَصْرٍ ــ وفي «معجم الْبُلْدَانِ» ختًا ـ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وتَشْدِيْدِ ثَانِيهِ مَقْصُور ــ: مَدِينَةٌ بِالدَّرْبَنْد ، وَهُوَ بَابُ الْأَبْوَاب . وقَدْ أَطَالَ الكَلاَمَ على بَابِ الأَبْوابِ ، وهو فِي الْمَشْرِقِ ، وَرَاءَ بَحْرِ الخزر .

(٦) جُبَّى : قَالَ نَصْرٌ: وأَمَّا بِجِيْمٍ مَضْمُومَةٍ وبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ: صُقْعٌ مِنْهُ أَبُو عَلِيٍّ شَيْخُ الْمُعْتَزِلَةِ. انْتَهَى . وفي «معجم البلدان»: جُبَّى ــ بِالضَّمِّ ثُمَّ التَّشْدِيْد والْقَصْرِ ــ: بَلَدٌ أَوْ كُوْرَةٌ مِنْ عَمَلِ خُوْزِسْتَانَ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ جَعَلَ عبَّادانَ مِنْ هَذِهِ الْكُوْرَةِ ، وهِيَ فِي طَرَفٍ مِنَ البَصْرةِ والْأَهْوَازِ ، حَتَّى جَعَلَ مَنْ لاَخِبْرَةَ لَهُ جُبًّا مِنْ أَعْمَالِ البَصْرَةِ ولَيْسَ الْأَمْرُ كَذَالِك ، ومِنْ جُبَّى هذِهِ أبو علي محمدُ بنُ عَبْدِ الوهَّابِ الجُبَّائِيُّ المتكلِّمُ الْمُعْتَزِلِيُّ صَاحِبُ التَّصَانِيْف ، مات سنة ٣٠٣ ومَوْلِدُهُ سنة ٢٣٥ . . . وجُبَّى فِي الْأَصْلِ أَعْجَمِيٌّ ، وَكَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهَا جُبَوِيٌّ ، فَنَسَبُوا إِلَيْهَا جُبَّائِيٌّ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، مِثْلَ نِسْبَتِهِمْ إِلَى الْمَمْدُودِ ، ولَيْسَ فِي كلاَمِ الْعَجَمِ مَمْدُودٌ . وجُبَّى أَيْضاً: قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ النَّهْرَوَانِ ، يُنْسَبُ إليها ــ إلى آخِرِ ماذكر ــ .

ومِمَّا ذَكَرَ نَصْرٌ :

١ ــ حَتَّى : قَالَ: وأَمَّا بِفَتْحِ الْحَاءِ تَلِيْهَا تَاءٌ عَلَيْهَا نُقْطَتَانِ مُشَدَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ــ: مِنْ جِبَالِ عُمَان ، أَوْ حبله(؟) انتهى وفي «معجم البلدان»: حَتَّى ــ مَقْصُورٌ ، بِلَفْظِ حَتَّى مِنَ الْحُرُوفِ ــ: مِنْ خَطِّ ابْنِ مُخْتَارٍ من خط الْوَزِيْرِ الْمَغْرِبِي أَنَّهُ اسْمُ مَوْضِعٍ ، قَالَ نَصْرٌ: حَتَّى مِنْ جِبَالِ عُمَانَ أَوْ جَبَلة . انتهى وَلاَ أَسْتَبْعِدُ الصِّلَةَ بَيْنَ هذا الاسْمِ واسْمِ (حُتّ) وهو جَبَلٌ فِي عُمَانَ ــ انظر مجلة «العرب» س ٢٢ ص ٢٨٣ .

٢ ــ جِنِّيٌّ : قَالَ نَصْرٌ : وَمَا بِجِيْمٍ مَكْسُورَةٍ ونُونٍ مُشَدَّدَةٍ مَكْسُورَةٍ ــ: أَكَمَةُ الْجِنِّيِّ ــ وانْقَطَعَ الكَلاَمُ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ صِلَةً ــ

٢٤٤ ــ بابُ حَثْمَةَ ، وَخَيْمَةَ[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ: بَعْدَ الْحَاءِ الْمفتوحَةِ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ سَاكِنَةٌ ــ: مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ قُرْبَ الْحُجُوْنِ ، قَالَ الْمُهَاجِرُ بْنُ عَبْدِالله الْمَخْزُوْمِيُّ :

لَنِسَاءٌ بَيْنَ الْحُجُوْنِ إِلَى الْحَثْـ ـمَةِ فِي مُظْلِمَاتِ لَيْلٍ وَشَرْق

وَفِي حَدِيْثِ عُمَرَ ــ رَضِيَ الله عَنْهُ ــ قَالَ: أَنَّى لِيْ بِالشَّهَادَةِ؟! وَإِنَّ الَّذِيْ أَخْرَجَنِي مِنْ الْحَثْمَةِ قَادِرٌ أَنْ يَسُوْقَهَا إِلَيَّ[٢] .

---

(١) أوْرَدَ نَصْرٌ في (حَرْف الخاء): (بابُ الخَيْمَةِ والْحَثْمَةِ).

(٢) عِنْدَ نَصْر: وأمَّا بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ والثَّاءِ المثَلَّثَةِ ــ: مِنْ أَصْقَاعِ مَكَّةَ بِالْقُرْبِ من الْحَزْوة(؟) أَوْ مِنْ دَارِ الْأَرْقَم ، وقِيْلَ: صَخَرَاتٌ في رَبْعِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب ، قَالَ عُمَرُ: أَنَّى لِي بِالشَّهَادَةِ؟ وَإِنَّ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنَ الْحَثْمَةِ قَادِرٌ أَنْ يَسُوقَهَا إِلَيَّ . انتهى وكَلِمَةُ (الحزوة) كَذَا وَرَدَتْ في مَخْطُوطَةِ كِتَابِ نَصْرٍ وفَوْقَهَا (كذا) وقَدْ يَكُونُ صَوَابُهَا (الْحَزْوَرة) وكذا وَرَدَ في «معجم البلدان» والْحَزْوَرَةُ اسْم سُوْقِ مكَّةَ الْقَدِيْم ، وكانَ مِمَّا يَلِي الْمَسْجِدَ فيما بَيْنَهُ وبَيْنَ أَجْيَادَ وأَسْفَلِ مَكَّةَ . ولَيْسَ في «معجم البلدان» مَايُضِيْفُ إِيْضاحاً على ماذكر نَصْرٌ والحازِمِيُّ سِوَى إضافَةِ بَيْتَيْنِ إِلَى بَيْتِ الْمُهَاجِرِ ، وفي «معجم مااستعجم»: الْحَثْمَةُ . . صخراتٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ بِهَا رَبْعُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب ــ ثم سِيَاقُ خَبَرٍ عَنْ عُمَرَ في صِفَةِ جَنَّةِ عَدْنٍ ، وقَصْرٍ فيها لَايَدْخُلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ وقال: وَهَيْنِيْاً لِصَاحِبِ الْقَبْرِ ــ وأَشَارَ إِلَى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ــ أَوْ صَدِيقٌ وَهَيْنِيْاً لِأَبِي بَكْرٍ ــ وأَشَارَ إِلَى قَبْرِهِ ــ أَوْ شَهِيْدٌ ، وأَنَّى لِعُمَرَ بِالشَّهَادَةِ؟! وَإِنَّ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْ مَنْزِلِي بِالْحَثْمَةِ قَادِرٌ أَنْ يَسُوقَهَا إِلَيَّ ــ ثم أَوْرَدَ البكريُّ بَيْتَ المهاجِرِ وَمَعَهُ آخَرَ ــ والْحَثْمَةُ كَمَا حَدَّدَهَا الْأَزْرَقِيُّ الْمَكِّيُّ ــ وَأَهْلُ مَكَّةَ أَدْرَى بِشِعَابِهَا ــ قال في «أخبار مكة» ج ٢ ص ٢٩٤ في الكلام عَلَى (مَسْفَلَةِ مَكَّةَ) فَذَكَرَ الْحَزْوَرَة ، وأَنَّهَا دَخَلَتْ في الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، كانَتْ في أَصْلِ الْمَنَارَةِ إِلَى الْحَثْمَةِ ــ إِلَى أَنْ قَالَ ــ: الْحَثْمَةُ بِأَسْفَلِ مَكَّة ، صَخَرَاتٌ في رَبْعِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ــ رضي الله عنه ــ ثم أَوْرَدَ شِعْراً نَسَبَهُ لِخالد بْنِ الْمُهَاجِر بن خالد بن أَسَد :

لَنِسَاءٌ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الْحَثْـ ـمَةِ فِي لَيَالِي مُقْمِرَاتٍ وشَرْقِ
سَاكِنَاتُ الْبِطَاحِ أَشْهَى إِلَى الْقَلْـ ـبِ مِنَ السَّاكِنَاتِ دُوْرَ دِمَشْقِ

فَالشَّاهِدُ ــ كَمَا تَرَى ــ نَسَبُهُ الْأَزْرَقِيُّ وهُوَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الثالِثِ مِنْ أَهْلِ مكة لِخَالِد بن الْمُهَاجِر ، ونَسَبُهُ الْحَازِمِيُّ ومَنْ تَابَعَهُ ــ كَيَاقُوت ــ لِلْمُهَاجِر بن عَبْد الله الْمَخْزُومِيِّ ، ونَسَبُهُ الْبَكْرِيُّ في «معجم مااسْتَعْجَمَ» في حَثْمَةَ والْحُجُونِ ــ لِلْمُهَاجِربن خَالِدِ بن الْوَلِيْدِ ، إِلَّا أَنَّ عالِمَ قُرَيْشٍ الزُّبَيْرَ بْنَ بَكَّارٍ نَسَبَهُ لِلْحَارِثِ بْنِ خَالِدِ بن الْعَاصِ الْمَخْزُومِيِّ ــ كما في رَسْم الْحُجُونِ من «معجم مااستعجم» مُتَابِعاً في ذالِكَ عَمَّهُ مُصْعَباً الزُّبَيْرِيَّ في كِتَابِهِ «نسب قُرَيْش» ــ ٣١٤ ــ والحَارِثُ مِنْ مَشَاهِيرِ الشُّعَرَاءِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ ، والبَيْتُ بِشِعْرِهِ أَشْبَهُ .

وقَوْلُ الْحَازِمِيِّ ــ عَنِ الْحَثْمَةِ ــ: بِقُرْبِ الْحُجُونِ ، لا يَتَلاءَمُ مَعَ كَوْنِ الشَّاعِرِ وَصَفَ الساكِنَاتِ بَيْنَ الْحُجُونِ وَالْحَثْمَةِ ، فالْحُجُونِ في أَعْلَى مَكَّةَ لايزال مَعْرُوفاً ، والْحَثْمَةُ في أَسْفَلِهَا مَعْلُومَةُ الْمَوْقِعِ مَعَ دُرُوسِهَا .

وأَمَّا الثَّانِي : أَوَّلُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ــ: أَكَمَةٌ بَيْنَ الرُّمَةِ وَأَبانَيْنِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَال ، بِهَا مَاءٌ لِبَنِي عَبْسٍ ، يُقَالُ لَهَا الْغُبَارَة[٣] .

٢٤٥ ــ بابُ حُثْنٍ ، وخِيْنَ[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ: بِضَمِّ الْحَاءِ وَالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ ــ: مَوْضِعٌ حِجَازِيٌّ عِنْدَ أَلْمَلَمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّة يَوْمَانِ ، قَالَ سَلْمَى بْنُ الْمُقْعَدِ الْهُذَلِيُّ :

إِنَّا نَزَعْنَا مِنْ مَجَالِسِ نَخْلَةٍ فَنُجِيزُ مِنْ حُثْنٍ بَيَاضَ أَلْمَلَمَا

قَوْلُهُ نَزَعْنَا : أَيْ جِئْنَا ، ونُجِيْزُ : نَمُرُّ[٢].

وأَمَّا الثَّانِي: أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ــ: بَلْدَةٌ مِنْ نَوَاحِي طَوْسَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ مَنْصُورٍ الْخِيْنِيُّ ، ذَكَرَهُ الْإِدْرِيْسِيُّ فِي «تَارِيخِ سَمَرْقَنْدَ» وَرَوَى عَنْهُ أَبْيَاتاً مِنْ شِعْرِه .

---

(٣) الْخَيْمَةُ: تَعْرِيفُ الْخَازِمِيِّ هُوَ نَصُّ تَعْرِيفِ نَصْرٍ ، ومِثْلُهُ عِنْدَ يَاقُوت فِي «معجم البلدان» إِلَّا أَنَّهُ نَسَبَ التَّعْرِيفَ لِلْأَصْمَعِي ، وهُوَ فِي كِتَابِ «بِلَادِ العرب» ــ ٧٠ ــ الْمَنْسُوبِ لِلْغُدَةِ ، وجُلُّ نُصُوصِهِ نَسَبَهَا يَاقُوتُ لِلْأَصْمَعِي ، وعِنْدَهُمَا (مَاءَةٌ يُقَالُ لَهَا الغُبَارَة) وقَدِ أَوْرَدَ يَاقُوتُ شَاهِداً لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ :

خَيْرُ اللَّيَالِي ــ إِنْ سَأَلْتِ بِلَيْلَةٍ لَيْلٌ بِخَيْمَةَ بَيْنَ بَيْشٍ وعَثَّرِ

ولكنْ أين خَيْمَةُ بَيْش وعَثَّر الْوَاقِعَيْنِ فِي تِهَامَةَ مِنْ خَيْمَةِ أَبَانَيْنِ فِي شَمَالِ نَجْدٍ؟! وَخَيْمَةُ ثالِثَةٌ قَالَ عَنْهَا يَاقُوتُ: مِنْ مَخَالِيفِ الطَّائِفِ ولَيْسَتْ مَعْرُوفَةً الآنَ ، أَمَّا خَيْمَةُ أَبَانَيْنِ ــ الْجَبَلَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ ــ فَمَعْرُوفَةٌ ، وقَدْ تُسَمَّى خَيْمَةَ قَطَنٍ لِقُرْبِهَا مِنْ هَذَا الْجَبَلِ ، وهِيَ وَاقِعَةٌ شَرْقِيَّ بَلْدَةِ (عُقْلَةِ الصُّقُورِ) بِنَحْوِ عِشْرِيْنَ كِيْلاً ، يَدْعُهَا الطَّرِيْقُ إِلَى الْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ يَسَارَهُ ، غَرْبَ جَبَلِ أَبَانَ الْأَسْوَدِ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ جَبَلِ قَطَنٍ ، أَمَّا مَاءَةُ الْغُبَارَةِ فَغَيْرُ مَعْرُوفَةٍ الآنَ ، وكَثِيرٌ مِنَ الْمِيَاهِ الْقَدِيْمَةِ دَرَسَتْ لِغَوْرِ الْمِيَاهِ بَاطِنَ الْأَرْضِ ، والِاسْتِعَاضَةِ عَنْهَا بِالْآبَارِ الْعَمِيقَةِ الْغَوْرِ . والْقَوْلُ بِأَنَّ الْخَيْمَةَ بَيْنَ الرُّمَةِ وَأَبانَيْنِ فِيهِ تَجَوُّزٌ ، إِذِ الرُّمَةُ تَمُرُّ بَيْنَ أَبانَيْنِ ، والشَّمَالِيُّ مِنْهُمَا الْأَسْوَدُ تَقَعُ الْخَيْمَةُ فِي غَرْبِهِ بِمَيْلٍ نَحْوَ الشَّمَالِ ، وَوَادِي الرُّمَةِ يَقَعُ جَنُوبَهَا .

(١) لَمْ يُبَوِّبْ نَصْرٌ لِلاسْمَيْنِ ، وإِنَّمَا ذَكَرَ الاسْمَ الأَوَّلَ فِي (بَاب حِبْرٍ وحِبْرٍ وخَبْرٍ وخَيْرٍ وحُثْنٍ) ولَمْ يَذْكُرِ الاسْمَ الثَّانِيَ .

(٢) قَالَ نَصْرٌ : وَمَا بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ، بَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ سَاكِنَةٌ ونُونٌ ــ: مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ مَكَّةَ يَوْمانِ . وَفِي «معجم الْبُلْدانِ»: حُثْنُ ــ بِضَمَّتَيْنِ وَآخِرُهُ نونٌ ــ: مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ هُذَيْلٍ ، عَنِ الْأَزْهَرِيِّ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : مَوْضِعٌ عِنْدَ الْمَلَمِ (؟) بَيْنَهُ وبَيْنَ مَكَّةَ يَوْمَانِ ، قَالَ سَلْمَى بْنُ مُقْعَدٍ الْقُرَمِيُّ :

إِنَّا نَزَعْنَا مِنْ مَجَالِسِ نَخْلَةٍ فَنُجِيْزُ مِنْ حُتُنٍ بَيَاضَ مُثَلَّمَا(؟)

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ ٱلعَيْزَارَة ٱلهُذَلِيُّ:

وَقَالَ نِسَاءٌ لَوْ قُتِلْتَ لَسَاءَنَا سِوَاكُنَّ ذُو ٱلْبَثِّ الَّذِي أَنَا فَاجِعُ
رِجَالٌ ونِسْوَانٌ بِأَكْنَافِ رَايَةٍ إِلَى حُتُنٍ تِلْكَ الدُّمُوعُ الدَّوَافِعُ

وقَالَ أيضاً :

أَرَى حُتُنَاً أَمْسَى ذَلِيْلاً كَأَنَّهُ تُرَاثٌ وخَلَّاهُ الصَّعَابُ الصَّعَاتِرُ
وَكَادَ يُوَالِيْنَا ولَسْنَا بِأَرْضِهِمْ قَبَائِلُ مِنْ فَهْمٍ وَأَقْصَى وَنَابِرُ

وفي الشِّعْرِ الَّذِي تَقَدَّم تَحْرِيفُ أُصْلِحَ من كِتَابِ «شَرْحِ أَشْعَارِ الهُذَلِيِّيْنَ» وهُوَ مِنْ قَصائِدَ وَرَدَتْ فيه ــ ٧٩٧ و٥٥٢ و٦٠٦ ــ وكلمتا (المُثَلَّم) و(مُثَلَّما) صَوَابُهما (أَلْلَمَ) و(أَللما) حَيْثُ وَرَدَ ٱلبَيْتُ مُفَسَّراً ص ٧٩٧ : (أَلْلَمُ : مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ يَلَمْلَم وأَلْلَم) وَقَدْ ذَكَرَ هذا يَاقُوتُ فِي حَرْفِ الأَلِفِ مِنَ «المعجم» كَمَا ذَكَرَهُ غَيْرُهُ . وفي «معجم مااستعجم» ضُبِطَ الاسْمُ بِالتَّاءِ المُثَنَاةِ (حُتُن): أَرْضٌ فِي بِلَادِ هُذَيْلٍ ، لِبَنِي قُرَيْمٍ مِنْهُمْ ، وبِصَدْرِ حُتُنٍ وذِنَابَةَ(؟) ثُمَارُ ، وَادٍ هُنَالِكَ ــ ثم ذَكَرَ إِغَارَةَ تَأَبَّطَ شَراً عَلَى أَحَدِ بَنِي قُرَيْمٍ وقَتْلَهُ ، ورِثَاءَ أُمِّهِ الذي مِنْهُ :

فَتَى فَهْمٍ جَمِيْعاً غَادَرُوْهُ مُقِيماً بِالْحُرَيْضَةِ مِنْ ثُمَارِ

وأَبْيَاتَ قَيْسِ بْنِ خُوَيْلِدٍ ــ وَهُوَ ابنُ ٱلعَيْزَارَةِ ــ ٱلعَيْنِيَّة ــ وفيها: ٱلعُيُونُ الدَّوامِعُ ــ كَمَا فِي كِتَابِ «شَرْحِ أشعارِ ٱلهُذَلِيِّيْنَ» ــ ٥٥٢ ــ لَاكَمَا وَرَدَتْ فِي «معجم البُلْدان»: (الدُّمُوعُ الدَّوَافِعُ) إِلَّا أَنَّ صِحَّةَ الاسْمِ (حُتُن) بِالتَّاءِ المُثَلَّثَةِ ــ كَمَا فِي مَصْدَرِ ٱلبَكْرِيِّ وكَلِمَة (ذِنَابَة): (ذِنَابُهُ) ولكِنَّ اخْتِصَارَ ٱلكَلَامِ غَيَّرَ مَوْقِعَهَا مِنْهُ ، وانظر الكتابَ ٱلمَذْكُورَ ــ ٨٤٥ ــ وحُتُنُ وَادٍ لايَزَالُ مَعْرُوفاً سُكَّانُهُ مِنْ بَقَايَا فَهْمٍ قَوْمِ تَأَبَّطَ شَراً الَّذِي قُتِلَ فِي ثُمَارٍ أَحَدِ فُرُوعِ حُتُنٍ ، وكَانَتْ فَهْمٌ تُجَاوِرُ هُذَيْلاً فَحَلَّتْ فِي بَعْضِ بِلَادِهِمْ ، وأَعَالِي حُتُنٍ تَنْحَدِرُ مِنَ السَّرَاةِ بِقُرْبِ الطَّائِفِ (الشُّفَا) ويَتَّجِهُ الوادِي صَوْبَ ٱلغَرْبِ حَتَّى يُكَوِّنَ مَعَ أَوْدِيَةٍ وشِعَابٍ وَادِيَ يَلَمْلَمَ (السَّعْدِيَة) الَّذِي مِنْهُ يُحْرِمُ حُجَّاجُ تِهَامَةَ ، عَلَى مَسَافَةٍ تَقْرُبُ مِنْ مِئَةِ كِيْلٍ جَنُوبَ مَكَّة ، حَيْثُ يَفِيضُ فِي السَّاحِلِ .

(٣) لَمْ أَرَ لِهَذَا الاسْمِ ذِكْراً فِي كِتَابِ نَصْرٍ ، ولَمْ يَأْتِ يَاقُوتُ بِجَدِيْدٍ حَوْلَهُ سِوَى قوله (. . . سَمْرَقَنْدَ ، ثُمَّ فَارَقَهَا إِلَى طَبَرِسْتَان ، فَمَاتَ بِهَا) فَهَلْ هذِهِ الجُمْلَةُ سَقَطَتْ مِنْ مَخْطُوطَتِي ٱلحَازِمِيِّ اللَّتَيْنِ وَصَلَتَا إِلَيْنَا ، أَمِ اطَّلَعَ يَاقُوتُ عَلَى مَصْدَرِ ٱلحَازِمِيِّ؟ يَظْهَرُ أَنَّهُ رَجَعَ فِي ذَالِكَ إلى «ٱلأَنْسَاب» لِلسَّمْعَانِيِّ فَفِيه ــ ج ٥ ص ٢٦٢ ــ تَفْصِيْلٌ فيمَا نَقَلَ عَنْ أَبِي سَعْدٍ الإِدْرِيْسِيِّ ، وكَانَ مُعَاصِراً لِلْمُتَرْجَمِ وصَاحِباً لَهُ ، ولَمْ يُؤَرِّخْ زَمَنَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَ مِنْ سَمَرْقَنْدَ قَبْلَ الثَّمَانِيْنَ والثَّلَاثِ مِئَةٍ . وذكَرَ السَّمْعَانِي أَنَّ خِيْنَ مِنْ قُرَى طُوْسَ ، وأَنَّهُ زارَهَا ، وسَمِعَ ٱلحَدِيْثَ عَلَى خَطِيْبِهَا . أَمَّا الإِدْرِيْسِيُّ مُؤَرِّخُ سَمَرْقَنْدَ فهو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن ادريس بن الحسن بن مَنْوِيَةِ الاستراباذي تَرْجَمَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي «الأَنْسَاب» ــ ج١ ص ١٣٩ ــ وذَكَرَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي سنة ٤٠٥ خمس وأربع مئة ، في سَمَرْقند ، وطُوسُ القَدِيمَةُ دَرَسَتْ ، وحَلَّ محلَّها مَدِيْنَةُ (مَشْهَد) فِي أَقْصَى بِلَاد فارِسَ ، ولأَحَدِ ٱلمُعَاصِرِينَ وهو السيِّد محمد مَهْدِي العلويّ رسالة عن «تاريخ طوس» مطبوعة في بغداد ــ انظر كتاب «بُلدان الخِلَافَةِ الشرقية» ــ ٤٣٠ ــ

تحيـة ومـودة وأسـى

[وللشعر في (مجمع الخالدين) منزلته التي لم تتأثر منذ أن أُنشيء هذا المجمع ، وكان من أبرز أعضائه مشاهير الشعراء كالأستاذ علي الجارم، والأستاذ عزيز أباظة ، والأستاذ محمد عبدالغني حسن (المعروف بشاعر الأهرام) . ولهذا لم تخل دورة مؤتمره الرابعة والخمسين التي عقدت في شهر رجب ١٤٠٨هـ من إلقاء غرر من القصائد الممتعة بعد أن يحتدم النقاش في الموضوعات اللغوية الجافة فتحتاج النفوس إلى ماتُرَوِّحُ عنها ، وتستدعي حرارة جَوِّ المداولة إلى مايطَرِّيهِ ، وكان من شعراء هذه الدورة الأستاذ محمد بهجت الأثري عن (الفصحى رباط وحدة الأمة) والدكتور محمد علي إبراهيم (قصيدة رثاء) والأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي بهذه القصيدة المؤثرة حقاً].

مهداة إلى الأستاذ الكبير : الدكتور إبراهيم مدكور ، رئيس مجمع اللغة العربية].

سَعَيْتُ بَعْـدَ ثَلاثٍ أَبْتَغِي أَرَبِي ... وَقَدْ تُخِيْبُ المُنَى في سَعْيِ مُغْتَرِبِ
وعُدْتُ بَعْدَ ثلاثٍ أَرْتَعِي أَمَلاً ... مُنًى ضُرُوْباً وَأَلْفافاً مِنَ الأَدَبِ
حُلِّئْتُ عَنْ مَوْرِدٍ عَذْبٍ غَرِضْتُ لَهُ ... وَالْعَذْبُ أَنْفَسُ ما أَبْغِيهِ في طَلَبِي
عَقَدْتُ في شَامِخِ الأَرْدُنِ آصِرَتِي ... وبِنْتُ عَنْهُ ، فَلَمْ أعدِمْ بِهِ نَسَبِي
وفُزْتُ فِيهِ ، ولي أَهْلٌ جَعَلْتُ بِهِمْ ... وِقَاءَ ما أَتَرَدَّى فِيْهِ مِنْ وَصَبِ
أَتْعَبْتُ نَفْسِي، فلم أَحمَدْ مَسِيْرَتَها ... وَقَدْ تَسَلَّقْتُ سَفْحَ الطَّوْدِ في تَعَبِي
وَقَدْ دَرَجْتُ، ودَأْبِي فِيهِ في صَعَدٍ ... حَتَّى فَطَنْتُ، وَسَعْيِي فيه في صَبَبِ
وقد صَرَفْتُ إِلَى (صَنْعَاء) وَافِدَتِي ... وَقِبْلَتِي كُلُّ (نَجْمٍ) ثاقِبٍ (نَدِب)
وَقُلْتُ: لاَبُدَّ في (صَنْعَاءَ) لِي رَحِمٌ ... جَذَّاءُ، لَمْ أَتَّخِذْ يَوْماً لَهَا سَبَبِي
قَصَدْتُها، ورَمَيتُ الطَّرْفَ مُحتَسِباً ... أَنْ أَلْتَقِي الْبَلَدَ الثَّاوِي عَلَى اللَّهَبِ
وعُـدْتُ أَضْيَعَ مَـأْسُورٍ، وآسِـرُهُ ... ذِئْبُ النَّوَى، يَالَبُؤْسِ النَّازِحِ الحَرِبِ
قَدْ حِيْلَ بَيْنِي وبَيْنَ الأَهْلِ في بَلَدٍ ... سَمَا بِهِ كُلُّ مَعْدودٍ مِنَ النُخَبِ

* * *

ياوَيْلَ بَغْدَادَ مِنْ ظُلْمٍ أَعَدَّ لَهُ ... ذُو بِغْضَةٍ بَاتَ يُذْكِي النَّارَ في الحَطَبِ
ياخُسْرَ عَافِيْنَ رَاحُوا يَبْتَغُونَ بِنَا ... مَايَبْتَغِي كُلُّ مَسْعُورٍ مِنَ الكَلَبِ
أَيَغْتَلِي كُـلَّ هَمَّـامٍ إِلَى السَّلَبِ ... ويَخْلِطُ الأَفَنَ الْمُزْذُولَ بالكَذِبِ!!
لاَ، لَنْ يَجِيءَ إِلَى مَارامَ مِنْ خَبَثٍ ... وكَيْفَ يَسْطِيْعُ مَشَّاءٌ إِلَى الغَلَبِ
قَدْ أَنْكَرُوا الخَالِصَ الْمَأْثورَ في الكُتُبِ ... أَوْ لاَ، فَكَيْفَ الَّذِي مِنْ جَارِنَا الْجُنُبِ

وَيْحَ النَوَى، أَخَذَتْنِي أَخْذَ مُقْتَسِرٍ ... وَقَدْ شَرَتْنِي، وَبَاعَتْ بَيْعَ مُغْتَصِبِ
لَا أكذِبُ الله، لَمْ أَعدِمْ بِهَا غَرَضاً ... أَنْ أَسْعَفَتْ بِلِقَاءِ السَّادَةِ النُّجُبِ

* * *

يَاصَاحِبَ ٱلْبَيْتِ مَعْمُوراً تَجُودُ لَهُ ... مَادُمْتَ تَحْرِصُ حِرْصَ الوالِدِ الحَدِبِ
سَماحَةً ثَرَّةً قَدْ رُحْتَ تُرسِلُها ... عِلْماً فَيَعْمُرُ مَا تُعْطِيهِ مِنْ كَثَبِ
حَبَاكَ صَفْوَةُ قَوْمٍ كُلِّهِمْ قَمَرٌ ... مَا نَوَّرُوا فِيهِ من إشْعَاعِنَا ٱلْعَجَبِ
مَشَوْا إلى ٱلْكَلِمِ اللاَّئِي أَضَاءَ بِهِ ... نُورُ (ٱلْكِتَابِ) الَّذي أَرْبَى على الكُتُبِ
تَحَلَّبُوهَا فَأَهْدَتْ دَرَّ سَاحِةٍ ... وَاسْتَمْرؤُوهَا فَطَابَتْ زُبْدةُ الحَلَبِ
وَكَانَ مَاكَانَ مِنْ نُعْمَاهُ أَصْورَةٌ ... وَكَانَ مِنْهُ جَنَى مَعْسُولَةِ الرُّطَبِ

* * *

يَاصَاحِبَ البيتِ، إنَّا أُمَّةٌ شَقِيَتْ ... في حَاضِرٍ يَتَشَهَّى عَوْدَةَ ٱلْحِقَبِ
أُنبِيكَ أَنَّا أَضَعْنا مَجْدَ عَامِرَةٍ ... كَانَتْ لأَسْلاَفِنَا فِي مَعْقِلٍ أَشِبِ
وَأَنَّنِي جِئْتُ أَشْدُوْ بَعْضَ عارِفَةٍ ... عَلِقْتُ مِنْهُ، وَلَمْ أَسْمَعْ لُمحْتَطِبِ
فِي جَمْعِكُم عَزَّ مِنْ جَمْعٍ تَأَلَّفَهُ ... صَحْبٌ تَسامَوْا عَنِ ٱلْمَزْهُوِّ بِالرُّتَبِ
حَمَلتُمُ ٱلْعِبْءَ، بَلْ حُزْتُمْ بِهِ شَرَفاً ... عُقْبَى الَّذِي جَلَّ عَنْ شَكٍّ وعَنْ رِيَبِ

* * *

إنَّ الَّتِي بِتُّ مِنْ أَحْلاَمِهَا قَلِقاً ... فِي حَاضِرٍ تَتَرامَاهَا يَدُ النُّوَبِ
سَعِدتُّ فِيهَا عَلَى مَرٍّ مِنَ الحِقَبِ ... ونِلْتُ مِنْهَا، وَقَدْ حَقَّقْتُ من أَرَبِي
مَشَتْ عَلَى الدَّهْرِ، بِنْتُ الدهرِ يَخْطِبُهَا ... صِيْدُ الرِّجَالِ، فَكَانَتْ زِينةَ ٱلْخِطَبِ
وَاسْتَقْبَلَتْهَا رُبُوعٌ لاَحُدُودَ لَهَا ... وهْيَ السَّمَاحَةُ فِي ٱلآفَاقِ والرَّحَبِ
وقد تَحَلَّى بها مِنْ غَيْرِ آهِلِهَا ... جَمْعُ الوَرَى، وَهْيَ صَوْتُ ٱلْجَحْفَلِ اللَّجِبِ
حَوَتْ لَئَالِيءَ، لَمْ تُعرَفْ بِعَامِرَةٍ ... مِنَ اللُّغَاتِ الَّتِي خَفَّتْ إلَى ٱلْجَشِبِ
وَلَمْ تَقِفْ عِنْدَ هَذَا، بَلْ شَأَتْ عَدَداً ... مِنَ ٱلْمَعَارِفِ فِي ٱلأَجْوَاءِ وَالشُّهُبِ
زَكَتْ وَطَابَ لَهَا عِرْقٌ تَكَفَّلَهَا ... بِمَا غَذَتْهُ مِنُ آمٍّ بَرَّةٍ وأَبِ
صَحِبْتُهَا فَنَمَتْ فِي صُحبَتِي مِقَةٌ ... مَشَتْ إلَى كُلِّ عِرْقٍ غَابِرٍ تَرِبِ
لَزِمْتُهُ فَهَدَانِي بَعْضُ صُحْبَتِهِ ... إلَى مَكارِمِ هَذَا ٱلْخَالِصِ الذَّهَبِ

وَجَدْتُه فوجَدْتُ العِلْقَ يَنْفُسُه ... أُشَابَةً حَفَلَتْ بِالتِّبْرِ والْحَصَبِ
وَلَمْ أُشِحْ عَنْ حَصَاهَا، جَلَّ عَنْ شَبَهٍ ... بَلْ جُلْتُ فِيهِ، ولَيْسَ النَّبْعُ كَالْغَرَبِ
وَقَدْ يَشُوْقُكَ بَعْضُ السِّحْرِ فِي حَجَرٍ ... كَما تَرَى الأَلَقَ الْمَنْضُورَ فِي خَشَبِ
وحُلْوُهُ حُلْوُ مَااسْتَصْفَيتُ مِن مُلَحٍ ... فَخَلِّ عَنْكَ بَعِيداً شُهْدَةَ الضَّرَبِ
إنِّيْ لأَقتَحِمُ الأَسْرَارَ فِي شَظِفٍ ... مِنَ الْأَوَابِدِ مِمَّا لُفَّ بِالْحُجُبِ

* * *

وقُلتُ: هَا(مِصْرُ) قَدْ عُدْنَا وَعَادَ بِنَا ... مَاضِيْمَ مِنْ حَاضِرٍ أَوْفَى عَلَى الشَجَبِ
رُحْنَا نَزُمُّ خَرَاباً بَاتَ يَنْقُضُنَا ... مِنَ الْقَوَاعِدِ، بَلْ رُحْنَا إِلَى صَخَبِ
كَأَنَّنَا لَمْ نَرِثْ مِنْ غابِرٍ أَلَقاً ... يَبْدُو عَلَى مَا أَضَعْنَاهُ مِنَ الحَسَبِ
أَنَرْتَضِي أَنْ يَسُودَ الْكُفْرُ فِي بَلَدٍ ... أسْرَى إِلَيْهِ نَبِيُّ العُجْمِ وَالْعَرَبِ
يَسُومُنَا الْخَسْفَ لَمْ نَثْأَرْ لِمَظْلَمَةٍ ... وَقَدْ تَحَوَّلَ مَعْمُورٌ إِلَى خَرِبِ
لَهفي عَلَى الرَّبَواتِ الزُّهْرِ عَفَّرَهَا ... دَمُ الشَّهادَةِ مَطْلُولاً عَلَى التُّرُبِ
وَيارُبَى (الْقُدسِ) وَافَاكِ الرِّفَاقُ بِمَا ... يَزِيْدُ سِحْراً عَلَى أَثْوابِكِ الْقُشُبِ
حَمِدْتُ فِيكِ الْأُلَى اخْتَارُوا سِلاحَهُمُ ... (حِجَارةً) كَرُمَتْ كَالسُّمْرِ وَالْقُضُبِ
فَذَاكَ أَجْدَى عَلَيْنَا مِنْ رُفَهْنِيَةٍ ... إِنْ كَانَ كُلُّ الَّذِي نَبْغِيْهِ فِي الْخُطَبِ
لَمْ نَعْتَبِرْ بِالَّذِي يُرْوَى لَنَا عَجَباً ... مَاقِيلَ مِنْ فَعَلاتِ الْخُرَّدِ الْعُرُبِ
إِنِّي لآنَفُ مِنْ بَعْضٍ تَخَطَّفَهم ... مَازَانَهُمْ فَارْتَمَوْا فِي نَشْوةِ الطَّرَبِ
وَقَدْ أعانوا (بِلَغْوٍ) لَاغَناءَ بِهِ ... وذاكَ أعظَمُ مِمَّنْ لَاذَ بِالْهَرَبِ
لَوْ أَنَّ قَوْمِي أَفَاقُوا مِنْ عَمَايَتِهِمْ ... وَقَدْ تَداعَوا فَثَارَتْ سَوْرَةُ الْغَضَبِ
إِذَنْ لآمَنْتُ أَنَّا أُمَّةٌ فَطَنَتْ ... لِما يُحِيقُ بـ (أَقْصَاهَا) مِنَ الكُرَبِ

* * *

يامِصْرُ، يامِصْرُ أُمَّ الوافِدِيْنَ إلى ... رِحَابِ مَجْدِكِ مِنْ مَوْرُوْثِهِ الْخَصِبِ
مَشْوْا إِلَيْكِ، وكُلٌّ يَجْتَدِيْكِ إِلَى ... (صَعِيدِ) أرضِكِ بِالْأَمْجَادِ مُخْتَضِبِ
يَسْتَلْهِمونَ نَجْيَعَ التَّضْحِيَاتِ هُدًى ... بَادِي الشواهِدِ من آنِي دَمٍ سَرِبِ
وَحَسْبُهُمْ كُلُّ شِبْرٍ جَلَّ مَعْلَمُهُ ... وَبَيْضَةُ الْمَجْدِ لم تَهْرَمْ وَلَمْ تَشِبِ

* * *

يامِصْرُ إِنْ هَزَّنِي لُقْيَاكِ يَأْسِرُنِي ... وَقَدْ سَعَيْتُ إليه سَعْيَ مُرْتَقِبِ
فقد وَقَفْتُ عَلَى أَمْرٍ وُجِعْتُ لَهُ ... وَنَالَ مِنِّي، مَاقَدْ نالَ مِنْ نَصَبِي

شمس الغد

عِنْـدَمَـا تُشْـرِقُ شَمْسُ الْـ ـغَـدِ فِـي الـرَّوْضِ الْأَغَنِّ
عـنـدمـا تستيقظُ الأزهـارُ وَالـطَّيْـرُ يُـغَـنِّـي
والْـفَـرَاشَـاتُ تَجُـوبُ الْـ ـحَقْـلَ مِنْ غُـصْنٍ لِـغُصْـنِ

* * *

حَيْثُ تَغْدُو الْأَرْضُ فِي أَعْـ رَاسِـهَـا جَـنَّـةَ عَـدْنِ
حَيْثُ تَـرْعَى الشَّاةُ والـذِّئْـ ـبُ بِـلَا حِقْـدٍ وَضِـغْـنِ
حـيْـثُ إِنْـسَـانِـيَّـةُ الْإِنْـ ـسَـانِ تَمْحُـو كُـلَّ لَـوْنِ
حَيْثُ لَا ظُـلْمَ ولَا خَـوْ ف سِـوَى عَـدْلٍ وَأَمْـنِ

* * *

عِـنْـدَهَـا أَسْـتَـلْهِـمُ الْأَوْ تَـارَ عَـنْ أَعْـذَبِ لَحْـنِ
تَـسَـعُ الْآمَـالُ قَـلْبِـي تَسْكُـنُ الْأَحْـلَامُ جَـفْـنِي
تَمْـلأُ الْـفَـرْحَـةُ دُنْـيَـا يَ فَـأَشْـدُو وأُغَـنِي

* * *

سَـأُغَـنِّي الْأَرْضَ أَمْجَـا دِي، وأُهْـدِي الشَّمْسَ فَنِّي

القطيف : ١٤٠٨/٤/١٧ **محمد سعيد الْـمُسْلِم**

وَذَاكَ أَنَّ صِحَاباً قَـدْ عَرَفْتُهُمُ طَوَوْا فَرُحْتُ أُعاني أَيَّ مُضْطَرَبِ
بِهِمُ غَنِيْتُ، وقَـدْ حَقَّقْتُ نَافِلَةً أَنْ كَانَ فِي (رُفَقَاءِ) الْأَمْسِ مُطَّلَبِي
طَوَوا، وأَمْرِيَ مِنْهُمْ أَمْرُ مُحْتَسِبٍ وَبِنْتُ عَنْهُم، وصَبْرِيْ صَبْرُ مُحْتَرِبِ
بَكَيْتُهُمْ، وبُكَائِي زَفْرَةٌ صَعَدَتْ تَهُدُّ مِنْ صَبْرِ مُلْتَاعٍ وَمُلْتَهِبِ
وقَدْ أَسَوْتُ إِلَى جُرْحِي بِبَعْضِ أَسًى عَنْ بَعْضِ مُبْتَعِدٍ فِي شَخْصِ مُقْتَرِبِ
طَوَوْا شُخُوصاً، وَعِنْدِي مِنْ سَرَاوَتِهِمْ كَأَنَّ مِنْهَا ظِلَالاً قَطُّ لَمْ تَغِبْ
لَكِنَّنِي رُحْتُ فِي تَيْهَاءَ مُظْلِمَةٍ كأنَّها الْبَحْرُ ذُو التَّيَّارِ والْعَبَبِ
وَبِي تَعِلَّةُ مَا أُلْفِيْ بِهِ سَعَةً أَغْنَى بِهَا فِيْ وُجُودٍ عَابِسٍ شَحِبِ

صنعاء **الدكتور: إبراهيم السامرَّائي**

آل عُطيش: من آل صُبَيح من بني خالد

لقد لفت نظري أثناء مطالعتي لمجلة « العرب » العدد الصادر في شهري جمادى الأولى والآخرة لعام ١٤٠٨ هـ ص ٨٤١ ــ ٨٤٢ . . ملاحظات الشيخ عبدالعزيز بن سليمان السعيد قاضي محكة الخرج حيث أورد بعض الملاحظات عن كتابكم القيم « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » وذكر أنكم أغفلتم ذِكْرَ بعض العائلات التي تستوطن الدلم والخرج ، وهو بلاشكٍ غير مقصود ومتعمد لما يُعرف عنكم من أمانة ودقة في تحقيق وتأليف وبحث .

وأحب هنا إبداء مايتعلق بموضوع عائلتي وهي جاءت بلفظ (العيش) وهو خطأ مطبعي والصواب (العطيش) أو (آل عطيش) وهم من فخذ الظهيرات من آل صُبيح من بني خالد .

وعائلة العطيش تشمل : آل عبدالعزيز ، آل عبدالله ، آل رشيد ، والبيت الأخير انقطع عقبهم ومنهم مطلق شارك في حملة الدولة السعودية إبان عهد تركي بن فيصل حسب ما أذكر الآن .

وهناك مجموعة من آل عطيش في المنطقة الشرقية ومنهم أهل عِنَك وهي مقر بني خالد في نواحي واحة القطيف وكانوا إلى عهد اكتشاف النفط بادية ، اسْتَوْطَنُوا حاضرة الآن .

ويرجع تاريخ قدومهم إلى الخرج إلى فترة حكم وسيطرة بني خالد في عهد أسرة آل عُرَيْعِر على مناطق العارض والخرج ، وما شملت منطقة اليمامة من ربوع نجد ، وهناك أراضي تعرف باسمهم ترجع إلى زمن سابق .

والأسرة جميعها تستوطن الرياض سوى بيت واحد فرد وأسرته مازال في مدينة الخرج .

وترتبط بمعظم أسر قبائل الخرج بروابط وعلاقة نسب ومصاهرة وأقرب هذه الأسر التي تنتمي إلى بني خالد وهم من آل صبيح عائلة الشّدِّي في الدلم واليمامة وحريملاء والمنطقة الشرقية . كما أن عائلة الجُوَيِّد في منطقة العيون بالأحساء الآن يعرفون بآل عُطيش وقامت بيننا وبينهم روابط وزيارات واجتماعات سنوية .

الرياض : ناصر محمد عبدالعزيز العطيش

« **العرب** » : للأخ الكريم الشكر على ما أوضح عن أسرته وحبذا لو اتحف قراء « العرب » الأخوةالذين لم يردلأسرهم ذكر في هذا الكتاب لتداركه عند اعادة طبعه قريباً إن شاء الله .

الزمامات من المساعرة الدواسر

كانت المجلة استوضحت من فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالعزيز بن سليمان السعيد قاضي محكمة الخرج عن نسب الزمامات الساكنين في اليمامة ، فأَفْضَل بالكتابة بتاريخ ١٤٠٨/٨/١٤هـ بما هذا نصه :

انني اتصلت ببعض رجال الأسرة الموثوقين في هذا المجال فأكدوا نسبهم كما هو معروف أنهم من (آل بوزمام) المساعرة من الدواسر ، ومن أسرهم :

١ ـ الجهيم في اليمامة .

٢ ــ الرفدان في العسيلة من نواحي الأحساء .

٣ ــ السلطان الذين استوطنوا المصانع من نواحي الرياض ومنهم إبراهيم السلطان أمير المصانع سابقاً .

٤ ــ كذالك الزمامات الذين في ضرما والمزاحمية .

فكل هاؤلاء من آل (بوزمام) المساعرة الدواسر.

أما بالنسبة لاستيطان آل جمهور في جلاجل فقد اخبرني محمد بن الشيخ سليمان ــ رحمهما الله ــ ان جده والد الشيخ سليمان ووالد دخيل الله شقيق سليمان هو أول من استوطن بلدة جلاجل ، كما اخبرني ان لهم عمّا استوطن حوطة بني تميم ثم الخرج ولا اعلم له أولاداً ذكوراً ، ولكن له بنات في الخرج .

هذا ما أردت أن اخبركم به مع جزيل الشكر لك ولما تبذله له من جهد وفق الله الجميع . .

وقد سبق ان نشرت « العرب » ــ س ١٥ ص ٢٠٠ ــ بحثاً للأستاذ أحمد بن سليمان جاء فيه : ان الزمامات الذين في الرياض وفي ضرما من الوداعين من الدواسر .

ثم نشرت ــ س ٢٢ ص ٨٤٢ ــ تعليقاً لفضيلة الأستاذ عبدالعزيز بن سليمان ذكر فيه أن الزمامات من المساعرة ، وها هو فضيلته ــ وفقه الله ــ يؤكد هذا بما نقل عن بعض رجال الأسرة الموثوقين في هذا المجال ، وكما في المثل (أَهْلُ شُعَبَى أَدْرَى بشعابها) وشكر الله للشيخ عبدالعزيز وأدام له الخير والتوفيق .

حول كتاب « الجوهرتين » :

تصحيح .. وملاحظة

لقد استمتعت ــ متعكم الله بالصحة ــ بكتاب « الجوهرتين » واستفدت منه كثيراً ، وقد شجعني تواضع العلماء الكائن بين برديك أن أبدي رأيي في بعض الأشياء ، وهي التالي :

١ ــ قرأت في ص ٢٨٢ عن العَرْج ، ويذكر شيخي الفاضل أنه لم يجده من أسماء النباتات ، فتذكرت أن أهل تهامة (منطقة جازان) يسمون السدرَ عَرْجاً ، ويجمعونه على عُروج ، ثم تذكرت أنه قد مر علي ، فبحثت حتى وجدت في كتاب « الجيم » لأبي عمرو الشيباني ، تحقيق عبدالعليم الطحاوي الخبير بمجمع اللغة العربية ، ومراجعة أ.د. محمد مهدي علام عضو مجمع اللغة العربية ، وجدت في ص ١٧٦ المجلد الثاني حرف (العين) السطر (الخامس) مايلي : (يقولون لجماعة السدر : العُرْجان الواحد عَرْج ، وهي العُلوب الواحد عَلْب) انتهى . ثم أن أهل ظهران الجنوب يسمون السدر عَلْبا الآن .

٢ ــ ص ٢٩٤ : الكبا : يعرف بفيفا باسم الكُبِي واحده كُبْيَة مع نطق (الكاف) كما ينطقها الخليجيون وهي لهجة أهل فيفا ، وكانت النساء تعمد إلى

سرجين البقر فيجمعنه ويكوِّرْنَهُ ويُيَبِّسْنَهُ وبعد ذالك يستعمل لحفظ النار من أن تخمد ، كما يوقد به على أي شيء لا يحتـاج إلى لهب النار وهذا قبل عشرين سنة ، أما الآن فلا يستعمل ، وأعتقد أنه المراد ، حيث قرن بالبعر في ص ١٤٦ .

٣ ــ ص ٢٩٤ . آخر الصفحة ، خُرْءُ الحديد ، هو كما ذكرت بالضبط ، ولايزال معروفا عند صناع منطقة فيفا ، حيث يسمون خبث الحديد ، خَرَ امْحَدِيد ، بإبدال اللام ميما ، كما هي لهجة الجنوب التي هي لغة حمير .

المعهد العلمي في عرعر :سلمان بن محمد الفيفي

بعض أُسَر الخَرِيق ونَعَام

كنت قد كتبت لمجلة العرب بياناً بأنساب أسر بلدتي الحريق ونعام وقد نشر فحواه في عدد المجلة لشهري الربيعان ١٤٠٨هـ ، وحيث أن الخطأ والنسيان صفة طبيعية في كل مخلوق وجل من لا ينسى ، فقد حدث فيما نشر أخطاء وسهوت عن معلومات أخرى ، ومع اعتذاري للأخوة الكرماء أصحاب الشأن أحب هنا التنبيه إليها واستدراكها لتعم الفائدة وهي :

١ ــ عند سرد أسر بلد الحريق لم أذكر ــ سهواً أسرة التهاما (التَّمَّامِي) وكنت أحسب أنني قد أدرجتها مع بقية الأسر ولم أتنبه إلى ذلك إلا بعد النشر ، فهذه الأسرة الكريمة تنسب إلى بني (تميم) ولهم أبناء عمومة في بلد المزاحمية .

٢ ــ ورد فيما نشر أن آل حنتوش وآل فرحان من الهضيبات من سُبيع فصحيح أنهم من سبيع ولكنهم ليسوا هضَيبات ، نَسَباً لأن المقصود بالهضيبات نسبة إلى اسم مَكَانٍ في بلدان سبيع الواقعة غربي نجد . أما آل حنتوش وآل فرحان فهم من النَّبَطة من سُبَيع . . لذا لزم التنبيه .

٣ ــ عند ذكر أسر بلدة نَعَام ورد أن آل منيع من آل غمْلاس من المصارير من الدواسر وهذا خطأ مني ، ولم أعرف أنني أوردته هكذا إلا بعد النشر . والصحيح أن آل مَنِيع من آل غَملاس من بني خالد ، ولهم أبناء عمومة في الخرج .

هذا ما لزم التنبيه عليه واستدراكه .

أحمد بن علي آل سليمان

السـراة

وجه الأخ الأستاذ محمد ويس الرحبي المدرس في متوسطة الحديبية في آل بسام في سراة عبيدة استفهاماً عن (السراة) الواردة في كتاب « الإصابة » في ترجمة ثوبان مولى رسول الله ﷺ فكان الجواب :

إن السراة أيها الأستاذ الكريم هي أبرز معالم جزيرة العرب الجغرافية ، فهي سلسلة الجبال المرتفعة الواقعة في غرب الجزيرة الممتدة من أقصى اليمن جنوباً إلى بلاد الشام شمالا ، وتعرف أيضاً باسم الحجاز ، ويعني بهذا القسم الفاصل بين نجد وتهامة التي هي ساحل البحر الأحمر .

وللعلماء المتقدمين في تحديدها أقوال كثيرة في كتب اللغة وفي كتب تحديد الأمكنة كـ « معجم ما استعجم » للبكري و « معجم البلدان » لياقوت وقبلهما « صفة جزيرة العرب » للهمداني وغير ذالك من الكتب مما لا يتسع المقام لذكره .

وكان كل قسم منها ينسب إلى سكانه كسراة ثقيف وسراة عدوان وسراة بجيلة وسراة الازد وسراة دوس وسراة الحجر والجانب الشرقي يعرف قديماً بسراة جنب وهو المعروف الآن بسراة عبيدة .

أما ثوبان بن بُجْدُدَ ــ وهذا الاسم بالباء بعدها جيم ساكنة ثم دالان والباء والدال الأولى مضمومتان على ماذكر ابن ماكولا في « الاكمال » وصاحب « تاج العروس » وذكر غيرهما أنَّ الباء مفتوحة ــ هذا الرجل من أهل السراة ، وقد اختلف المتقدمون في السراة هذه ، فذكر الذهبي في « سير اعلام النبلاء » ــ ٢/١٥ ــ : ان ثوبان هذا من أرض الحجاز سبي فاشتراه الرسول ﷺ واعتقه .

أما ابن عبدالبر في كتاب « الاستيعاب » فيعرف السراة بانها موضع بين مكة واليمن .

وقد اتضح لي ان ثوبان من سراة اليمن لأن الذهبي وابن عساكر ذكرا انه من بني أُلْهَان بن الخيار والهان هذا أخو همدان وبنو الهان هاؤلاء قبيلة يمنية ينسب إليها

مخلاف من مخاليف اليمن يقع غرب صنعاء ، وهو متصل بالسراة ويدل على صحة نسبة ثوبان إلى بني ألهان ماورد في كتاب « تهذيب تاريخ دمشق » ـ ٣/ ٣٧٩ ـ من ان ثوبان رجل من الهان منزله حمّام جابر بحمص ، خلف عقبا يدعى ثوبان ، وكانت داره بحمص وقفا على مهاجري فقراء ألهان ، وقد عاش ثوبان عيشة فيها سعة فقد حضر فتح مصر وملك فيها دارا ، وذالك بعد ان انتقل بعد وفاة الرسول ﷺ وملازمته له طيلة حياته انتقل إلى الشام فنزل الرملة وملك فيها داراً ثم انتقل منها إلى حمص فابتنى بها داراً وتوفي بها سنة اربع وخمسين من الهجرة .

تصحيح « لسان العرب »

كان الأخ الأستاذ سليمان خان محمد نعمان من (المجمع الملكي) في عَمَّان وجه سؤالا عما ورد في كتاب « نظرات في كتاب تاج العروس » ص ٤٨ من أن الأستاذ عبدالستار فراج ـ رحمه الله ـ قد نشر نقداً لكتاب « لسان العرب » ، وها هو الجواب :

ان نقد الأستاذ عبدالستار لكتاب « لسان العرب » في طبعة بيروت نشر في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة في أجزاء هي :

١ ـ ج ١٢ سنة ١٣٨٠ (١٩٦٠) ص ١٧١ إلى ١٨٤ من أول الكتاب إلى الجزء الخامس .

٢ ـ ج ١٣ سنة ١٣٨١ (١٩٦١) ص ١٧٧ إلى ١٩١ إلى مادة (ف و ر) .

٣ ـ ج ١٥ سنة ١٣٨٢ (١٩٦٢) ص ٥٦ إلى ٦٤ من (ن د ر) إلى (ح م ض) .

٤ ـ ج ٢٠ سنة ١٣٨٦ (١٩٦٦) ص ٤٧ إلى ٥٤ من (ر ك ض) إلى (ع ي ل) .

٥ ـ ج ٢١ سنة ١٣٨٦ (١٩٦٦) ص ٣٧ إلى ٥٠ من (غ ل ل) إلى (ح س ن) .

* **تاريخ مدينة دمشق** : [انظر « العرب » س ٢٠ ص ٨٥٩ وس ٢٢ ص ٨٤٩]

صدر الجزء التاسع والثلاثون من تجزئة المؤلف من كتاب « تاريخ مدينة دمشق وذكر فَضْلِهَا ، وتسمية من حلَّها من الأَمَاثِل ، أو اجتاز بنواحيها من وارديها

---

٦ ــ ج ٢٢ سنة ١٣٨٧ (١٩٦٧) ص ٢٥ إلى ٢٩ آخر النقد .

وقبل الأستاذ عبدالستار تعرض لتصحيح « اللسان » العلامة أحمد تيمور باشا ونشر تصحيحه في رسالة مطبوعة .

وللأستاذ عبدالسلام هارون تصحيح للكتاب نشر في أجزاء مجلة المجمع التي هي ٢٦ سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) و٢٨ سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) و٣١ سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) و٣٢ سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) و٣٥ سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) وفي مجلة المجلة ومجلة البيان الكويتية .

وتصحيح الأستاذ عبدالسلام هارون نشر بعد ذالك في كتاب بعنوان « تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب » نشره مركز البحث العلمي واحياء التراث في جامعة الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة سنة ١٣٩٩هـ في مجلد ضخم بلغت صفحاته ٥٣٩ وقد أسقط منه ماورد في التصحيح الذي كتبه الأستاذ أحمد تيمور .

الجَرَّارُ : قائد الألف

ورد في مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٣٩٥ نقلاً عن كتاب « الإصابة » في وصف عُيَيْنَة بنِ حِصْنِ الْفَزَارِي بانه كان من الجرَّارين في الجاهلية . وزيادة إيضاح يحسن الرجوع إلى كتاب « المحبر » لابن حبيب ــ ص ١٤٦ إلى ١٤٩ ــ حيث أورد فصلاً عنوانه (الجرَّارون من مضر) : ولم يكن الرجلُ يسمى جَرَّاراً حتى يرأس ألفا . ثم عَدّ منهم عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ ، قاد غَطَفان إلى بني تَغْلِبَ يوم السجاسي (؟) وهو الأَحْمَق المطاع . ــ وذكر كثيرين غيره ــ .

وأَهْلِها » للعالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩/٥٧١هـ) .

وهذا الجزء يحوي من التراجم ممن اسمه عبدالله مِن (عبدالله بن سعود) إلى (عبدالحميد بن بكّار) ويقع بفهارسه المفصلة في ٥٥٦ صفحة من القطع الكبير ، وقد قامت الأستاذة الكريمة سكينة الشهابي بتحقيق هذا الجزء كغيره من الأجزاء التي تقدم الحديث عنها .

والواقع أن جُهْدَ الأستاذة يبرز في كل صفحة من صفحات هذا الجزء ، مما يدل على تعمق في البحث ، واهتمام بالغ في التثبت من صحة النص ، وذكر المصادر الكثيرة التي رجعت إليها المحققة في عملها هذا .

ومن المعروف أنه قلَّ أن تخلو مطبوعة عربية من (التطبيع) ــ أي الخطأ المطبعي ــ ولعل من ذلك ماجاء في هذا الجزء ص ٦٢ : (أمر رسول الله ﷺ بالمسير إلى مكة ، فلما انتهى إلى مَرٍّ نزل بالعقيقة ، وأرسل الجناة يجتنون اللُّبَان ، فقلت لسعيد : وماهو : قال : ثمر (الأَرَاك) إلى آخر الحديث . فكلمة (اللُّبان) لعل صوابها (ٱلكَبَاث) وأن ماقع هنا تصحيف ، إذ ثمر الأراك هو الكباث كما في كتب اللغة .

أما كلمة (العقيقة) ففي النفس منها شيء ، إذْ لَمْ أَرَ لها ذكراً فيما بين يديَّ من الكتب وهي في كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير ــ ج ٤ ص ٢٨٨ : (العقبة) وفيه الخبر بطوله ، كما أورده الحافظ ابن عساكر ، وخَبَرُ اجْتِنَاءِ (الكباث) ورد في « صحيح البخاري » في كتاب الأطعمةِ ــ الباب الخمسين ــ .

وقد صدر هذا الجزء مطبوعاً بمطبعة دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٦/١٩٨٦ ولكن تأخر وصوله إلى المجلة .

*** تحفة الزمن في تاريخ اليمن :**

وصدر الجزء الأول من كتاب « تحفة الزمن في تاريخ اليمن » تأليف الحسين بن عبدالرحمن بن محمد الأهدل اليمني المتوفي سنة ٨١٥ ، بتحقيق الباحث المحقق

الأستاذ عبدالله بن محمد الحِبْشي ، عن مخطوطات خمس ، وصفها الأستاذ في المقدمة التي أورد فيها ترجمة للمؤلف استقاها من كتاب « الضوء اللامع » للسخاوي وغيره من المؤلفات .

وقد سار الأهدل في تاريخه هذا على طريقة المتقدمين مُحْتَذِياً حَذْوَ الْجَنَدِيِّ ، بل مختصراً لكتابه ، كما يفهم من قوله بعد ذكره : قصدت إلى انتخابٍ تسهيلاً على طلابي مع ما ضمه إليه لزيادات مستحسنات . وكتاب الْجَنَدِيِّ سبقت الإشارة إليه ــ «العرب » س ٢٠ ص٤٣٠ ــ ويقول الأستاذ الحِبْشيُّ عن مؤلف هذا الكتاب : لم يَقِفْ مَوْقِفَ الْمُلَخِّصِ الذي يختصر العبارة دون أن يعمل فيها فكره ، وإنَّما هذَّبَ وشَذَّبَ ، وأضاف زيادة تربو عن نصفه مما يجعله بحقٍ ، تاريخاً مستقلاً يحق لمؤلفه أن ينسبه إليه . وينتهي هذا الجزء الواقع في ٣٦٧ صفحة إلى ذكر بعض الفقهاء الذين ادركوا نهاية القرن السادس ، ويظهر أن المحقق الكريم سيضع للكتاب فهارس شاملة لخلو هذا الجزء من ذكر محتوياته .

وقد صدر سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م) عن (منشورات المدينة) مطبوعاً في لبنان بطباعة حسنة .

*** الأدوية والأدواء في معجم تاج العروس :**

عُنِي الأستاذ الدكتور هاشم طه شلاش بكتاب « تاج العروس » فتقدم برسالة عن مؤلفه « الزبيدي في كتابه تاج العروس » نال عنها إجازة (الدكتوراه) وطبع هذا الكتاب في مجلد ضخم قاربت صفحاته ٧٣٠ وصدر سنة ١٤٠١هـ .

ثم تصدَّى لجمع مافي « التاج » من أسماء الأدوية والأدواء ــ جمع دَاءٍ ــ فجمعها في رسالة نشرها المجمع العلمي العراقي عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) جاءت في ١٠٦ من الصفحات ، وسهل للباحثين طريقة الوصول إلى مجموعة من أسماء الأدوية والأمراض كما وردت في كتب المتقدمين ، وبصرف النظر عن الجدوى من وراء استعمال تلك الأدوية للعلاج إلا أن اللغويين في حاجة إلى معرفتها لكثرة مايرد ذكرها في النصوص العربية القديمة .

*** دليل السماء والنجوم :**

من أحدث الكتب المتعلقة بالأجرام الفلكية ، ألفه الدكتور عبدالرحيم بدر ، وأهداه إلى الأستاذ الدكتور باول كونيتش ــ انظر « العرب » س ٢٢ ص ٧٢٩ ــ

العالم الألماني المتخصص بعلم الفلك عند العرب ، ومع أن المؤلف الكريم اعتمد أكثر ما أعتمد على مراجع أجنبية إلا أنه رجع إلى مؤلفات عربية لعلها على قلتها هي مايجده الباحث أمامه في الدراسات الفلكية كـ « صور الكواكب » للرازي و « القانون المسعودي » للبيروني و « الأنواء » لابن قتيبة ، والثلاثة مطبوعة في الهند ، كما رجع إلى « عجائب المخلوقات » للقزويني .

وللدكتور عبدالرحيم تعريب لكتاب « بدائع السماء » تأليف جيرالد كوكنز ، لهذا يعتبر هذا الكتاب على صغر حجمه دراسة متكاملة في موضوعها ، وقدجاء الكتاب في ٣٢٥ صفحة بطباعة حسنة موضحاً بالصور والرسوم ، وقد طبع في بيروت وصدر عن (مؤسسة مصري للتوزيع) في طرابلس لبنان بدون ذكر تاريخ الطبع .

*** شعراء مقلون :**

وصدر للأستاذ المحقق الدكتور حاتم صالح الضامن مؤلف جديد بعنوان « شعراء مقلون » يحوي ماجمعه الدكتور الضامن من شعر :

١ ــ قيس بن الحدادية .
٢ ــ سويد بن كراع العكلي .
٣ ــ نهشل بن حَرِّي .
٤ ــ الكميت بن معروف الأسدي .
٥ ــ بكر بن النطاح
٦ ــ المخَبَّل السعدي .
٧ ــ الخليل بن أحمد .

وسعة اطلاع الأستاذ الضامن وعمق تمرسه ومعاناته للبحث في الشعر القديم جَمْعاً ودراسةً ، تحمل على الاطمئنان بأن ماجمعه من شعر هاؤلاء هو جُلُّ ماتحويه المؤلفات العربيةالتي بين أيدينا ــ إن لم يكن كله ــ وقد ألحق بالشعر المخرج فهارس للاشعار والاعلام والقبائل والمواضع ، كما صدر كل شعر بترجمة مؤلفه وذكر بعد إيراد الأبيات المصادر التي روت ذالك الشعر ، وحسب القارئ بعمل الدكتور الضامن صحة وتوثيقاً ، وقد جاء هذا المجموع في ٣٩٠ صفحة بطباعة جيدة في بيروت سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) .